www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

منيب الطحان

الإعجاز في القرآن

طريق الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان

كاتب:

منيب الطحان

نشرت فى الطباعة:

دارسعدالدين

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
الإهداء ----- ۱۳
فکرة الکتاب ----- ۱۳
الباب الأول الاعجاز فی القرآن ----- ۱۵
تمهید ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
العقل «۱»: ----- ۱۶
التفکیر «۲»: ----- ۱۶
العلم: ----- ۱۷
الفصل الأوّل معجزة القرآن الکریم ----- ۱۷
البحث الأول معنی الإعجاز و المعجزة ----- ۱۷
الإعجاز فی اللغة: ----- ۱۷
و الإعجاز فی القرآن: ----- ۱۷
البحث الثانی میزات معجزة القرآن ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۸
۱- معجزة القرآن مستمرة ----- ۱۸
۲- معجزة القرآن هی المنهج ذاته ----- ۱۸
۳- معجزة القرآن متجددة ----- ۱۹
۴- معجزة القرآن للعالم کله ----- ۱۹
الفصل الثانی وجوه الاعجاز فی القرآن ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰

البحث الأوّل فصاحة الألفاظ* بلاغة التعبير* قوة التأثير ----- ۲۰
الفصاحة ----- ۲۰
و البلاغة ----- ۲۰
البحث الثانی القرآن مزق حواجز الغيب ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۷
۱- كشف ما كان يدور فی نفوس بعض المنافقين ----- ۲۷
۲- تمزيق حواجز الزمن الماضی: ----- ۲۷
۳- القرآن مزّق حجاب المستقبل: ----- ۲۸
البحث الثالث انطباق آی القرآن علی ما يكشفه العلم اليقينی ----- ۲۹
اشارة ----- ۲۹
أولا- فی مجال الطبيعة: ----- ۳۰
ثانيا- فی المجال الطبی: ----- ۳۲
البحث الرابع اتساق عبارات القرآن و معانيه ----- ۳۷
اشارة ----- ۳۷
أولا) اتّساق العبارات «۱»: ----- ۳۷
ثانيا) الإعجاز العددی أو الإحصائی: ----- ۳۸
ثالثا) السلامة من التناقض: ----- ۴۰
البحث الخامس شمول أحكام القرآن ----- ۴۰
اشارة ----- ۴۰
۱- الأحكام الاعتقادية: ----- ۴۱
۲- الأحكام الخلقية: ----- ۴۱
۳- الأحكام العملية: ----- ۴۱
اشارة ----- ۴۱
أ) أحكام العبادات: ----- ۴۱

ب) أحكام المعاملات: ---- ۴۲
دلالة القرآن على الأحكام: ---- ۴۲
الفصل الثالث الاستدلال عن طريق النّقل ---- ۴۳
البحث الأول الاستدلال عن طريق النقل ---- ۴۳
اشارة ---- ۴۳
«الطرق الموصلة إلى المعرفة هى: ---- ۴۳
البحث الثانى ردود على الشبهات حول مصدر القرآن ---- ۴۴
الفصل الرّابع القرآن الكريم و خصائصه ---- ۴۸
أولا) التعريف بالقرآن ---- ۴۸
اشارة ---- ۴۸
۱- اللفظ العربى المعجز ---- ۴۸
۲- نزل وحيا عن اللّه ---- ۴۸
۳- المنقول بالتواتر ---- ۴۹
۴- المتعبّد بتلاوته ---- ۴۹
ثانيا) خصائص القرآن الكريم ---- ۴۹
ثالثا) نزول القرآن مفرّقا و حكمة ذلك ---- ۵۰
اشارة ---- ۵۰
۱- تثبيت فؤاد النبى «۱» صلّى اللّه عليه و سلم ---- ۵۰
۲- التدرّج فى أحكام اللّه و شريعته: ---- ۵۰
۳- التلطّف بالنبى صلّى اللّه عليه و سلم و التخفيف عنه ---- ۵۱
۴- تأكيد معنى الإعجاز: «۲» ---- ۵۱
۵- رسوخ الأحكام فى الذهن و الدقة فى فهمها ---- ۵۱
۶- تسهيل حفظ القرآن: ---- ۵۱
۷- تقديم الحلول للمشكلات الطارئة فى وقتها المناسب ---- ۵۱

رابعا) ترتیب الآیات فی القرآن ----- ۵۱
خامسا) حفظ القرآن و کتابته ----- ۵۲
اشارة ----- ۵۲
۱- التحریض علی حفظ القرآن ----- ۵۲
۲- مراجعة جبریل له بالقرآن فی کل عام مرة فی شهر رمضان ----- ۵۲
۳- إملاؤه القرآن علی کتّاب الوحی ----- ۵۲
۴- تحفیظه الصحابة: ----- ۵۳
سادسا) جمع القرآن ----- ۵۳
سابعا) استنساخ القرآن ----- ۵۴
ثامنا) تشکیل القرآن ----- ۵۴
تاسعا) خصائص التشریع القرآنی ----- ۵۵
۱- الإجمال و العموم: ----- ۵۵
۲- قلة التکالیف ----- ۵۵
۳- الیسر و السهولة و عدم الحرج: ----- ۵۵
۴- التدرّج فی التشریع: ----- ۵۶
۵- الواقعیة «۱»: ----- ۵۶
عاشرا) ما لا بدّ منه لفهم القرآن ----- ۵۶
اشارة ----- ۵۶
۱- الحرص علی فهم القرآن و العمل به ----- ۵۷
۲- الدربة و المران علی معرفة مدلولات العربیة ----- ۵۷
۳- الاستعانة بسنة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ----- ۵۷
۴- معرفة أسباب النزول: ----- ۵۷
۵- معرفة ملامح البیئة العربیة أیّام تنزّل القرآن ----- ۵۸
حادی عشر) فضل القرآن علی العرب و اللغة العربیة ----- ۵۹

ثانی عشر) تلاوة القرآن ----- ۶۰
خلاصة و نتیجة ----- ۶۱
الباب الثانی أغراض القرآن و مقاصده ----- ۶۲
مقدمة ----- ۶۲
الفصل الأوّل الهدایة إلی العقیدة الصّحیحة ----- ۶۳
تعریف العقیدة ----- ۶۳
العقیدة فی اللغة: ----- ۶۳
أما العقیدة فی الاصطلاح: ----- ۶۳
أما العقیدة الدینیة ----- ۶۴
البحث الأول الإیمان باللّه تعالی ----- ۶۴
الإیمان لغة: ----- ۶۴
الإیمان اصطلاحا: ----- ۶۴
۱- وجود اللّه تعالی ----- ۶۵
اشارة ----- ۶۵
أولا) المنهج القرآنی: ----- ۶۶
ثانیا) الأدلّة النّظریّة ----- ۶۸
۲- صفات اللّه تعالی ----- ۷۰
اشارة ----- ۷۰
۱- الوجود ----- ۷۱
۲- الوحدانیة ----- ۷۱
۳- قیامه تعالی بنفسه: ----- ۷۱
۴- العلم: ----- ۷۱
۵- الإرادة: ----- ۷۱
۶- القدرة: ----- ۷۲

۷- السّمع و البصر: ۷۲
۸- الكلام: ۷۲
۹- الحياة: ۷۲
۱۰- القدم: ۷۲
۳- ما يترتّب على صفات اللّه تعالى من الحقائق الاعتقادية ۷۲
البحث الثانى الإيمان بالملائكة ۷۴
اشارة ۷۴
أوّلا) عالم الملائكة: ۷۴
ثانيا) عالم الجن: ۷۵
ثالثا) الوحى: ۷۵
البحث الثالث الإيمان بالرسل و الأنبياء ۷۶
البحث الرابع الإيمان بالكتب السماوية ۷۷
البحث الخامس الإيمان باليوم الآخر ۷۹
اشارة ۷۹
و لليوم الآخر أحوال: ۷۹
۱- حقائق تتعلق بالموت: ۷۹
۲- حقائق تتعلق فيما بعد الموت: ۷۹
خلاصة و نتيجة ۸۰
الفصل الثانى العبادات صلة الإنسان مع الخالق ۸۱
مقدمة ۸۱
البحث الأول الإسلام و مصادره الأساسية ۸۲
اشارة ۸۲
الإسلام لغة ۸۲
الإسلام اصطلاحا ۸۳

السنّة: ۸۳
اشارة ۸۳
و للسنة مع القرآن الکریم ثلاث حالات ۸۴
الإجماع: ۸۶
القیاس: ۸۷
البحث الثانی الشّهادة ۸۷
البحث الثالث الصلاة ۸۸
تعریف الصلاة: ۸۸
صفة الصلاة: ۸۹
البحث الرابع الزکاة ۹۰
الزکاة لغة ۹۰
و الزکاة شرعا ۹۰
البحث الخامس الصوم ۹۱
اشارة ۹۱
و الصوم لغة ۹۱
و الصوم شرعا ۹۲
أقسام الصوم: ۹۲
حکمة الصیام: ۹۲
البحث السادس الحج و العمرة ۹۳
معنی الحج: ۹۳
حکم الحج و دلیله: ۹۳
وجوب الحج: ۹۴
خاتمة الفصل ۹۵
الفصل الثالث المعاملات صلة الإنسان مع الآخرین ۹۵

اشارة ----- ۹۵
البحث الأول دعوة الإسلام إلی إصلاح الفرد ذاته ----- ۹۷
اشارة ----- ۹۷
۱- من الناحیة الخلقیة: ----- ۹۷
۲- من الناحیة العلمیة: ----- ۹۸
۳- من الناحیة التهذیبیة: ----- ۹۸
۴- من الناحیة الدینیة: ----- ۹۹
۵- من الناحیة العملیة: ----- ۹۹
۶- من الناحیة الشخصیة: ----- ۹۹
البحث الثانی علاقة الفرد المسلم مع المجتمع ----- ۹۹
اشارة ----- ۹۹
أوّلا) فی مجال التشریع العائلی: ----- ۹۹
ثانیا) فی مجال التشریع الاجتماعی: ----- ۱۰۱
ثالثا) فی مجال التشریع الاقتصادی: ----- ۱۰۲
رابعا) فی التشریع السیاسی: ----- ۱۰۳
البحث الثالث تنظیم علاقة المسلمین مع غیرهم ----- ۱۰۵
خلاصة و خاتمة ----- ۱۰۶
تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۰۸

الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان

اشارة

نام کتاب: الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان نویسنده: منیب الطحان موضوع: اعجاز تاریخ وفات مؤلف: معاصر زبان: عربی تعداد جلد: ۱ ناشر: دار سعدالدین مکان چاپ: دمشق سال چاپ: ۱۴۲۰ / ۱۹۹۹ نوبت چاپ: اوّل

الإهداء

الإهداء الاعجاز فی القرآن طریق الی الأیمان منیب الطحّان الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۴ بسم اللّه الرّحمن الرّحیم إلی والـدیّ العزیزین، صـاحبی الفضل الأکبر فی دفعی لحفظ القرآن الکریم منـذ طفولتی، و حبّ العمل، و التحلی بأوامر القرآن و نواهیه. إلی زوجتی التی کـان لهـا الأـثر الکبیر فی خلق جوّ أسـری منسـجم مع أوامر الشـریعة الإسـلامیة و أهـدافها. إلی أبنائی الـذین درسوا، فأدرکوا مـدی الخطر المحـدق بأمتنا من الـداخل و الخارج، و سـعی الحاقـدین للتشـکیک بقدرات أمتنا، و بتاریخنا، و بسـنة نبینا علیه الصـلاة و السـلام، و بالقرآن الکریم کدسـتور حیاة و منهـج عمل. * إلی من یطلق عقله مفکرا فی ما احتوی القرآن الکریم من إعجاز فکری و علمی، لاـ یمکن أن یصـدر إلاـ عن خـالق البشـر. * إلیهم جمیعـا أهـدی هـذا العمـل، الـذی هو ضوء مقتبس من مطالعاتی و دراسـاتی، علّهم یرون فیه توجیها سـلیما إلی طریق الإیمان الکامل و المؤدی إلی سـعادتی الـدنیا و الآخرة. إِنَّ فِی ذلِکَ لَـذِکْری لِمَنْ کـانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَی السَّمْعَ وَ هُوَ شَـهِیدٌ صـدق اللّه العظیم منیب الطحّـان دمشق. المحرّم ۱۴۲۰ ه نیسان ۱۹۹۹ م الإعجـاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۵

فکرة الکتاب

فکرة الکتاب کانت مطالعـة الکتب و تـدوین خلاصـة عن کل کتاب فی مقدمـة هواياتی، و بعـد تقدمی فی السنّ تحرکت فی داخلی رغبـة العودة إلی خلاصـات تلک الکتب، و بعـد قراءتها تبادر إلی ذهنی السؤال التالی: لو بـدأت الآن بالمطالعـة، هل أقرأ ما قرأته من غثّ و ثمین؟ و کله أو بعضه؟ سیما و أن آرائی فی بعض الاتجاهات قد اختلف عما کانت علیه قبل خوضی معترک الحیاة. جالت فی خاطری أفکار کثیرة انتهیت بعـدها إلی التالی: ۱- ضـرورة معرفـة أصول اختیار الکتاب؛ طالما لاحظت أنّ بعض ما قرأته کتب هدف توضـیح حقائق اعتقادیة، أو تاریخیة، أو اقتصادیة، أو اجتماعیة .. و بعضه کتب هدف النیل من الدین عامة أو الإسلام خاصة، أو للنیل من کاتب، أو عالم، أو للـدسّ علی الفکر و التاریـخ. بعض هـذه الکتب جعل الأمیـة أو القومیـة أو الوطنیـة فی القمة، و بعضـها أشاد بالاشتراکیـة و طعن بالرأسـمالیة، أو العکس .. و لم أکن أعلم فی البدایـة أن الکـثیر ممـا تطرحه دور النشـر یخفی غایـات غیر الحقیقة العلمیة. و هنا تذکرت من یقرأ لباحث مستشـرق عن نشأة الأدیان و تاریخها، و حتی عن الدین الإسلامی، و صاحب الدعوة الإسلامیة، و لم یقرأ القرآن الذی هو فی متناول یده متی شاء، و الذی شـهد البعید قبل القریب بثبات نصوصه. و تذکرت من یدافع عن مستشـرق مغرض دفاعا أعمی أو یتبنی أفکار حاقـد، و یعمل علی نشـرها تباهیا بثقافته الواسـعة، و من هؤلاء المسـلم الـذی قرأ العهـد القـدیم أو الجدید و لم یقرأ القرآن. إذا لا بد من النظر فی اتجاه الکاتب أو الناشر، و فی المضامین، و ظروف البیئة الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۶ و الحکم، و ما تبرزه أو تخفیه تلک العناصـر. ۲- التدرج فی اختیار الکتب؛ من أشـملها عموما إلی أقلها شمولا، یقول ابن حزم الأندلسی «۱»: من ظلّ یبتغی فروع علم بـدءا و لم یدر منه أصـلا فکلّما ازداد فیه سـعیا زاد لعمری بذاک جهلا فلتحقیق رغبة المطالعـة، یسـتحسن البـدء بـالعلوم الـتی تبحث فی وجـود الخـالق قبـل البحث فی صـفاته و مـا یتعلّـق بهـا، و بقراءة القـانون العـام قبل

الاجتهادات القضائية. و نحن أمامنا بلاغ موجّه لكلّ الناس: هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَ لِيُنْذَرُوا بِهِ (إبراهيم/ ۵۲)، فلنقرأ البلاغ قراءة واعية لفهم أهدافه و غاياته، و بعدها ننظر فى البيانات التفصيلية و شروح هذا البلاغ. ۳- الدراسة المتأنية لآيات القرآن جعلتنى ألاحظ ما فيها من معان و مبان، و أقف عند التعبير الفنى و التصوير القصصى، أتفكر فى مضمون البلاغ و كيف أخبر عن أحداث ماضية، و كشف نفوس المتربصين بصاحب الدعوة، و أخبر عن أحداث و وقائع مستقبلية و حين حدثت جاءت متوافقة مع نصوص الآيات، إلى جانب تنوّع الأحكام و المقاصد. الدراسة مع الاستعانة بأنواع من التفاسير و الدراسات القرآنية أسلمتنى إلى إيمان بأن القرآن ليس كتابا عاديّا، بل هو منهج قائم على الخبرة بالنفس الإنسانية، بل هو معجزة كاملة جاءت على يد محمد صلى اللّه عليه و سلم من لدن خالق

(_____ ۱) هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى، أبو محمد، عالم الأندلس فى عصره، و أحد أئمة الإسلام، ولد فى قرطبة، من مصنفاته: الفصل فى الملل و الأهواء و النحل، و طوق الحمامة، و كتاب الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لمجمل شرائع الإسلام، و غير ذلك. توفى سنة ۴۵۶ ه. الأعلام للزركلى ۵/ ۵۹. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۷ الناس، لتكون بلاغا لهم يهديهم لما فيه صلاحهم و سعادتهم وَ لِيُنْذَرُوا بِهِ وَ لِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَ لِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (إبراهيم/ ۵۲). ۴- النتائج المذكورة حركت بى رغبة تضمينها فى كتاب يبحث فى إعجاز القرآن، و كيف يهدى هذا الإعجاز إلى الإيمان، و ما ينجم عن الإيمان، و ما يتطلبه هذا الإيمان من تصديق بالقول و العمل. و فى مقدمة الدوافع لهذا العمل: أ- بيان أن خير ما قرأت، و ما يمكن أن يقرأه كلّ إنسان، هو القرآن، للميزات المذكورة أعلاه، و لأنه مفتاح العلوم الأخرى، يلى ذلك الكتب المساعدة من دراسات قرآنية و فقهية و ما شابه .. ب- ما لاحظته أثناء كثير من مناقشاتى مع عدد من الأشخاص من إنكار للقرآن أو بعض نصوصه دون البوح بذلك و إنما يستترون بأساليب متعددة أو بأقاويل و تأويلات لبعض المستشرقين، حتى إذا حدّثك أحدهم ادّعى النباهة و نسى أنه حين يتحدث أمام المثقفين الواعين لم يزدد إلّا صغارا، لأن هذه التخرّصات قديمة أشار القرآن إلى كثير منها، و ردّ العلماء قديما و حديثا عليها، ادّعاءات تمهّد إلى إنكار القرآن، فالرسالة، فالوحى، فالخالق أحيانا، وصولا إلى تحقيق رغبات أعداء الدين. ج- لقد درجت كتب العقيدة الإسلامية على البدء بالحديث عن الخالق و وحدانيّته، و لهذا الأسلوب مبررات علمية و منطقية، إنما رأيت أن أصحابها سلكوا فى الدعوة إلى اللّه توجيه الأنظار إلى الكون و المخلوقات متخذين من آيات قرآنية دليلا- للإثبات، مع أن بعض الناس لم يؤمنوا بعد بأن القرآن كتاب اللّه. حتى إذا آمن الإنسان بوجود إله خالق قدير، جاءت مرحلة الدعوة إلى الإيمان بالملائكة و الكتب السماوية و الرسل و اليوم الآخر، و هنا لا بد فى كل مرحلة من تقديم الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۸ البراهين على حقيقتها و على أنّ القرآن كتاب منزل من اللّه وحيا على نبيّه محمد عليه الصلاة و السلام. و مع علمى بأن الطريقة المذكورة تؤتى أكلها أحيانا، و أن سبيل الهداية إلى الإيمان قد يأتى نتيجة طفرة أو حادثة معينة، عامة أو ذاتية. إلّا أننى آثرت البدء بالدعوة إلى قراءة القرآن كمنطلق، اعتقادا منى بأن فئات كثيرة آمنت بوجود اللّه تعالى و لم تؤمن بأنّ القرآن كتاب اللّه عزّ و جل. فكما دعوا الناس إلى النظر فى الآيات الكونية لإثبات خالقها و مدبّرها، أحاول أن أثبت أنّ وراء الآيات القرآنية قائل خالق قدير، فأختصر الطريق، لأنّ من يقرأ (البلاغ) بإمعان و تدبر لا بدّ و أن يصل إلى أن وراء الإعجاز الفكرى و العلمى قائلا عليما خبيرا، فإذا آمن به، وجب عليه التسليم بكل نصوصه الداعية إلى الإيمان باللّه و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر .. و غيرها. أجل من اتجه به عقله إلى إدراك معانى القرآن و ما فيها من إعجاز سيتجه إلى البحث عن مصادر هذا الإعجاز بدلا من اعتراضه على الإكثار من الشواهد القرآنية التى يشكّك فى مصدرها. «أسيد بن حضير» كان رجلا أريبا عاقلا، و سيد بنى عبد الأشهل فى المدينة، فاجأ «مصعب بن عمير» شاهرا حربته، يتوهّج غضبا و حنقا على هذا الذى جاء يفتن قومه عن دينهم، و يدعوهم لهجر آلهتهم، و يحدثهم عن إله واحد. وقف أسيد مهتاجا يخاطبه و أسعد بن زرارة:» ما جاء بكما إلى حيّنا تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إذا كنتما لا تريدان الخروج من الحياة». و فى مثل هدوء البحر و قوته أجاب: «أولا تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمرنا قبلته، و إن كرهته كففنا عنك ما تكره»، ما أروعها من بداية سيسعد بها الختام. هناك أجاب أسيد: «كيف يصنع من يريد أن يدخل

فى هذا الذين؟ «قال له مصعب: «يطهّر بدنه و ثوبه و يشهد أن لا إله إلّا اللّه». الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۹ و قصة إسلام عمر بن الخطاب مشهورة و فيها أيضا ما يؤيّد اتجاهنا، فقد روى المؤرخون أنه حين بلغه خبر إسلام أخته فاطمة- و هى امرأة سعيد بن زيد بن عمر- توجّه إلى دارها غاضبا، فضربها .. ثم أخذ الصحيفة التى كانت تتلوها مع زوجها، و قرأ فيها قوله تعالى: طه، ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشى تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّماواتِ الْعُلى .. (طه/ ۱- ۴). و بعد قراءته لها اطمأن قلبه و توجه إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ليعلن إسلامه «۱». و أنت أيها القارئ تعال و اتل القرآن بصدر منشرح، و تأمل صادق. اقرأه كواحد من الكتب التى تهتم بقراءتها، ثم فكر فى إرشاداته و توجيهاته إلى سلوك النهج العلمى فى الوصول إلى المعرفة، بدءا من الآيات الداعية إلى النظر و التأمّل فى الكون و المخلوقات، إلى أسلوب التعامل مع الآخرين. إلى الآيات التى جاءت متطابقة مع المكتشفات العلمية الحديثة، إلى الآيات التى عرضت قصص أقوام غابرة فيها من العظات و العبر ما يمكن أن يشكل درعا لنا فى المستقبل. فإذا درست القرآن بعيدا عن كلّ تعصب و أنانية، ستدرك أن آياته ليست كلاما نظريا يقرأ فقط، بل توجيها قابلا للتطبيق، استطاع الأوّلون حين تمثّلوه قولا و عملا أن تسود بينهم المحبة و العدالة و أن يصنعوا دولة و حضارة. د- إذا أدركت أن القرآن ليس كغيره من الكتب الموضوعة، و إنما هو كتاب متميز. فابحث عن مصدره، فمن يدرس البلاغ المتميز دراسة موضوعية لا بد أن ترشده الدراسة إلى معرفة صاحب البلاغ. و من آمن بالبلاغ فهم معنى آياته الدالّة على أنه كتاب كريم تنزيل من ربّ العالمين على رسوله محمد صلى اللّه عليه و سلّم عن طريق الوحى الأمين ليكون منهاجا و دستورا لنا أجمعين، يوضح لنا حقوقنا و واجباتنا تجاه الخالق، و النفس، و الأسرة، و المجتمع (_____. ۱) انظر قصة إسلام عمر بتمامها فى: أسد الغابة ۵/ ۵۱۹. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۰ ه- فى سعيك لخدمة وطنك و أمتك ستتعرف على أعداء الوطن و الأمة، و تفتش عن الوسائل التى أمرك بها المنهج القرآنى للتخلص من كيد الأعداء. و لئن جاء هذا الدافع متأخرا فإنه فى الحقيقة أوّل أهداف كتابى هذا. فخصوم القرآن قوى منظمة و متعددة، و القرآن يخاطبنا قائلا: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ (الأنفال/ ۶۰). و هذا الإعداء يبدأ من الإعداد النفسى للفرد و المجتمع: إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ (الرعد/ ۱۱)، ثم بالإعداد المادى و مستلزماته، من التوعية الجهاديّة إلى التنمية فى كافة المجالات. من أجل ما تقدم رأيت أن أطلق على الكتاب تسمية: الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، و الإيمان طريق إلى النجاح. و هذه التسمية تستتبع جعل أبحاث الكتاب فى بابين، آثرت فيهما الوضوح، و لم أتناول كل النقاط بالتفصيل. لم أبتكر فيهما علما جديدا، و لكنى اجتهدت فى اختصار بعض الأبحاث المطوّلة، و انتقاء بعض الفوائد المتعلقة بالموضوع أو نصوص تؤدى الغرض المقصود فى الدعوة إلى التفكر و الاستدلال، و تصنيفها بأسلوب مغاير لما عهدته فى كثير من الكتب أملا بتحقيق الإيمان: الباب الأوّل: الإعجاز فى القرآن: و ضمّنته أربعة فصول: فخصصت الفصل الأول للحديث عن معجزة القرآن، فتناولت معنى الإعجاز، و المعجزة. وجوه الإعجاز كوسائل للاستدلال عن طريق العقل. ثم بحثت فى الاستدلال عن طريق النقل. و أخيرا التعريف بالقرآن، و خصائص التشريع القرآنى. الباب الثانى: فى أغراض القرآن و مقاصده: و ضمنته ثلاثة فصول: بيّنت فى الأول منها كيف أنّ القرآن يهدى إلى العقيدة السليمة و الصحيحة، آتيا على أركان الإيمان. و فى الفصل الثانى علاقة الإنسان المسلم مع خالقه، آتيا فى ذلك على أركان الإسلام. و تناولت فى الفصل الأخير علاقة المسلم مع أسرته و مجتمعه و مع غير المسلمين. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۱

الباب الأول الاعجاز فى القرآن

تمهيد

اشارة

تمهيد قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ العقل، التفكّر، العلم، ثلاث أقنية رئيسية تؤدى إلى المعرفة الصحيحة، و كثيرة هى الآيات القرآنية التى تخاطب العقل، و تحثّ على التفكر فى ملكوت السموات و الأرض، و تحضّ على العلم للوصول إلى شواطئ المعرفة. و فى هذا الكتاب دعوة إلى استخدام هذه الأقنية من أجل فهم القرآن، و إدراك ما فيه من إعجاز.

العقل «۱»:

العقل «۱»: للعقل ثلاثة مفاهيم: ۱- المفهوم اللغوى: يقال: عقل فلان الحبل، بمعنى: ربطه. فالعقل عملية فكرية تقوم على ربط المفاهيم بعضها ببعض، و إدراك ما تشابه منها و ما اختلف، و معرفة علاقاتها جميعا. و قد سمى العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه، أى يمنعه عن التورط فى المهالك. ۲- المفهوم النفسى: تعتبر مرحلة البلوغ فى حياة الإنسان بداية النضوج العقلى، و لذلك قال العرب: عقل الغلام: أى أدرك. و يقال منذ عقلت، أى منذ أدركت. ۳- المفهوم الدينى: و يعنى أن التفكير هو ميزة الإنسان الأولى، و الإنسان أفضل المخلوقات، و فضل الإنسان إنما هو فى عقله، و العقل مناط التكليف. و لذا قالوا: «إذ أخذ ما وهب سقط ما أوجب»، فإذا فقد الإنسان العقل أصبح غير مسئول عن تصرفاته. ا. ه-

(۱)- انظر: علم النفس الإسلامى، معروف زريق، ص ۸۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۴ و هناك كثير من الناس لا يستخدمون عقولهم حق الاستخدام: وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (يوسف/ ۶۸). و للعقل ضرورات إدراكية و أخلاقية، فهو مناط التكليف و مرتكز تحمل المسئولية، و هو الذى يدرك المعقولات و المجردات و المفاهيم، و يعوّض قصور إدراك الحواس، و يقضى على أخطاء الحواس. و قد عظّم القرآن من شأن العقل، و عدّه أداة صالحة لتعرّف الحقائق، و ذمّ الذين يهملون عقولهم فقال: لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها، وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها، وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها، أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ، أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ (الأعراف/ ۱۷۹). و إذا كانت كلمة «عقل» لم ترد فى القرآن، فإنّ تفسير «القلب» إنما كان يعنى «العقل» بالمعنى القرآنى للكلمة، قال أبو الليث السمرقندى: (- ۹۷ ه-) لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أى عقل، لأنه يعقل بالقلب، فكنى عنه، إذ معلوم أن لكل إنسان قلب، و لكن كنّى بالقلب عن العقل لأنه محله و منبعه، كما قال تعالى: فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ «۱»

التفكير «۲»:

التفكير «۲»: هو سلسلة مقصودة من المعانى، ذات طبيعة رمزية، تثار فى المجال الذهنى عند ما يواجه الإنسان مشكلة معينة أو يريد القيام بعمل معين، و لا بد لحدوث التفكير من أربعة أركان: أ- أن الواقع موجود قبل الفكر. ب- وجود دماغ صالح ليستوعب هذا الواقع. ج- وجود الحس، لأن الفكر هو إحساس الدماغ بالواقع عن طريق الحواس. د- لا بدّ للفكر من معلومات سابقة، أو مبادئ فكرية، أو أرضية من المعرفة (۱) انظر العقل و فهم القرآن للمحاسبى، تحقيق القوتلى، ص- ۱۲۰. (۲) عن كتاب علم النفس الإسلامى، ص- ۸۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۵ و عليه يعرّف العقل أو الفكر ب-: نقل الحس بالواقع، بواسطة الحواس إلى الدماغ، و وجود معلومات سابقة يفسر بواسطتها هذا الواقع. أما أهداف التفكير فهى: أ- توسيع آفاق الإنسان العقلية، و زيادة ثقافته و خبراته. ب- فحص المبادئ و المعتقدات، و التأكد من صلاحيتها، و ليس الإيمان بها إلا نتيجة لقناعة الفكر بها. ج- حل المشاكل التى تصادف الإنسان فى حياته، من أمثلة ذلك: حل مشكلة الغواية التى يتردّى بها المنحرفون: وَ قالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِى أَصْحابِ السَّعِيرِ (الملك/ ۱۰) ا. ه- و القرآن حضّ على التفكير، و خاطب كلا من العقل المدرك و العقل المفكر و العقل الوازع. و من أمثلة مخاطبة العقل المدرك: يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إِبْراهِيمَ وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (آل عمران/ ۶۵). كما دلّ القرآن على

أن التفكير هو الوسيلة الأساسية لفحص الحقائق بقوله: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ، وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ، وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها، وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. (البقرة/ ۱۶۴).

العلم:

العلم: العلم بمعناه المطلق هو إدراك الشيء على ما هو عليه فى الواقع بدليل، و العلم يقال لإدراك الكلّى و المركّب «۱». و قيل: العلم هو معرفة الأمور على الصورة الصحيحة عن طريق البحث. أما الجهل فهو معرفة الأمور على الصورة غير الصحيحة. و كما حضّ القرآن على التفكّر، فلفت النظر إلى آيات كثيرة

(۱) الكلّيات: ۳ / ۲۰۴. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۶ انتهت بقوله: أ فلا يتفكرون، أَ فَلا يَعْقِلُونَ، كذلك حضّ الإنسان على العلم، و قد وردت كلمة «العلم و مشتقاتها فى القرآن نحو من ۸۵۴ مرة، أوّلها فى سورة العلق: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ (العلق/ ۱- ۵). فهذا أمر بالقراءة و هى وسيلة التعلم، و كرّر الأمر بالقراءة لما فى تكرار القراءة من زاد للعقل و غذاء للفكر. ثم بيّن أنّ القراءة و الكتابة «القلم» هما وسيلتا التعلم. و جاءت بعدها آيات تحضّ على العلم و تنهى الإنسان عن الحديث أو الفتوى بما ليس له به علم، من ذلك قوله: وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا (الإسراء/ ۳۶). و الكتب التى بحثت فى موقف الدين من العلم، و فضيلة العلم و التعلم، و فى منهج البحث العلمى كثيرة. يقول الأستاذ محمد نمر الخطيب: «لما خلق اللّه الإنسان و أراده على خلافة الأرض زوّده بهذه القوى الهائلة من عقل و إدراك، و أعطاه القدرة على العلم و الاستعداد لكل معرفة، و جعل له طرقا يستفيد منها العلم، و يطل منها على المعرفة. و هذه الطرق لا تعد و لا تحصى، قال تعالى: وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً، وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (النحل/ ۷۸). و القرآن يعبّر بالقلب و يعبّر بالفؤاد عن مجموع مدارك الإنسان الواعية، و هى تشتمل ما اصطلح على أنه العقل» «۱». لهذا فالمرض القلبى لم يرد فى القرآن مرادا به المرض الجسدى الذى يصاب به القلب، و إنما كان المراد به المرض الفكرى كلما نسب المرض إلى القلب: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً .. (البقرة/ ۱۰).

(۱) انظر: مقدمات و أبحاث فى العقيدة الإسلامية، ص ۳۲. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۷

الفصل الأوّل معجزة القرآن الكريم

البحث الأول معنى الإعجاز و المعجزة

الإعجاز فى اللغة:

الإعجاز فى اللغة: نسبة العجز إلى من لا يقدر أن يأتى بمثل ما أتى به غيره.

و الإعجاز فى القرآن:

و الإعجاز فى القرآن: هو قصد إظهار صدق النبى فى دعوى الرسالة بفعل خارق للعادة. «و لا يتحقق الإعجاز إلا إذا توافرت فيه أمور

ثلاثة: ۱- التحدى: أى طلب المباراة أو المعارضة. ۲- أن يكون المقتضى الذى يدفع إلى التحدى أو المباراة قائما. ۳- أن يكون المانع الذى يمنعه من المباراة منتفيا. و القرآن توافرت فيه هذه الأمور الثلاثة. أما التحدى فقد ورد فى آى كثيرة، منها: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ ... (البقرة/ ۲۳ و ۲۴). و منها أيضا: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ، قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (يونس/ ۳۸). و أما قيام المقتضى للمباراة أو المعارضة عند العرب، فإنّ محمدا أخبرهم أنه رسول اللّه، و جاءهم بدين يبطل دينهم و تقليد آبائهم، و سفّه عقولهم و آمالهم، و سخر من أوثانهم، و هزأ بعبادتهم، و دليله القرآن، فكانوا أحوج الناس إلى دحض ما ادعاه و إبطال ما أتى به، دون أن يضطروا إلى شهر السيف فى وجهه، كما يبذل المحرج فى آخر وسعه. فاختاروا ذلك مكرهين، و أذعنوا لعظمة القرآن صاغرين الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۹ دون مباراة و لا معارضة. و أما انتفاء المانع من معارضة القرآن، فلأنه نزل بلسان عربى مبين، فأحرفه من أحرف العرب، و عباراته من أسلوب العرب، و معانيه من مألوف العرب، و هم أرباب البلاغة و البيان، و ملوك الفصاحة، و فرسان الخطابة، و أساطين الشعر. و لهم فى ذلك مواقف مشهورة و أسواق معروفة، و لم يحدد للمعارضة أجل معيّن، و لا نزل القرآن جملة واحدة، مما يسهل المعارضة و يتيح لهم الإعداد و التمكين لإحراز السبق، فعجزوا و وهنوا» «۱». فالمعجزة خرق للعادة، مقرونة بالتحدى، و لا يستطيع أحد معارضتها. و قد ترافقت دعوة عدد من الأنبياء بأمور خارقة لسنن الكون و نواميسه، هذه الخوارق للمعتاد و المألوف فى ذلك الزمن هى ما يسمى بالمعجزات. و القرآن أطلق عليها لفظ: «الآيات». فمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم جاء و العرب قوم بلاغة و فصاحة، فتحداهم بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه، و هو بلاغة القرآن، كما جاء موسى عليه السلام إلى قوم برعوا بالسحر، و عيسى عليه السلام إلى قوم فيهم من برع بالطب و العلاج.

(_____ ۱) الوسيط فى أصول الفقه الإسلامى، للدكتور و هبة الزحيلى ص ۲۲۱. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۰

البحث الثانى ميزات معجزة القرآن

اشارة

البحث الثانى ميزات معجزة القرآن تختلف معجزة القرآن عن معجزات الرسل السابقين بجوانب عديدة أهمها:

۱- معجزة القرآن مستمرة

۱- معجزة القرآن مستمرة ، فمعجزات الرسل كانت معجزات كونية من رآها آمن بها، و من لم يرها صارت عنده خبرا، إن شاء صدّقه، و إن شاء لم يصدّقه، أما معجزة القرآن فهى معجزة عقلية باقية خالدة فى نوعها و أدائها، أساسها الإعجاز بالطريقة التى تمت بها.

۲- معجزة القرآن هى المنهج ذاته

۲- معجزة القرآن هى المنهج ذاته ، فمعجزة موسى عليه السلام العصا، و منهجه التوراة. و معجزة عيسى عليه السلام الطب، و منهجه الإنجيل. أما معجزة محمد عليه السلام فهى عين منهجه، ليظل المنهج محروسا بالمعجزة، و تظل المعجزة فى المنهج الذى تكفل اللّه تعالى بحفظه، فقال: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (الحجر/ ۹)، تكفل بحفظه ليبقى بنصه المعجز، و لأن العباد قاموا بتحريف

الكتب السابقة، أو بتحريف بعض نصوصها، و قد نوّه القرآن إلى ذلك فى مثل قوله: مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ .. (النساء/ ۴۶)، و قال أيضا: فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ .. (المائدة/ ۱۴). و حتى فى عصرنا الحديث نجد اختلافا بين الأناجيل، و اختلافا بين طبعة و أخرى من الكتاب المقدس «العهد القديم و العهد الجديد»، و قد قام بعض العلماء و المفكرين بفضح هذا التحريف و التعديل، أمثال الفيلسوف الساخر «برناردشو». و قد كشف العالم «أحمد ديدات» أن الإنجيل الذى أوحاه اللّه إلى عيسى ليس بين الأناجيل الحالية التى يضمها العهد الجديد، و أن الكتاب المقدس يتضمن خمسين ألف خطأ، و شرح ست نقاط الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۱ كانت موضوعا لجهود بالغة من علماء الكتاب المقدس فى مراجعتهم التراجم لإصدار النسخة القياسية المعتمدة و هى (R. S. V)، و كيف تتسبب الترجمة و التنقيحات بتحريفات كثيرة و ثغرات عديدة تتضح أثناء مقارنة النصوص بالأسفار. «كيف دسّ أبناء الكنيسة المسيحيون سلسلة نسب يسوع المسيح، الزناة، و مرتكبى الفواحش فى المحارم .. ذرية تتسلسل من يهودا إلى «يوسف» خطيب مريم أم يسوع، ذرية من الزنا و العهارة فى العهد القديم لتكون سلسلة نسب ربهم و مخلصهم يسوع المسيح سجلها البشيرون فى أناجيلهم من كتاب العهد الجديد» «۱». كما ذكر الدكتور مصطفى محمود أن عدد التحريفات التى قامت بها إسرائيل لتبرئة اليهود من دم المسيح بلغ فى أناجيل متى و مرقس و لوقا و يوحنا ۳۵۱ تحريفا. «أما فى سفر أعمال الرسل فبلغت جملة التحريفات ۱۶۵ تحريفا و فى الرسائل الأخرى- الرسالة إلى أهل رومية ۶۲ تحريفا .. و الرسالة إلى أهل كورنثوس ۱۷ تحريفا .. و الرسالة إلى أهل غلاطية ۱۲ تحريفا-.» «۲». فى الوقت ذاته نرى القرآن ينتشر فى كل مكان من العالم، لدى المسلمين و غيرهم، مع تفنن فى الطباعة و الشكل و التسجيل، دون تعديل فى نص من نصوصه الخالدة.

۳- معجزة القرآن متجددة

۳- معجزة القرآن متجددة ، تعطى كل جيل عطاء يختلف عن عطاء من سبقه، و لكل عقل حاجته، و بنفس الآية. هناك آيات تعطينا الآن عمقا جديدا فى معناها، لم يصل إليه أحد فى وقت نزول القرآن، صحيح أن الأحكام التكليفية لا تتغيّر فيها، إلّا أن هناك أشياء متصلة بقوانين الخلق و الكون لم يكن للعقل البشرى الاستعداد العلمى وقت نزولها ليفهمها تماما، مثل كروية الأرض، و علم الأجنّة .. مثل هذه الآيات مرّ عليها النبىّ مرورا و ترك للعقل البشرى أن يأخذ قدر حجمه،

(_____ ۱) انظر: هل الكتاب المقدس كلام اللّه، ص ۳۰۷. (۲) انظر: القرآن كائن حى، ص ۷۹- ۸۸ لترى الفرق بين النسخ المعتمدة و النسخ المزوّرة. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۲ فإذا ما كشف التقدم العلمى عن سرّ من أسرار هذا الكون رجعنا إلى الآية نفسها نجدها تؤدى المعنى نفسه، و هذا ما أعود إلى توضيحه فى بحث قادم.

۴- معجزة القرآن للعالم كله

۴- معجزة القرآن للعالم كله ، لقد تحدى القرآن العرب بالدرجة الأولى، لأنه جاء من جنس ما نبغوا فيه. و لكن التحدى فى القرآن ليس للعرب وحدهم، بل هناك إلى جانب الإعجاز اللغوى و الفكرى أدلة أخرى تؤكد أنه لم يأت لقوم دون قوم، أو لأمة دون أمة، أو لزمن دون آخر، و إنما جاء لكل إنسان: هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ ..، يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا .. (الحجرات/ ۱۳). و آية ذلك أن أول الداخلين فيه لم يكونوا عربا و حسب، و لم يكونوا ذوى ديانة واحدة. فقد دخل فى الإسلام العربى و غير العربى، و دخل فيه الوثنى و المجوسى و اليهودى و المسيحى، و السيد و العبد، و كل هذا برهان على أنه موجه لكل الناس .. يقول الشيخ متولى الشعراوى: «مع تعدد الاتصالات و سهولتها، توحدت الداءات، فكان لا بدّ من وحدة العلاج. فمثلا

الدعاية للكفر و الشيوعية داء استشرى فى كل أنحاء العالم، و النظام المالى و الربا نجده فى الدنيا كلها، أكل المال بالباطل، و السرقة داء استشرى فى معظم دول العالم .. إذن الداءات أصبحت واحدة، و هذا يقتضى وحدة العلاج. و هذا من معجزات القرآن، فقد جاء بوحدة العلاج قبل أن تتحقق وحدة الداء، فسبق بذلك علم البشر .. و لكن التحدى للعالم لا يمكن أن يكون باللغة، فاللغات مختلفة، فبما ذا تحدّاهم؟ لقد تحدى العالم بالعلم، و كان التحدى مطلقا. تحداهم فى سورة الحج أن يخلقوا ذبابة .. وصل الإنسان إلى القمر، و قد يصل إلى المريخ، أو إلى ابعد من ذلك، و لكن لن يستطيع أن يخلق ذبابة، و هو طلب ضعيف جدا فى ملايين الكائنات، لذلك جاء فى آخر الآية: ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ (الحج/ ۷۳). ثم تحدى العالم باستمرار الحياة فقال: الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۳ أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ. أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (الواقعة/ ۶۸ و ۶۹). و تحدى بالهرب من الموت فقال: أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ (النساء/ ۷۸). و تحدى العالم كله بخمس مغيبات فى الآية التالية: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَ يَعْلَمُ ما فِى الْأَرْحامِ، وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً، وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ (لقمان/ ۱۳).» «۱». فالقرآن كان و ما يزال يتحدى العرب و غير العرب، و يحمل عشرات التحديات للعالم و لكل العصور. و هذا ما سنوضحه فى الفصل التالى_____.

(۱) معجزة القرآن، ص ۴۰. طبعة القاهرة. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۵

الفصل الثانى وجوه الاعجاز فى القرآن

اشارة

الفصل الثانى وجوه الاعجاز فى القرآن الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۶ اتفق العلماء على أن القرآن أعجز العرب من نواح متعددة، و أن العقول لم تصل إلى كل نواحى الإعجاز فى القرآن، فكلما تدبر الناس القرآن زادت آياته عمقا وسعة. و كلما كشف البحث العلمى عن أسرار الكون تجلت نواح أخرى من نواحى الإعجاز. و هناك كتابات كثيرة و مؤلفات قديمة و حديثة تطرقت إلى الإعجاز فى القرآن، و تكاد تنحصر تفصيلاتها فى الوجوه التالية: ۱- فصاحة الألفاظ، و بلاغة التعبير، و قوة التأثير. ۲- إخبار القرآن بوقائع أو مغيبات لم تكن معلومة. ۳- انطباق آى القرآن على ما يكشفه العلم اليقينى. ۴- اتساق عبارات القرآن و معانيه، و شمول أحكامه و أغراضه. و هذه الوجوه مترابطة فى خدمة هدف واحد هو بيان الإعجاز فى القرآن. و لكن قد يتجلى الإعجاز للأديب فى مضامين الوجه الأول أكثر مما يتجلى للعالم الذى قد يراه فى الوجه الثانى أو الثالث .. و آخرون يرون الإعجاز فى تنوع أحكام القرآن و أغراضه، حيث لم يترك أمرا فيه نفع للناس إلّا و لفت نظرهم لاتباعه. و هذا ما دعانى إلى تخصيص بحث مستقل لكل وجه من وجوه الإعجاز المذكورة. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۷

البحث الأوّل فصاحة الألفاظ* بلاغة التعبير* قوة التأثير

الفصاحة

الفصاحة تعنى أن تكون الكلمات ظاهرة بيّنة، أى ألفاظها مفهومة، سهلة النطق، مألوفة الاستعمال، و أن يكون التركيب «الأسلوب» بعيدا عن تنافر الألفاظ و ضعف التأليف و التعقيد فى فهم المراد منه.

و البلاغة

و البلاغة تعنى تأدية المعنى بعبارة فصيحة واضحة، مناسبة للمقام. فهى لفظ و معنى، و تأليف للألفاظ يمنحها قوة تأثير و جمال، نتيجة دقة الاختيار للألفاظ و جودة السبك، بما يناسب بواعث الكلام و حال السامعين، فيراعى البليغ المستوى الثقافى و الاستعداد النفسى و الوضع الاجتماعى عند سامعيه. أقسام البلاغة: تنقسم علوم البلاغة إلى ثلاثة أقسام رئيسية: البيان- المعانى- البديع. أولا) علم البيان: هو الإبانة بنطق واضح عمّا فى النفس. و أهم وسائله: التشبيه- الاستعارة- الكناية. ۱- التشبيه: هو عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر، تجتمع فيهما صفة أو أكثر، مثل: خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ (الرحمن/ ۱۴). أما خصائص التشبيه فى القرآن فهى: أ- يستمد عناصره من الطبيعة، و يتميز بالدقة، مثل: وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (القارعة/ ۵) فلم يكتف بتشبيه الجبال يوم القيامة بالعهن، بل وصفه بالمنفوش، للدقة فى تصوير هشاشة الجبال. ب- يختار الألفاظ الدقيقة الموحية، مثل: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۸ سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ (الصف/ ۴). ج- يهدف التشبيه فى القرآن إلى التأثير فى العاطفة، بل إلى التصوير و التأثير معا. فإذا أراد القرآن أن يبين قدرة اللّه على أن يأتى بيوم القيامة بأسرع مما يتصور المتصورون، لجأ إلى أسرع ما يراه الرائى، فاتخذه مثلا يؤدى إلى الهدف فيقول: وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ (النحل/ ۷۷)، و يقرّب أمر البعث إلى الأذهان بتوجيه النظر إلى بدء الإنسان، و أن هذا البعث صورة من هذا البدء، فيقول: كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (الأعراف/ ۲۹) «۱» ۲- الاستعارة: أسلوب من التعبير مبنى فى أصله على التشبيه، و هو على أنواع، منه: الاستعارة المكنية، كقوله: وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ (التكوير/ ۱۸). و أهم عناصرها اختيار الألفاظ المتناسقة و المؤتلفة مع بعضها و مع معانيها، و نلمس ذلك فى الآية التالية: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ (النحل/ ۱۱۲). يضاف إلى ذلك استخدام الألفاظ التى وضعت للدلالة على الأمور الحسية فى الدلالة على الأمور المعنوية. ۳- الكناية: هى لفظ أو تعبير يقوم على التلازم بين المعنى الظاهر و معنى آخر هو المراد. و الكناية القرآنية نراها حينا راسمة مصوّرة موحية، كما فى قوله: وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً (الإسراء/ ۲۹) كناية عن التقتير بربط اليد إلى العنق، لأنها حينئذ لا تخرج مالا، و كنّى عن الإسراف و التبذير ببسط اليد، لأنها حينئذ مفتوحة دائما، و كثيرا ما نجد فى الآية الواحدة أكثر من صورة بيانية واحدة، مثل: (_____ ۱) التعبير الفنى فى القرآن، د. بكرى شيخ أمين، ص ۱۹۶. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۹ نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ (البقرة/ ۲۲۳). ثانيا) علم المعانى: هو المعرفة بالأساليب التى تؤدى المعنى دون خطأ، و هذا يفترض مراعاة المستوى الفكرى و المعنوى لمن يتلقى القول. و يتميز عن علم البيان بمعالجة نوع الجمل المستخدمة، و هى إما أن تكون خبرية أو إنشائية، فالأولى تفيد السامع بأن المتكلم يعلم بالخبر أو الحكم الذى فى الجملة، و الثانية تفيد الأمر أو النهى أو الاستفهام، مثل: وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ .. (الإسراء/ ۳۴). ثالثا) علم البديع: ينفرد بالتعبير عن المحسنات البيانية التى تدخل على الأسلوب، و قد تدخل على الألفاظ، فترى كلمة واحدة تؤدى معنيين مختلفين، مثل: وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ (الروم/ ۵۵) فالساعة الأولى تعنى القيامة، و أما الساعة الثانية فهى الزمنية أو الفترة من الوقت. و قد تدخل المحسنات على المعانى فإذا جاءت عفوية أكسبتها جمالا. و يعتبر «ابن المعتز» «۱» أول من خصص كتابا للحديث عن علم البديع، و جاء بعده «أبو هلال العسكرى» «۲» و ألف كتاب «الصناعتين: النثر و الشعر»، و قال فى مقدمته: (إن أحق العلوم بالتعلم و أولاها فى التحفظ بعد المعرفة باللّه تعالى: علم البلاغة و معرفة الفصاحة الذى به يعرف إعجاز كتاب اللّه تعالى) «۳». و هكذا تم (_____ ۱) هو عبد اللّه بن محمد المعتز باللّه، ابن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسى. أبو العباس، الشاعر المبدع، خليفة يوم و ليلة. ولد ببغداد و أولع بالأدب. صنّف كتبا منها البديع. توفى سنة ۲۹۶ ه-. الأعلام للزركلى، ۴/ ۲۶۱. (۲) هو الحسن بن عبد اللّه بن سهل بن سعد بن يحيى بن مهران العسكرى، أبو هلال: عالم بالأدب، له شعر، نسبته إلى عسكر مكرم من كور الأهواز. من كتبه جمهرة الأمثال،

و الأوائل، و غير ذلك. توفى بعد سنة ۳۹۵ ه-.- الأعلام للزركلى: ۲/ ۲۱۱-. (۳) التعبير الفنى فى القرآن، ص ۱۶۱. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۳۰ الربط بين محاولات تفسير سر الإعجاز القرآنى و بين العلوم البلاغية. ثم جاء «عبد القاهر الجرجانى» «۱» فألف كتابين بارزين فى تاريخ النقد و البلاغة، هما: (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، و خصص الأول لتحليل النماذج القرآنية، و أشار فيه إلى التصوير القرآنى و التناسق الجمالى فيه. فقد آمن بأن القرآن معجز بنفسه، و أسباب إعجازه كامنة فيه .. و لم يؤمن بأن الإعجاز ناشئ من تخير مفرداته، و لا من موسيقاه المتكونة من مواقع حركاته و سكناته، و لا من الفواصل التى فى آخر الآيات. و لم يؤمن بأن مصدر الإعجاز وحده كان فى الاستعارة و الكناية و ألوان المجاز التى تنثر هنا و هناك فى القرآن، لأن ذلك يؤدى إلى أن يكون الإعجاز فى آيات معدودة هى التى اشتملت على الاستعارة و ما معها من كناية و مجاز. و لم ينكر أن الاستعارة و نظائرها من جملة ما القرآن معجز به، لأنها من مقتضيات النظم. فألّف هذا الكتاب ليكشف به سر النظم، و يوضح وجوه دلالته، و خلص من الجهود التى بذلها فى (دلائل الإعجاز) إلى: «أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه فى معانى النحو و أحكامه و وجوهه و فروقه، و لم يعلم أنها معدنه و موضعه و مكانه، و أنه لا مستنبط له سواها، و ألّا وجه لطلبه فيما عداها، غارّ نفسه بالكذب من الطمع و مسلم لها من الخدع» «۲» و كأنه عند ما وصل إلى هذه الغاية وضع القلم و تركنا نطبق المقياس الذى نهتدى به إلى إعجاز القرآن، و هو بلاغته التى ترتفع به إلى أسمى الدرجات. فبيّن معنى البلاغة

(_____ ۱) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانى، واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، له شعر رقيق. من كتبه أسرار البلاغة، و دلائل الإعجاز. توفى سنة ۴۷۱. الأعلام للزركلى ۴/ ۱۷۴. (۲) انظر: (عبد القاهر الجرجانى و جهوده فى البلاغة العربية) د. أحمد أحمد بدوى، ص ۱۱۶. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۳۱ «و ترك للقارئ تطبيق فكرته على القرآن بعد أن يهضمها و يؤمن بها ليصل إلى إعجازه بنفسه .. فكتاب دلائل الإعجاز يعطيك المفتاح، و يضع فى يدك المقياس لتصل به إلى معرفة الإعجاز فاستحق بذلك أن يقدّر جهده». «۱» و من بعد الجرجانى جاء الإمام الزمخشرى «۲» الذى كشف عن أوجه جديدة فى التعبير القرآنى فى كتابه (الكشّاف) وصل إليها من تفسيره اللغوى و البلاغى لآيات القرآن. و من الذين وجهوا عنايتهم للأسلوب القرآنى و المعانى و النظم، وصلته بالمعنى و اللفظ: أبو عبيدة (معمر بن المثنى) فى كتابه (مجاز القرآن) الذى أراد به أن ينفى عن القرآن خروجه على أساليب العرب و طرق تعبيرهم «۳». و ابن قتيبة فى كتابه (تأويل مشكل القرآن) «۴» و يعد كتابه امتدادا لكتاب مجاز القرآن، تحدث فيه عن سمو بيان القرآن، و عن بيان العرب و فنون بلاغتهم، و عن العلوم و المعانى التى

(_____ ۱) المصدر السابق، ص- ۳۵۳. (۲) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمى الزمخشرى، جار اللّه، أبو القاسم. من أئمة العلم بالدين و التفسير و اللغة و الآداب، كان معتزلىّ المذهب، شديد الإنكار على المتصوفة. من كتبه: الكشّاف، و أساس البلاغة، و غير ذلك. توفى سنة ۵۳۸ ه-.- الأعلام للزركلى ۸/ ۵۵-. (۳) معمر بن المثنى: أبو عبيدة النحوى التيمى بالولاء، البصرى، من أئمة العلم بالأدب و اللغة، كان إباضيا شعوبيا، من حفّاظ الحديث. من مؤلفاته: مجاز القرآن، و نقائض جرير و الفرزدق. توفى سنة ۲۰۹ ه-.- الأعلام للزركلى ۸/ ۱۹۱-. (۴) هو أبو محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينورى، فارسى الأصل. من أئمة الأدب، ولد ببغداد، و سكن الكوفة، ولّى قضاء الدينور مدة فنسب إليها، من كتبه: أدب الكاتب، و المعارف. توفى ببغداد سنة ۲۷۶ ه-. الأعلام للزركلى ۴/ ۲۸۰-. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۳۲ ضمها، و مظاهرها المختلفة فى الكون، و ما فيه من أثر نفسى يثير الوجدان عن طريق الشعور و يهز القلوب. و من الذين أفردوا للإعجاز القرآنى كتابا مستقلّا باسم (إعجاز القرآن) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى (۴۰۳ ه-، ۱۰۱۲ م)، و قد استهل كتابه بالتعريض لمطاعن الملاحدة على أسلوب القرآن، مبيّنا أن الحاجة إلى الحديث فى إعجاز القرآن أمس من الحاجة للمباحث اللغوية و النحوية «و يخصص فصلا لبيان وجوه الإعجاز القرآنى فى رأيه و رأى الأشاعرة من أصحابه، و يردها إلى ثلاثة أوجه: الوجه

الأول: تضمين القرآن الأخبار عن الغيب. الوجه الثانى: إتيان القرآن بجملة ما حدث من بدء الخليقة إلى حين بعثة محمد صلّى اللّه عليه و سلم مع كونه أميا لا يعرف شيئا من كتب السابقين و أنبيائهم. الوجه الثالث: بديع نظمه، و عجيب تأليفه، و تناهيه فى البلاغة. و فى حديث الباقلانى عن كيفية الوقوف على إعجاز القرآن يقول: إنه لا يقف عليه إلا من عرف معرفة بيّنة وجوه البلاغة العربية، و تكونت له فيها ملكة يقيس بها الجودة و الرداءة فى الكلام، بحيث يميز بين نمط شاعر و شاعر، و نمط كاتب و كاتب، و بحيث يعرف مراتب الكلام فى الفصاحة» «۱» و لقد أثار الإعجاز القرآنى مباحث كثيرة على جانب عظيم من الأهمية. و من الكتب التى تناولت هذه المباحث أذكر: ۱- كتاب (الإتقان فى علوم القرآن) للسيوطى «۲» و فيه يدرس تشبيه القرآن، و استعارته، و كنايته، و حقيقته، و مجازه، و إيجازه و إطنابه، و خبره و إنشاءه، و أمثاله،

(_____ ۱) التعبير الفنى فى القرآن، ص- ۱۶۹- ۱۷۲. (۲) السيوطى: هو عبد الرحمن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى، جلال الدين، بين عامى (۸۴۹- ۹۱۱ ه-)، إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو ستمائة مصنف منها الكتاب الكبير، و الأشباه و النظائر.- الأعلام للزركلى ۴/ ۷۱-. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۳۳ و أقسامه. ۲- كتاب (فى ظلال القرآن) لسيد قطب: و يعتبر أحدث تفسير أدبى مع كتابيه: (التصوير الفنى فى القرآن) و (مشاهد القيامة فى القرآن). و مما يقوله فى هذا الصدد: «فالقرآن يعبّر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهنى، و الحالة النفسية، و عن الحادث المحسوس، و المشهد المنظور، و عن النموذج الإنسانى، و الطبيعة البشرية، ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهنى هيئة أو حركة، و إذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، و إذا النموذج الإنسانى شاخص حى، و إذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ... و الأمثلة على هذا الذى نقول هى القرآن كله، حيثما تعرض لغرض من الأغراض التى ذكرناها .. فليس هو حلية أسلوب، و لا فلتة تقع حيثما اتفق، إنما هو مذهب مقرر، و خطة موحدة، و خصيصة شاملة، و طريقة معينة، تستخدم بطرائق شتى، و فى أوضاع مختلفة، و لكنها ترجع فى النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة: قاعدة التصوير» «۱». و هكذا نرى «سيد قطب» فى فصول كتابه: (التصوير الفنى فى القرآن) يذكر الدليل تلو الدليل على صحة و سلامة فكرته. ففى الفصل الأول روى لنا كيف سحر القرآن العرب من اللحظة الأولى، و فى الثانى تحدث عن منبع السحر القرآنى من صميم النسق القرآنى، و مما قاله حول سورة «العلق»: «هذه هى السورة الأولى فى القرآن فناسب أن يستفتحها بالإقراء، و ليبدأ من الخلق برحلة أولية صغيرة: خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ منشأ صغير حقير، و لكن الرب الخالق كريم، فقد رفع هذا العلق إلى إنسان كامل، يعلّم فيتعلّم: اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ (العلق/ ۳- ۵)، و إنها لنقلة بعيدة بين ذلك المنشأ و هذا المصير، و هى تصور هكذا، مفاجأة بلا تدرّج، و تغفل المراحل بين

(_____ ۱) التصوير الفنى فى القرآن ص- ۳۴. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۳۴ المنشأ و المصير، لتلمس الوجدان الإنسانى لمسة قوية فى مجال الدعوة الدينية، و فى مجال التأملات الوجدانية. و لقد كان من المتوقع أن يعرف الإنسان هذا الفضل العظيم، و أن يقر بتلك النقلة البعيدة، و لكن: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى (العلق/ ۶ و ۷). لقد برزت إذن صورة الإنسان الطاغى الذى نسى منشأه، و أبطره الغنى، فالتعقيب التهديدى السريع على بروز هذه الصورة هو: إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى (العلق/ ۸)» «۱». و سار الباحثون الجدد على نهج «سيد قطب»، و من هؤلاء الباحثين: الدكتور «مصطفى محمود» الذى يقول: «لقد انفرد القرآن بذروة فى البلاغة، و قمة فى البيان، و جمال فى الأسلوب، لم يطاوله فيه كتاب، و قد أفاض القدماء فى هذا و أغنونا، لكن يظل هناك وجه معجز من وجوه الإعجاز فى القرآن، ربما كان أهم من كل هذه الوجوه، و هو ما أسميه بالمعمار أو البنية الهندسية، أو التركيب العضوى، أو الترابط الحى بين الكلمة و الكلمة .. و ما أشبه القرآن فى ذلك بالكائن الحى. الكلمة فيه أشبه بالخلية، فالخلايا تتكرر و تتشابه فى الكائن الحى، و مع ذلك فهى لا تتكرر أبدا، و إنما تتنوع و تختلف، و كذلك الكلمة القرآنية فهى تتفرع عبر التكرار الظاهر لتعرض مشاهد تكمل بعضها بعضا، تماما كما

تنقسم خليـة الجنين لتعطى خلايـا الرئتين و القلب و الكبـد و الأحشاء و العظام و الجهاز العصـى إلى أن تعطينا إنسانا كاملا. و قـد جاء كل هـذا التنوع من خلايا متشابهـة، فـذلك هو التفصـيل الـذى كان مجملا فى الخليـة الأولى للجنين .. و كمثال نأخـذ كلمة العلم فى القرآن، فنجد أن العلم يأتى فى البداية مجملا بمعنى النظر فى خلق السـموات و الأرض، ثم نجد هذا النظر يأتى بعد ذلك مفصلا إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (الغاشيـة/ ۱۷ - ۲۰)

(_____ ۱) التصـــوير الفنى فى القرآن، ص-

۲۹. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۳۵ و هذه هى علوم الأحياء، و الفلك، و الجيولوجيا، و الجغرافيا، كما نعرفها الآن. ثم ينقلنا إلى نظر من نوع آخر: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ .. (الروم/ ۴۲) و ذلك هو النظر فى التاريخ، ثم تنوّع آخر: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ (العنكبوت/ ۲۰) ذلـك هو النظر فى التطور و علم الأجناس. كيف كانت بدايـة هـذا كله؟: خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ (النور/ ۴۵)، وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ (فـاطر/ ۱۱)، وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (المؤمنون/ ۱۲). ذلك هو الأمر كما ورد مجملا فى البداية .. ثم جاء بعد ذلك التفصيل: مِنْ نُطْفَةٍ ثم تفصيل أكثر نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى (القيامة/ ۳۷)، ثم ترى النطفة تأتى فى أكثر من عشـرة مواضع، فنجدها فى كل مرة تأتى بمشـهد تفصيلى مختلف نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ (الدهر/ ۲) أى أخلاط من صـفات و خصائص متنوعـة، و ذلك هو ما نعرفه الآن بالجينات الوراثيـة. ثم يأتينا تفصـيل أكثر بأن النطفة هى التى تحـدد جنس المولود خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الـذَّكَرَ وَ الْأُنْثى مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنى (النجم/ ۴۵ و ۴۶)، ثم تفصـيل ثالث و هو أن هذه النطفة مقدرة بتركيبها هذا من الخالق مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (عبس/ ۱۹)، ثم ينقلنا إلى مشهد مكانى ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ (المؤمنون/ ۱۳)، تلك النطفـة مسـتقرها الرحم. ثم ينقلنا إلى مشـهد زمانى، فيضع هـذه النطفة فى سـياقها التاريخى، و يربطها ببدئها الأول السـحيق، من التراب فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ (الحج/ ۵) ثم يعطينا تفاصيل أكثر لما حدث فى السياق التاريخى .. ثم يعطينا مشـهدا آخر تفصـيليا عن تسـلسل النطفـة فى مراحل خلق الجنين: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَـةَ عَلَقَـةً، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَـةَ مُضْـغَةً، فَخَلَقْنَا الْمُضْـغَةَ عِظاماً، فَكَسَوْنَا الْعِظـامَ لَحْمـاً، ثُمَّ أَنْشَأْنـاهُ خَلْقـاً آخَرَ، فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ (المؤمنون/ ۱۴)، ثم مشـهد عتـاب و مؤاخـذة: الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمـان، ص: ۳۶ أَ كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (الكهف/ ۳۷). و هكذا تتكرر كلمـة «النطفـة» و لا تتكرر أبـدا، و إنما تحمل فى كل مرة مشـهدا جديـدا، بحيث يتكامل معناها فى الذهن كما يتكامل كائن حى من بذرة تنمو شيئا فشيئا إلى نبات كامل. ثم ينتقل فى مدارج العلم من النطفة نزولا حتى أصغر شىء يصل إليه العلم: الذرّة و مثقال الذرّة، فيلفت النظر إلى أن هناك أصـغر من مثقال الذرّة لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرُ (سبأ/ ۳)، ثم يعود فيلفت نظرنا إلى أن كل هـذه العلوم التى أشار إليها إنما هى علوم كونية خاصة بالكون الخارجى، و ما فيه من نبات و حيوان و إنسـان و جبـال .. و لكن هنـاك نوع آخر من العلم مطلوب منـا أن ننظر فيه، و ذلك هو العلم بالنفس: وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ (الذاريات/ ۲۱). ثم نوع آخر أكبر من العلم بالنفس، هو العلم باللّه: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ .. (محمد/ ۱۹) و هكـذا تتكرّر كلمـة العلم فى القرآن، فلا تتكرر، و إنمـا تتفرّع و تتنوّع، فهنـاك علم بالكون، و علم بالنفس، و علم باللّه .. ثم تنفصـل هـذه العلوم فى حـدودها و أنواعها فى رحلة الكلمة داخل القرآن .. و العلوم الكونية وحدها لا تصنع من الإنسان عالما، فالعلم بظواهر الأشـياء و مقاديرها و علاقاتها هو دائما علم ناقص، و أهل الغفلة هم الذين يقتصرون على هذه العلوم الظاهرة: يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الـدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ (الروم/ ۷). و هكذا يتجلى لنا من خلال بيان المعمار أو البنية الهندسـية للكلمة القرآنية أن الإعجاز القرآنى ليس فى البلاغـة و الفصاحـة فحسب بل و يتجلى كـذلك فى كونه تحـدث عن دقائق العلوم، و أن العلم الذى يدعونا القرآن للاهتمام به هو العلم بصـفة عامـة، علم الإنسان و الفيزيولوجيا، علم النفس، علوم الـدين، و هناك آيات الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۳۷ أخرى تشـير إلى التاريـخ و الجغرافيا بل إلى علوم الفضاء، و إلّا فما هو المقصود من قوله: يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ (الرحمن/ ۳۳) علما بأن الآية المذكورة شرطيّة، فالنفاذ

وارد و لكن مشروط بالسلطان، و السلطان كما ذكر أكثر العلماء إنما هو العلم أو القدرة و هى أيضا يمكن أن تكون نتيجة العلم. و لنا عودة تفصيلية حول بعض الآيات القرآنية فى مجال الكشف العلمى و انطباق آيات القرآن على العلم. تحت عنوان: (علماء الطبيعة كيف يقرءون القرآن) أشار الدكتور عبد المحسن صالح إلى أن إعجاز القرآن يكمن فى صلاحيته لكل مستويات التفكير عند الإنسان «ينهل منه رجل الدين بقدر ما تمكن عليه ثقافته الدينية، ثم يأتى رجل العلوم التجريبية ليقرأ القرآن قراءة الباحث المدقق رابطا النظريات و القوانين بالحقائق .. إذا قرأ رجل العلم القرآن بعقل متفتح، فلا شك أنه سيتوقف عند بعض آيات يرى فيها من الإعجاز ما لا يستطيع رجل الدين أن يراه، من ذلك: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (الأنعام/ ۹۵). لهذه الآية معنى ظاهر و باطن، من معناها الظاهر: أن اللّه تعالى هو المهيمن بقوته على مصير الحبة الجافة و النواة الساكنة، فيهب كليهما الحياة، و تنشق كل منهما عن جنين أو باذرة صغيرة فيها حياة بعد سكون، فنراها و قد ارتفع ساقها إلى الشمس و الهواء، و يتجه جذرها إلى الأرض باحثا عن عناصر الغذاء .. و عن طريق العلم عرفنا أن للحبة أو نواة البلحة نوى من داخل نوى، و أنه جميعا ينفلق. فى فلقة تكمن فكرة الموت و الحياة .. إنّ لكل شىء فى الكون مركزا أو نواة، و لا يقتصر هذا على نظرتنا القاصرة فى نواة البلحة، أو ما شابهها كما يذهب البعض فى التفكير و التفسير. و لكننا نرى فيها صورا رائعة نستطيع أن ننهل الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۳۸ من مواردها الكثير .. فللذرّة نواة، و قد تنفلق النواة أو تنشطر ثم تلتحم .. و لا- تحسبنّ أنّ الإنسان هو الذى قام بشطر نواة الذرّة ليستخرج منها الطاقة الذريّة، و لكن هذه العملية موجودة قبل أن يظهر الإنسان ببلايين السنين .. و هى الأساس الذى تقوم عليه حياة شمسنا من قديم الأزل .. فهناك موت و حياة على المستوى الذرى، و كذلك على المستوى الشمسى أو النجمى، و الموضوع بعد ذلك طويل جدا .. و بعد الذرّة تأتى الجزيئات صغيرها و كبيرها .. و من المؤكد أن الحياة بدأت بخلية ملقحة، جاء نصفها من الأب و نصفها من الأم فأصبحت واحدا، و الواحد ينقسم إلى اثنين فأربعة فثمانية ف- ..، فلق من وراء فلق ن لتتكاثر خلاياك و تنمو و تتميز إلى أنسجة و أعضاء.» «۱» و هذا المثال يتوافق أيضا مع ما سنبحثه عن انطباق آيات القرآن على ما يكشفه العلم الحديث. و هكذا رأينا كيف انتقل الباحثون فى الأسلوب القرآنى من أفق المصطلحات البلاغية، إلى أفق الفن الأدبى الرفيع، و كل واحد منهم يبرز جانبا أو أكثر من الجوانب الفنية. فالمرحوم «سيد قطب» أشار إلى قيام المنهج القرآنى على خبرة مطلقة بالنفس الإنسانية، و مما قاله فى ذلك: «لو تأملنا الآيات: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ ... وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ (البقرة/ ۲۰۴- ۲۰۷) نجد الملامح الواضحة لنموذجين من البشر: الأول نموذج المرائى الشرير الذلق اللسان، الذى يجعل شخصه محور الحياة كلها، و الذى يعجبك مظهره و يسوؤك مخبره .. و الثانى نموذج المؤمن الصادق الذى يبذل نفسه كلها لمرضاة اللّه، و لا يستبقى منها بقية. هذه اللمسات العجيبة من الريشة المبدعة فى رسم ملامح النفوس، تشى بذاتها بأن مصدر هذا القول المعجز ليس مصدرا

(_____ ۱) مجلة الهلال، العدد ۱۲، عام ۱۹۷۰، ص- ۲۹- ۳۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۳۹ بشريّا على الإطلاق، فاللمسات البشرية لا تستوعب فى لمسات سريعة كهذه أعمق خصائص النماذج الإنسانية بهذا الوضوح و بهذا الشمول. إن كل كلمة أشبه بخط من خطوط الريشة فى رسم الملامح و تحديد السمات، و سرعان ما ينتفض النموذج المرسوم كائنا حيا مميزا لشخصيته، حتى لتكاد تشير بإصبعك إليه، و تفرزه من بين ملايين الأشخاص، و تقول: هذا الذى أراد إليه القرآن ...» «۱». و الدكتور «محمد رمضان البوطى» أشار إلى قيام المنهج القرآنى على أسس ثلاثة: و هى: المحاكمة العقلية، و العبرة و التاريخ، و الإثارة الوجدانية. و كيف تتألف المحاكمة العقلية فى بنيتها فى القرآن من ثلاثة جوانب: الجانب الأول: تعريف الإنسان بذاته، حيث يدعو القرآن الإنسان إلى النظر و التأمل فى ذاته و نشأته. الجانب الثانى: اختيار أسلوب صالح لجميع الناس على اختلاف بيئاتهم و ثقافاتهم و أزمانهم، و أن معرفة قدر مشترك من القواعد و الأساليب العربية لا تسبب خللا فى الفهم لمن يريد فهم القرآن بتبصّر. كما فى قوله تعالى: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً، أَحْياءً وَ أَمْواتاً، وَ

جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ .. (المرسلات/ ۲۵- ۲۷)، و مثل ذلك فى الآيات (۷۰- ۷۳/ الواقعة)، و الآيات (۶۱/ الفرقان و ۱۶/ نوح). الجانب الثالث: الاعتماد على المناقشة و الحوار، و فيه يوضح أسلوب القرآن العجيب الذى يثير النظر إلى الأدلة، و يعرض لها و يدع ثمارها و نتائجها مكشوفة فى تضاعيف الكلام ..» «۲». أما الفن القصصى فى القرآن فقد تحدث عنه أيضا الدكتور محمد سعيد (_____ ۱) فى ظلال القرآن، ۱/ ۲۰۳ و ۲۰۴.

(۲) منهج تربوى فريد فى القرآن، ص- ۲۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۴۰ رمضان البوطى، و أشار إلى أن القرآن لا يسوق من القصة إلّا ما يتعلّق بالغرض الذى سيقت من أجله، و يقحم النصائح و العظات فى ثنايا القصة، و يشرح الغايات. كما تحدث الدكتور «محمد أحمد خلف اللّه» عن فن البناء القصصى فى القرآن، و مما قاله فى ذلك: «ظاهرة التطور فى القصص القرآنى لا تنبت من عوامل تتصل بصاحب القصة، و إنما تنبت من عوامل تتصل بالسامعين للقصة .. و وقائعه الاجتماعية لم تقع كلها فى الجزيرة العربية .. و قام القرآن بعملية انتقاء و اختيار، فلم ينقل إلينا الحوار كاملا، و إنما اختار منه ما يلائم البناء القصصى الذى أقيم أصلا من أجل الدعوة الإسلامية ..» «۱». و يوضح بعد ذلك كيف كانت المرحلة الأولى من نزول القرآن تبرز عنصر الأحداث. و المرحلة الثانية التى زاد فيها عدد الداخلين فى الدين الجديد كانت تبرز عنصر الحوار بين الرسل و أقوامهم، أو بين المستكبرين و المستضعفين، كما ورد فى سورتى الشعراء و الأعراف. و فى المرحلة الأخيرة اكتمل فى البناء القصصى، و أصبحت تتمايز الشخصيات. و أخيرا يمكن أن نرى فى وصف القرآن لليهود و لبنى إسرائيل صورة من صور الإعجاز القرآنى إذ خاطبهم القرآن فى عهد محمد صلّى اللّه عليه و سلم كما لو كانوا هم أنفسهم على عهد موسى، و على عهود خلفائه، باعتبارهم جبلّة واحدة، سماتهم، دورهم، مراوغتهم عن الحق، معاداتهم للأجناس الأخرى، و للديانات السماوية، و بخاصة للدعوة الإسلامية. هى نفس المعاداة منذ جاء بها محمد صلّى اللّه عليه و سلم إن لم تكن أشد. و قد نبّه القرآن إلى (_____ ۱)

مجلة الهلال، العدد (۱۲/ ۱۹۷۰) ص- ۵۹. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۴۱ نفاقهم و أساليبهم فى ثنايا القصص القرآنى، و حذّرنا من تصرفاتهم و ما يمكن أن يتبعه أسلافهم من دس و كيد بأساليب و مظاهر متنوعة و متجددة باستمرار: أَ- لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ أَلَّا تُقاتِلُوا، قالُوا وَ ما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَ أَبْنائِنا، فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ .. (البقرة ۲۴۶) انظر مراوغات الإسرائيليين أيضا فى الآيات التى جاءت بعد الآية المذكورة و تتبع مراوغاتهم فى مباحثات السلام مع العرب منذ مؤتمر مدريد. فبوسائل الإعلام ينادون بالسلام، و فى كل يوم اعتداءات صارخة على أطفال الحجارة و على جنوب لبنان. و لو شئنا أن نستعرض نماذج سوى ما سبق لإبراز الإيقاع القرآنى العجيب، و التصوير الفنى، لطال الحديث كثيرا، ذلك لأن الإعجاز يتجلى فى كل سورة، و فى كل آية، و قد نجده فى حرف «حتى الحرف لا- يأتى فى القرآن إلّا لضرورة و لا يمكنك أن ترفع حرفا من مكانه أو تستبدله بحرف آخر. يقول القرآن عن الصبر على المصيبة: إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (لقمان/ ۱۷). ثم نراه يضيف حرف اللام للتوكيد حينما يتكلم عن الصبر على أذى الآخرين فيقول: وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (الشورى/ ۴۳). لما ذا أضاف حرف اللام فى الآية الثانية؟ لأن الصبر على أذى الغريم الذى تستطيع أن ترد عليه بأذى مثله يحتاج منك إلى عزم أكبر، فالصبر هنا ليس كالصبر على مصيبة لا حيلة لك فيها ..» «۱». كما رأينا أن الإعجاز القرآنى يتجلى فى اختيار اللفظ المناسب للمعنى، و فى مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطب، و الإحاطة بالحالات النفسية للمخاطبين من أجناس مختلفة أو شعوب و ثقافات و بيئات مختلفة. و لهذا قالوا عن (_____ ۱) القرآن كائن حى،

ص- ۱۴. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۴۲ محمد صلّى اللّه عليه و سلم: ساحر. و لكن (المضر بن الحارث)- و هو من شياطين قريش، و ممن كانوا يؤذون الرسول و ينصبون له العداوة- قال لزعماء المشركين: (لا و اللّه ما هو بساحر، و لا بكاهن، و لا بشاعر، و لا بمجنون ..) «۱ (_____». ۱) انظر:

تهذيب سيرة ابن هشام، ص- ۷۲- ۷۸. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۴۳

البحث الثانى القرآن مزق حواجز الغيب

اشارة

البحث الثانى القرآن مزق حواجز الغيب لقد ثبت لكل من بحث فى القرآن و علومه عدم وجود تغيير أو تحريف فى نصوصه منذ نطق به الرسول عليه السلام إلى أصحابه و قومه و حتى يومنا هذا، و هذا ما يؤكد بأن القرآن حجة مأخوذة على محمد صلّى اللّه عليه و سلم، لأنه إذا أخبر عن شيء ثم اتضح بعد ذلك عدم صحة هذا الشيء كان ذلك هدما للدين الذى نادى به. و هذا الإخبار الذى جاء به مزق كثيرا من الحواجز، و كشف ما وراءها، و من ذلك:

۱- كشف ما كان يدور فى نفوس بعض المنافقين

۱- كشف ما كان يدور فى نفوس بعض المنافقين ؛ و ما يحيكه اليهود ضد محمد صلّى اللّه عليه و سلم و دعوته، و مثال ذلك: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوى ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنْهُ، وَ يَتَناجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ... وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِما نَقُولُ ... (المجادلة/ ۸). يقول الشيخ متولى الشعراوى فى صدد هذه الآية: «لقد كان يكفى هؤلاء لكى يكذبوا محمدا أن يقولوا لم تحدثنا أنفسنا بهذا، لو لم يقولوها بالفعل داخل أنفسهم، لكان ذلك أكبر دليل لكى يكذبوا محمدا و يعلنوا أنه يقول كلاما غير صحيح. فالقرآن فى هتكه لحجاب المكان دخل إلى النفس البشرية، و إلى داخل نفوس من غير المؤمنين الذى يهمهم هدم الإسلام، فهل هناك أكثر من هذا تحديا لحجاب المكان؟ بل إن التحدى ظهر فيما يحرص غير المؤمنين على إخفائه، فمزق القرآن نفوس هؤلاء الناس حين قال: سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ ... يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۴۴ (التوبة/ ۴۲) لقد كذبوا فى قولهم: لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ إلى غزوة تبوك، فهل تريد إعجازا أكثر من ذلك «۱». و شبيه بذلك أيضا: وَ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (آل عمران/ ۷۲) و هذا أيضا نوع من تلبيسات اليهود «قيل تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر و قرى «عرينه»، فقال بعضهم لبعض: ادخلوا فى دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد بالقلب، ثم اكفروا آخر النهار و قولوا: إنا نظرنا فى كتبنا، و شاورنا علماءنا، فوجدنا أن محمدا ليس هو بذلك المنعوت و ظهر لنا كذبه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحاب محمد فى دينه و اتهموه، و قالوا إنهم أهل الكتاب و أعلم به منا، فيرجعون عن دينهم. فأطلع اللّه رسوله على سرّهم، و أنزل هذه الآية .. فلما دبروا هذه الحيلة أخبر اللّه نبيه بها، فلم تتم لهم و لم يحصل لها أثر فى قلوب المؤمنين» «۲». و هكذا أخرج القرآن ما فى صدور أناس غير مؤمنين، و فضح مسلك منافقى المدينة الذى حاولوا إعانة اليهود و تحريضهم على مقاتلة المسلمين، فقال: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ .. ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (الحشر/ ۱۱) و لو لم يكن هذا صحيحا لقال هؤلاء: إننا لم نكذب، و لم نتآمر. و لكنهم بهتوا من هذا الكشف فتواروا و لم يردّوا.

۲- تمزيق حواجز الزمن الماضى:

۲- تمزيق حواجز الزمن الماضى: فقد أخبرنا القرآن بما حدث لأمم سابقة، و روى لنا قصص رسل سابقين، و أشياء لم يكن يعرفها أحد، على (_____ ۱) معجزة القرآن ص-

۱۵، طبعة القاهرة. (۲) تفسير الخازن (۱/ ۲۲۴). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۴۵ لسان نبيّ أمّيّ لا يقرأ و لا يكتب. بل إن الإعجاز هنا جاء فى تصحيح ما حدث من تحريف كتب سماوية سبقت القرآن، و كان محمد صلى اللّه عليه و سلم يتحدى بالقرآن أحبار اليهود و رهبان النصارى، و يقول لهم: هذا من عند اللّه، و هذا حرفتموه فى التوراة أو الإنجيل، و لم يكونوا يستطيعون مواجهة هذا التحدى. و تناول قصة فرق البحر ببنى إسرائيل، و طوفان نوح، و حضارة عاد و ثمود، و سد مأرب، و غيرها. و جاءت فى أهداف متعددة، منها كشف ما تم تحريفه، و منها تصحيح واقعة أو حادثة، و منها لفضح أساليب المنافقين و المكابرين، و منها إثبات نبوة محمد صلّى اللّه عليه و سلم. فما كان من أمر زكريا و مريم، كان من الأخبار الغائبة عن محمد، و ما كان معهم حين ألقوا أقلامهم فى الماء يقترعون ليظهر لهم أيّهم يربّى مريم و يكفلها، و لا حين اختلفوا على ذلك: ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ، وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (آل عمران/ ۴۴). و فى ثنايا إعجاز القرآن فى تمزيق حواجز الزمن الماضى دلائل إعجازية أخرى، ففى إخباره عن عاد و ثمود و حضاراتهم، و عن بلقيس، و سد مأرب، ما يؤكد عبقرية العمل الإنسانى على مر العصور، و ما يبرز قانونا عاما بأن الاستقامة على أمر اللّه و العمل بشرعه، و اتباع مناهج الرسل، هى الوسائل الأكيدية لضمان استمرار الحضارات حتى يأذن اللّه «حتى إذا انحل القوم و أبطرتهم النعمة، و غرقوا فى الترف، و تنكروا لصوت الوحى، أخذهم اللّه أخذ عزيز مقتدر لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا، وَ هَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ (سبأ ۱۵- ۱۷). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۴۶ هذا القانون يكاد يكون عامّا شاملا فمن خلال النص القرآنى نرى حضارة تمثلت فى وجود مادى ملموس، لكن القوم لم يشكروا اللّه على نعمه، و لهذا انهارت تلك الحضارة، غيّروا ما بأنفسهم فغيّر اللّه ما بهم ..» «۱» و لهذا جاءت فى ثنايا القصص القرآنى آيات تطلب النظر فى سنن الذين خلوا من قبل: قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (آل عمران/ ۱۳۷)، و القرآن حين يصف المجتمع الإسلامى فى المدينة يذكره بسنن الذين خلوا من قبل، كما فى الآيات (۶۰- ۶۲) من سورة الأحزاب.

۳- القرآن مزّق حجاب المستقبل:

۳- القرآن مزّق حجاب المستقبل: و قد جاء الحديث عن المستقبل على عدة مراحل: آ- المرحلة المعاصرة: لكى يعرف أصحاب الرسالة و المؤمنون و غير المؤمنين أن القرآن حق، فالقرآن وعد المؤمنين بفتح مكة بعد أن ارتابوا ببنود صلح الحديبية، فقال: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ (الفتح ۲۷) فدخلوا مكة فاتحين بدون قتال و لا إراقة دماء. و حدث آخر مشابه فيه من التحدى ما يؤكد أن القرآن معجزة حقة، ذلك أن «الوليد بن المغيرة» كان من أشد زعماء قريش مكابرة و عنادا، عاب محمدا صلّى اللّه عليه و سلم فقال عنه «مجنون»، و عاب القرآن فقال عنه: «أساطير الأوّلين»، فوصمه القرآن بأنه: عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ، أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ، إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ، سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (القلم/ ۱۳- ۱۶)، أى سنجعل على أنفه علامة يعيّر بها ما دام على قيد الحياة. و الذين سمعوا هذا الوصف عرفوا أن الوليد هو المقصود بهذا الوعيد، لأن من

(_____ ۱) قيم حضارية فى القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، (۱/ ۵۸) الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۴۷ حوله يعرفون أن له زنمة كزنمة الشاة فى عنقه يعرف بها. و جاءت معركة بدر و التقى المسلمون بالمشركين، و تلقّى الوليد ضربة بالسيف على أنفه، فبقيت علامة سوء ألحقت به عارا لا يفارقه. و الأهم من ذلك صدق ما أنبأ به القرآن قبل الحدث. فلا بد أن يكون قائل القرآن متأكدا من أن هذا سيحدث فى المستقبل. و مثل هذا نراه فى سورة القمر، فقد نزلت فى مكة قبل الهجرة، و المسلمون قلائل و ضعفاء، و فيها جاء الإنذار المستقبلى التالى: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ (القمر/ ۴۵)، حتى أنه روى عن سعيد بن المسيب قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما نزلت سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ

يُوَلُّونَ الدُّبُرَ: أىّ جمع يهزم؟ و نحن لا نستطيع أن نحمى أنفسنا .. فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى اللّه عليه و سلم فى درعه و يقول: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ، فعلمت تأويلها. «۱» إنه جمع أهل مكة، لقد هزموا فى بدر و انتصر المسلمون عليهم. ب- مرحلة المستقبل البعيد: لنقرأ الآن سورة المسد: تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ، ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَ ما كَسَبَ، سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ، وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ. يقول الشيخ متولى الشعراوى: «هذا قرآن، و فى من؟ فى عم الرسول. و فى من؟ فى عدوّ الإسلام .. أ لم يكن أبو لهب يستطيع أن يحارب الإسلام بهذه الآية؟ أ لم يكن يستطيع أن يستخدمها كسلاح ضد القرآن؟ قالت له الآية: يا أبا لهب أنت ستموت كافرا، ستموت مشركا، و ستعذب فى النار .. و كان يكفى أن يذهب أبو لهب إلى أى جماعة من المسلمين، و يقول: أشهد أن لا إله إلّا اللّه و أشهد أن محمدا رسول اللّه، يقولها نفاقا، يقولها رياء. يقولها ثم يقف وسط القوم يقول: إن محمدا قد أنبأكم أننى (_____ ۱) تفسير الخازن، (۴/ ۱۰۶). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۴۸ سأموت كافرا، و قال إن هذا كلام مبلّغ له من اللّه، و أنا أعلن إسلامى لأثبت لكم أن محمدا كاذب .. لو كان أبو لهب يملك ذرة واحدة من الذكاء لفعل هذا، و لكن حتى هذا التفكير لم يجرؤ عقل أبى لهب على الوصول إليه. بل بقى كافرا مشركا، و مات و هو كافر. و لم يكن التنبؤ بأن أبا لهب سيموت كافرا أمرا ممكنا، لأن كثيرا من المشركين اهتدوا إلى الإسلام كخالد ابن الوليد و عمرو بن العاص و عمر بن الخطاب و غيرهم .. كانوا مشركين و أسلموا. فكيف أمكن التنبؤ بأن أبا لهب بالذات لن يسلم و لو نفاقا و سيموت و هو كافر؟. المعجزة هنا أن القرآن قد أخبر بما سيقع من عدو، و تحداه فى أمر اختيارى كان من الممكن أن يقوله، و مع ذلك كان هناك يقين أن ذلك لن يحدث، لما ذا؟ لأن الذى قال هذا: القرآن. يعلم أنه لن يأتى إلى عقل أبى لهب تفكير يكذب به القرآن. هل هناك إعجاز أكثر من هذا .. أنتقل بعد هذا إلى النقطة الثانية؛ و هى ما ذا حمل القرآن لغير العرب فى عصره، و لغير العرب و الدنيا كلها بعد عصره .. فقد كان هناك امبراطوريتان كبيرتان بجانب الجزيرة العربية، هما الروم و الفرس. الروم أهل كتاب يؤمنون بوجود إله خالق، و الفرس أهل كفر و إلحاد. لذا حين قامت الحرب بين الدولتين، و انتصر الفرس على الروم، فرح المشركون، و حزن المؤمنون، هنا جاء القرآن ليزيل عن المؤمنين هذا الحزن، فيقول فى كلام محفوظ متعبد بتلاوته، لن يجرؤ أحد أن يغيّر ما فيه، يقول: الم، غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ، وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ، وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ... (الروم/ ۱- ۵)، ثم يمضى القرآن ليمعن فى التحدى وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (الروم/ ۶). ما هذا؟ أ يستطيع محمد أن يتنبأ بنتيجة معركة بين الروم و الفرس، الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۴۹ أو لو أنه حدثت معركة و هزم فيها الروم أ كان بعد ذلك يصدّق أى إنسان القرآن؟ أو يؤمن بالدين الجديد؟ .. ثم إذا القرآن من عند محمد، فما الذى يجعله يدخل فى قضية غيبية كهذه؟ لم يطلبها أحد و لم يتحدّه فيها إنسان .. و لكن القائل هو اللّه، و الفاعل هو اللّه، و من هنا كان هذا الأمر الذى نزل فيه القرآن يقينا سيحدث، لأن قائله ليس عنده حجاب الزمان و حجاب المكان، و لا أى حجاب، و من هنا حدثت الحرب و انتصر الروم على الفرس فعلا، كما تنبأ القرآن ..» «۱» و هكذا حفل القرآن بتنبؤات منها ما تحقق وقت نزول القرآن، و منها ما تحقق بعد بضع سنوات، أو أثبته العلم بعد سنين. (_____ ۱) معجزة القرآن، ص- ۲۰ - ۲۲، طبعة القاهرة. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۵۰

البحث الثالث انطباق آى القرآن على ما يكشفه العلم اليقينى

اشارة

البحث الثالث انطباق آى القرآن على ما يكشفه العلم اليقينى كثرت الدراسات القرآنية التى تبحث فى الآيات العلمية، الكونية، أو

الطبيعية، أو الطبية. و خاصة فى السنوات الأخيرة. و مما تعرضت إليه مما يلى:

أولا- فى مجال الطبيعة:

أولا- فى مجال الطبيعة: نشأة الكون و بدايته أمر عظيم شغل الناس فى القرون الماضية و لم يصلوا إلى شىء، و شغل العلماء فى هذا القرن و وضعت له الدول إمكانيات كثيرة حتى درسوا الأجواء و الكواكب و الأرض فما الذى توصل إليه العلماء بعد دراساتهم الطويلة؟ نظريات كثيرة جاء بها علماء الطبيعة حول الكون و الفضاء، من أبرزها نظرية العالم الفرنسى (دى بوفون) فى كتابه (التاريخ و الأرض) الذى نشره عام ۱۷۴۹. ثم نظرية (كانت) الذى جاء برأى مغاير. و ظهرت بعدها نظرية (لا بلاس) عام ۱۷۹۶. ثم جاء العالم الطبيعى (كلاركماكسويل) فنقض نظرية كانت و نظرية السديم التى قال بها لا بلاس. و هذا أدى إلى عودة نظرية التصادم- دى بوفون- على يد (شامبرلين، و مولتون، و جيمس جينز)، و لكنهم عدلوا بها .. ثم جاء (فيساكر) العالم الطبيعى الألمانى بآراء جديدة مفادها أن تكوين المجموعة السيارة لم يكن حادثا استثنائيا، بل لا بد أنه تكرر عند تكوين الغالبية العظمى من نجوم الكون، و بناء عليه لا بد و أن يوجد فى مجموعتنا المجرّة وحدها ملايين السيارات التى تكاد تماثل الأوضاع الطبيعية لسطح الأرض. و إذا كانت الحياة قد فشلت فى الظهور على سطح هذه العوالم (الملائمة للحياة) فإن ذلك مما الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۵۱ يدعو إلى العجب على الأقل .. هذا ما قاله العالم «۱» أما ما قاله القرآن منذ أكثر من ۱۴۰۰ عام، فهو أن مادة الكون واحدة متشابهة فى عناصرها. فقد وردت آيات فى سور متفرقة تروى قصة المراحل المختلفة التى مر بها الكون إلى أن وصل إلى ما وصل عليه الآن، و كيف ستكون نهايته، من ذلك: ۱- جاء فى الآية (۳۰) من سورة الأنبياء: أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما و الرتق ضد الفتق، أى كانت ملتئمة. و هذا يعنى أن أصل الكون واحد، ثم انفصلت و تبردت مادته. و قد جاء فى تفسير النسفى: «ففتقناهما أى شققناهما، و الفتق: الفصل بين الشيئين، و الرتق ضد الفتق. فإن قيل: متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلنا: إنه وارد فى القرآن الذى هو معجزة، فقام مقام المرئى المشاهد، و لأن الرؤية بمعنى العلم، و تلاصق الأرض و السماء و تباينهما جائزان فى العقل .. ثم قيل: إن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما ففتقناهما، أى فصلنا بينهما بالهواء.» «۲» ۲- جاء فى الآية (۴۷) من سورة الذاريات: وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ ففى تفسير النسفى: «بأيد: بقوة، و الأيد القوة. و إنا لموسعون: لقادرون من الوسع و هو الطاقة، أو لموسعون ما بين السماء و الأرض.» «۳». و يقول موريس بوكاى: «توسع الكون هو أعظم ظاهرة اكتشفها العلم (_____ ۱) لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى كتاب (الإنسان بين العلم و الدين) د. شوقى أبو خليل. (۲) تفسير النسفى المسمى ب-: «مدارك التنزيل و حقائق التأويل» (۳/ ۲۵۸). (۳) المصدر نفسه (۴/ ۱۸۰). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۵۲ الحديث» «۱». و يقول البروفسور (إيدنجتون): «إن مثال النجوم و المجرات كنقوش مطبوعة على سطح بالون من المطاط و هو ينتفخ باستمرار، و هكذا تتباعد جميع الكرات الفضائية عن أخواتها بحركاتها الذاتية فى عملية التوسع الكونى» «۲». ۳- جاء فى الآية (۱۲) من سورة الطلاق: اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ .. أى أن اللّه تعالى خلق من جنس الأرض التى نسكنها أرضين تشبه أرضنا بطريقة الخلق و الشكل و السبح فى الفضاء. ۴- من الآيات التى ذكرت فيها الشمس: وَ الشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَها .. (يس/ ۳۸)، و جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً (نوح/ ۱۶) و جاء أيضا: هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً (يونس/ ۵) فالقرآن صرح بحركة الشمس مع ظن الناس بأن الشمس ثابتة، كما قرر القرآن أن الشمس ملتهبة، متقدة بذاتها. ثم جاء العلم بعد سنين طويلة فقرر حركة الشمس إلى نجم الجاثى، و قرر ما ذكره القرآن من وصفه للشمس و بأنها ضياء و سراج. تَبارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّماءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِيها سِراجاً (الفرقان/ ۶۱). و قرر العلم أن الشمس لها نهاية- قربت أم بعدت- و القرآن كان أسبق فى التصريح بهذا الأمر و بوضوح حيث جاء فيه: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (القيامة/ ۹) فكيف و متى يكون الجمع؟ القرآن يقول: يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ؟ فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ، وَ خَسَفَ الْقَمَرُ، وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ ...

(_____ ۱) الكون و الإنسان بين العلم و القرآن، ص- ۲۱ نقلا- عن كتاب (القرآن و التوراة و الإنجيل و العلم) موريس بوكاى. (۲) المصدر السابق ص- ۲۱، نقلا عن كتاب (الإسلام يتحدى) للشيخ وحيد الدين خان. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۵۳ (القيامة/ ۶- ۹). و آية أخرى تثبت زوال الشمس فى النهاية: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (التكوير/ ۱ و ۲) و التكوير فى اللغة: ذهاب الضوء، قال أبو عبيد: كوّرت مثل تكوير العمامة: تلف فتمحى. و فى تفسير الخازن جاء ما يلى: «قال ابن عباس «۱»: إذا الشمس كوّرت: أى أظلمت و غوّرت، و قيل اضمحلّت، و قيل: لفّت كما تلف العمامة، و أصل التكوير جمع بعض الشيء إلى بعض، و معناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها» «۲». و مما يتعلق ببناء السماء و النجوم الآية التالية: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ، وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (الواقعة/ ۷۵ و ۷۶). «يقول «الشيخ عبد المجيد الزندانى»: كما تشير هذه الآية إلى مسألة أخرى و هى: أن القسم هنا بمواقع النجوم، لا بالنجوم نفسها، لما ذا؟ لأن هذا النجم الذى أنت تراه ليس النجم نفسه .. و لكنه موقع النجم قبل سنوات .. فهذا ضوء النجم الواصل إلينا من الموقع الذى كان فيه قبل فترة .. أما النجم فقد تحرك و انتقل إلى موقع آخر. و لذلك فاللفظ دقيق.» «۳». و عند ما تتحدث الآيات عن نهاية هذا الكون تذكر نهايتين مختلفتين للنجوم و الكواكب، فالآية التاسعة من سورة المرسلات: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (_____ ۱) عبد اللّه بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى، أبو العباس، حبر الأمة، الصحابى الجليل، ولد بمكة، و روى الأحاديث، و شهد مع على رضى اللّه عنه موقعة الجمل و صفين، و كف بصره فى آخر عمره فسكن الطائف، و توفى بها سنة ۶۸ ه-.- الأعلام للزركلى ۴/ ۲۲۸-. (۲) تفسير الخازن (۴/ ۳۵۵). (۳) الكون و الإنسان بين العلم و القرآن ص- ۲۹ عن محاضرة للشيخ الزندانى. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۵۴ و الآية الثانية من سورة التكوير: وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ الآيتان تدلان على أن النجوم يذهب ضوؤها و لا يبقى لها ضوء لزوالها عن أماكنها. أما الكواكب فتتناثر عند نهايتها يوم القيامة بدليل الآية: وَ إِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ (الانفطار/ ۲) و القمر عندها سينشق و يتناثر، بدليل الآية: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ (القمر/ ۱) و فى هذا يقول الشيخ «عبد المجيد الزندانى» فى إحدى محاضراته: «علماء الفلك الآن شاهدوا نهاية بعض الكواكب، و شاهدوا نهاية بعض النجوم، فوجدوا النجوم تنتهى بأن تطمس و يذهب ضوؤها و تتحول إلى كتل سوداء لا- ضوء لها، و أما الكواكب فتتناثر و تتمزق إلى أشلاء» «۱». و هذا من جملة معجزات القرآن فى المجال العلمى فقد أعطانا فكرة عن النهاية التى تنتظر الكون كما أعطانا فكرة موجزة و واضحة عن بداية خلق هذا الكون و وجوده و جاءت بصورة صدّقها العلم الحديث. و من المعطيات القرآنية المتوافقة مع المعطيات العلمية: أن الكون كان فى بدايته دخانا منضما يشكل حيزا صغيرا و بطريقة ما فتق الدخان و تكونت منه النجوم الملتهبة و الكواكب المتصلبة، و انتظمت حركات النجوم و الكواكب و أخذت مداراتها و أشكالها فى الفضاء «۲». و هناك أشياء أخرى علمية ذكرها القرآن فزهد بها شبابنا، ثم جاء العلم بها فقبلوها، من ذلك: أ- وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها (النازعات/ ۱۰). أول ما نلاحظه هنا (_____ ۱) المصدر السابق ص- ۷۸، عن محاضرة للشيخ الزندانى. (۲) انظر الآيتين ۱۱ و ۱۲ من سورة فصّلت، و توافق ذلك مع قول العلماء بأن أكثر من نصف هذا الدخان- و يعبرون عنه بالسديم- لا- زال منتشرا بين السدم و المجرات فى الفضاء الكونى. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۵۵ أن الفعل (دحى) هو الفعل الوحيد الذى يعنى البسط و التكوير معا، و لا يصلح للتعبير عن حال الأرض إلا هذا الفعل، لأن الأرض منبسطة فى الظاهر، مكورة فى الحقيقة. ثم إن تكويرها بيضى أشبه بتكوير (الدحية) و هى بيضة النعامة. فنحن أمام لفظ ليس له بديل، ثم نلاحظ تحديدا لكروية الأرض و بيضويتها، و هذا ما ثبت يقينا فى الأقمار الصناعية التى صورت الأرض عن بعد آلاف الكيلومترات. ب- «يقول العلم: لو لا- الجبال لاختل توازن الأرض فى دورانها، فهذه الجبال التى نراها لها جذور عميقة فى الأرض تغوص فيها بأضعاف حجمها الظاهر للعيان. بعد هذا لنقرأ الآية (۳) من سورة الرعد: وَ هُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَ أَنْهاراً و جاء فى

الآية (۱۵) من سورة النحل: وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ أَنْهاراً وَ سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ و آيات أخرى ما ذكرت الأرض فيها إلا و ذكرت الجبال الرواسى فيها.» «۱». ج- أثبت القرآن حركة الأرض السريعة فى الأرض بقوله: وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ «۲». و دليل آخر على دوران الأرض حول نفسها بسرعة كبيرة: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ، صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ (النمل/ ۸۸)، فالجبال كما نراها فى أعيننا جامدة ثابتة ساكنة فى مكانها لا تتحرك، و لكنها فى حقيقة الأمر تمر مر السحاب، تدور مع الأرض بسرعة كبيرة. د- تكلم العلم عن المحيطات مبيّنا أن الملح الذى فى البحر من أغرب (_____ ۱) الإنسان بين العلم و الدين، ص- ۱۰۲. (۲) سورة الأنبياء، آية ۳۳، و السّبح فى اللغة: المرّ السريع فى الماء أو الهواء. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۵۶ الأشياء فى دنيانا العجيبة، و أن اتساع المحيطات الهائل يتناسب مع كميات الحرارة التى تصل الأرض من الشمس. و تحدث عن وجود تيارات و أمواج فى المحيطات منها ما هو على السطح، و منها ما هو فى الأعماق: «و هذا ما كشفه بشكل قطعى الدكتور (فاروق الباز) الذى أشرف على دراسة نتائج أبحاث المركبة الفضائية المشتركة بين روسيا و أمريكا، فالعلم يقول: الأمواج فى المحيطات بعضها فوق بعض على مستويات مختلفة. و ما ذا يقول العاقل عند ما يقرأ فى القرآن: أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ (النور/ ۴۰) فالآية توضح أن الأمواج الداخلية فى أعماق البحر حيث الظلام الدامس فوقها موج على السطح، من فوقه الجو الذى فيه السحاب. فكيف عرف محمد بن عبد اللّه ذلك؟ نحن المؤمنون بنبوته نعرف أنه وحى من اللّه: قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ .. أما من ينكر نبوته باسم العلم و العلمية، فهو يحتقر عقله، إنه يرفض النبوة و الوحى له صلى اللّه عليه و سلم، فكأنه يعطيه صفة أكبر و أعظم هى الألوهية، و إلا كيف عرف (محمد) هذه الحقائق العلمية التى جاء العلم بعد أكثر من ألف سنة ليثبتها ...» «۱». و مما اتفق عليه العلم و القرآن أيضا: ما جاء فى تفسير الآيتين (۱۹ و ۲۰) من سورة الرحمن: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ. بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ و ما جاء فى الآية (۵۳) من سورة الفرقان: وَ هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً. هذا ما قاله القرآن منذ مئات السنين، أما حديثا فقد جاء علم البحار ليكشف عن هذه الحقائق التى أشارت إليها الآيات القرآنية و لم يكن يتصورها الناس «و عن (_____ ۱) الإنسان بين العلم و الدين، ص- ۱۰۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۵۷ هذا الحاجز بين البحرين المالحين، و بين البحرين العذب و المالح، و ليشرح لنا معانى الآيات بوضوح تام، و ليبين لنا أن ما كانت تشير إليه الآيات من هذه الحقائق التى لم يكن هناك سبيل لمعرفتها، هو دليل ساطع على أن القرآن ما هو من كلام بشر .. ما أعجب الحقائق العلمية و هى تصاغ بأعلى درجات البلاغة اللغوية .. و ما أعجب القرآن الذى نزل فى بيئة صحراوية، و هو يأخذ صورا من حقائق البحار ليضرب بها أمثلة على كلامه و معانيه .. و ما أعجبه عند ما نجده خاليا من كل الأوهام و الأساطير التى كانت معروفة عن البحار فى عصر نزول القرآن .. لم يكن «القرآن» ثمرة مفاهيم عصره، و لكنه كان تقريرا للحق على مر العصور، و حديثا عن الواقع الذى تصدقه المعرفة كلما تطورت العلوم و الكشوف ..» «۱»

ثانيا- فى المجال الطبى:

ثانيا- فى المجال الطبى: إعجاز القرآن الطبى جانب آخر من جوانب الإعجاز العلمى، لا يقل أهيمة عن الإعجاز البيانى، سيّما فى عصرنا الحديث الذى نبنى كل شيء فيه على الملاحظة و المشاهدة و التطبيق و النتيجة. و يظهر الإعجاز الطبى فيما احتواه القرآن من حكم طبية بلغت شأوا بعيدا من العظمة، و أثبتها الطب بعد مئات السنين، من ذلك قوله: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ .. (المائدة/ ۳)، فعند ما سمع المسلمون الأوائل الآية المذكورة ربما استغربوا هذا التحريم كما استغربوا التحريمات الأخرى، غير أن إيمانهم بالقرآن جعلهم يتأكدون أن فى لحم الخنزير أضرارا و لا بد أن تظهر مع تقدم علم الإنسان. ناهيك عن انتباههم إلى قذارة

هـذا الحيـوان الـذى يأكـل النجاسـات و يتمرغ فيهـا و هـو محـاط بروائـح كريهـة و طفيليـات متعـددة. ثـم جـاء العلم (_____ ۱) الكـون و الإنسـان بيـن العلـم و القرآن، بسام دفضع، ص- ۱۲۸. و لمزيد من التفصيلات يمكن الرجوع إلى بحث علم البحار فى الصفحات: ۱۲۳- ۱۴۴ من الكتاب المذكور. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۵۸ الحديث و توصل الأطباء إلى كشف ما فى لحم الخنزير من أضرار قد تصيب آكليه. يقول الدكتور «سيد الجميلى» حول معنى الآية القائلة إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ (البقرة/ ۱۷۳): «حرم الميتة لأنها تضر بالصحة لاحتباس الدم فيها، و تزاحم الميكروبات عليها، و هى تهدد الإنسان بالحتف و الدمار. و الدم يقصد به الأعضاء التى تحتوى على جيوب دموية كالكبد و الطحال، و قال محمد صلّى اللّه عليه و سلم (أحلّت لنا ميتتان و دمان) فالدمان الكبد و الطحال، و الميتتان السمك و الجراد. و الدم يحتوى على مواد مهيجة للحساسية فى الجسم، ترفع ضغط الدم، كما قد تحتوى الكبد على الدودة الكبدية التى تنتقل للإنسان و قد تتلف الكبد تماما. لم يعرف القدماء الحكمة فى تحريم الخنزير، لكن الطب أسفر عنها النقاب باكتشاف احتواء عضلة لحم الخنزير على الطور المعدى من أطوار الدودة الشريطية (نينا سويلم) التى يتراوح طولها من ستة إلى ثمانية امتار، بها قرابة ثمانمائة أسلة أو قطعة، و هذه الدودة لها رأس به أربع ممصات و صفّان من الشواك الكلابية يباغ عددها من ۲۲- ۳۲ شوكة، و تقبع اليرقة فى عضلات الخنزير، و تنتقل للإنسان خلال الغذاء به، و حين يبلغ الإنسان البيضة تتحرر اليرقة فى الأمعاء و التى تذيب صدفية البويضة العصارة المعدية، ثم تخترق مخاطية الأمعاء و تسرى فى الدم، و قد تصل إلى المخ و تتحوصل هناك. و من ثم قد تصيب الشخص من جرائها بتشنج عصبى و نوبات صرع. و قد يصل عدد البويضات التى تضعها الدودة الواحدة إلى خمسين ألف بويضة فى المرة الواحدة. و نتيجة هذه الدودة الآثمة يتولد فى الإنسان المريض الإحساس المستمر بالجوع الذى يصل به أحيانا إلى درجة الصرع من شدة الشره على الأكل .. ينتاب المريض بين حين و حين حالات من الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۵۹ الإسهال متبادلة مع حالات من الإمساك، كما قد يصاب المريض بانسداد معوى من جراء الكتل الهائلة من الديدان المتراصة فى القناة الهضمية و التى تتآكل من التصاق أشواكها و ممصاتها، و تصيب جدران المعدة بالتهتك و الالتهاب .. و مثل هذه الصورة نوّه عنها القرآن منذ مئات السنين الخالية. و نظرا لاحتواء لحم الخنزير على نسبة مرتفعة من حامض البوليك، نرى آكليه يشكون من آلام روماتيزمية و التهاب المفاصل المختلفة، كما أن أليافه الغليظة تسبب عسرا فى الهضم فى عديد من الحالات و ارتباكات فى الأمعاء ..» «۱» نعود إلى الآية الثالثة من سورة المائدة، و التى بدأنا بها الحديث فى المجال الطبى، لنتأمل جانبا آخر منها: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ، وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّيَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ ما أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا ما ذَكَّيْتُمْ وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ هنا نرى محرّمات نزلت على قوم لم يكونوا يعلمون شيئا عن المعلومات الطبية أو الحيوية و مع ذلك امتثلوا و امتثل المؤمنون بأن القرآن قول من أحاط بكل شىء علما. إلى أن أثبت الأطباء أن البهيمة قد تصبح ميتة إثر مرض أصابها و انتشر فيها من قبل أن يظهر عليها خارجيا، مثل داء الطاعون أو السل أو الكزاز، إذ تتفشى الجراثيم فى دم البهيمة و منها إلى لحمها و تصيب آكلها لا محالة بهذه السموم القاتلة أو الأمراض الخطيرة. و جاءت إشارة فى حديث الدكتور الجميلى إلى الإضرار التى تأتى من شرب الدم. و ما قيل فى شأن الميتة يمكن أن يقال فى شأن المتردّية و النطيحة. أما ما أكل السبع فينطوى على إمكانية إصابة الميتة بمرض الكزاز، على أن الوحش يأكل عادة الجيف التى تحمل أمراضا، و ربما انتقلت الجراثيم من فم الوحش إلى الفريسة، إذ يحمل جراثيم أخرى متعددة و خطيرة فى أسنانه و أظافره (_____ ۱)

الإعجاز الطبى فى القرآن، ص- ۱۱۳- ۱۱۶ باختصار. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۶۰ و كما نص القرآن على تحريم لحم الخنزير، نص على تحريم الخمر إِنَّما الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ (المائدة/ ۹۰)، و نعلم أن الصحابة عند ما سمعوا هذه الآية أفرغوا دنان الخمر فى الطرقات إيمانا منهم بأن قائل القرآن لا يأمرهم إلا بما فيه مصلحتهم و لا ينهاهم إلّا عن الذى فيه ضرر لهم. ثم جاءت الاستنتاجات العلمية المعاصرة و الإحصائيات فأكدت أضرار الخمر بالصحة و النسل، و ما

فى الكحول من تأثير مباشر على وظائف الخلية «فالكحول ينتشر فى الجسم مباشرة بعد شربه، و الكبد و هو العضو الوحيد فى الجسم الذى يمكن اعتباره الحاجز و المطهر بنسبة ۹۰ فى المائة من هذا السم، فيفرز خميرة (إنزيم) تحول المركب الكيماوى للكحول إلى مواد أخرى غير ضارة تفرغ مع الصفراء إلى خارج الجسم. و هذا الكبد لا يتوفر على كميات هائلة من هذه الخميرة، و هكذا تنفذ خميرة الكبد بسرعة عند شارب الخمر، مما يجعل الكحول ينتشر فى الجسم فيؤثر على وظائف الخلايا، و خاصة خلايا الجهاز العصبى، و يقع الشخص فى الإدمان و عواقبه السيئة المتعددة .. و قد يصاب بتسمم كحولى عارض أو مزمن، فالأول يوقع فى الهذيان و يهدد بالموت، و الثانى يؤدى إلى تحجر الكبد بالتهاب ليفى، و إلى اختلال بالبصر و دقات القلب فالهزال فالاختلال العقلى و العصبى، فالتعرض للموت نتيجة اختلاطات أخرى ..» «۱» و لا يخفى على القارئ ما للخمرة من تأثير على الفم و الحلق و المجارى التنفسية و الهضمية العليا، و إلى تشويه فى الذّرية عدا عن الإصابات القلبية عند ۵۰ بالمائة من أطفال الآباء المدمنين، و غير ذلك كثير، مثل حوادث الطرق، و قد عرضت وسائل الإعلام المرئية العديد من التجارب و الأبحاث العلمية التى تؤكد أضرار الخمر الذى ورد (

۱) القرآن الكريم و الطب الحديث، د. إدريس بن يوسف، ص- ۱۱۱. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۶۱ تحريمه فى القرآن قبل أن تأتى الأبحاث العلمية مؤيدة لنصوصه. ننتقل الآن إلى مشهد آخر من مشاهد الإعجاز القرآنى فى المجال الطبى، يقول الدكتور «خالص جلبى» فى حديثه عن الكرية الحمراء: «و مع تقدم العلم حصل كشف مثير بنقص الأكسجين مع الارتفاعات، يبلغ توتر الأكسجين ۲، O فى الأسناخ عند سطح البحر (۱۰۰ ملم) و لا يزيد عن (۲۵ ملم) فى ارتفاع ثمانية آلاف متر. و الشخص غير الممارس يفقد وعيه بعد دقيقتين أو ثلاث ثم يموت. و هكذا فإن الكريات الحمر قد يرتفع عددها إلى (۷- ۸) مليون فى جبال الآنديز حتى تعاوض نقص الأكسجين، و هنا تعترينا الدهشة و تصيبنا الرعشة عند ما نقرأ فى القرآن الكريم: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ، وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ (الأنعام/ ۱۲۵) فهل كان محمد صلّى اللّه عليه و سلم متسلق جبال؟ أم كاشف للارتفاعات و علاقتها بنقص الأكسجين؟ أم كان كيماويا عرف غاز الأكسجين؟ أم فيزيولوجيا درس الدم و أخلاطه و تعرف على أسراره و تراكيبه؟ .. لا شك أن قفزة بالفكر بهذا الشكل إن دلت على شىء فإنها تدل على المعرفة الكلية للزمن و العلم و المكان، و هذا بالتالى يدل على مصدر القرآن: وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ (الشعراء/ ۱۹۲) .. فمن أصر على الضلال جعل صدره ضيقا، فيحس بانقباض عند سماعه الآيات القرآنية من شدة الحرج، إذ لا يستطيع أن ينكر الحق الواضح، و لا أن يكابر فيه. كما لا تطاوعه نفسه على التخلى عن معتقداته الفاسدة، فيكون باستثقاله لإجابة الدعوة و شعوره بالعجز عن صدها كأنما يتكلف الصعود فى السماء، و يجاهد جهاد المستميت لإدراك ما لا أمل فى إدراكه» «۱».

(

۱) الطب محراب الإيمان، بحث الكرية الحمراء. باختصار. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۶۲ و إذا كنا نريد إعجازا أكثر فلننظر ما ذا قال القرآن عن تكوين الجنين فى بطن أمه: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً، فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً (المؤمنون/ ۱۳ و ۱۴) لم يتناول هذه المسألة أحد قبل القرآن، لا فى عصر القرآن و لا بعد بفترة. و بدأ القرآن المطاف بالمرحلة الأولى أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ و الماء المهين يحتوى على حيوانات منوية صغيرة يمكن أن يصل عددها إلى خمسمائة مليون فى القذفة الواحدة، تنتجها الأجهزة التناسلية المذكرة، و بويضات صغيرة تنتجها أجهزة الأنثى، و على تلك الحيوانات المنوية أن تسعى داخل القنوات التناسلية حتى تلتقى بالبويضة و يقع الإخصاب. « أ ليس فى القرآن إشارة واضحة لهذا العدد الهائل من الحيوانات المنوية عند ما قال: نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ و الحرث لا يكون إلّا بالبذور، يلقى الرجل بذوره فى رحم زوجته الذى يحضنها و يرعاها إلى غاية نضجها. و الآية تقول لنا أن الحيوان المنوى رغم نشاطه هذا فهو ضعيف جدا، ماء مهين: فيه ضعف .. و لم يكتشف الحيوان المنوى فى المخبر إلا فى سنة ۱۶۷۷ م، على يد: «ليفونهويك»، أى بحوالى ألف عام بعد الآية القرآنية: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ

نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ (الدهر/ ۲)، و مشج الشيء إذا خلطه، و وصف النطفة بأنها أمشاج تشير إلى اختلاط ماءين مختلفين متباينين فى التركيب و المصدر: ماء الذكر، و ماء الأنثى، و مشجهما أى خلطهما ينتج عنه: «نطفة أمشاج». ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ تأخذ النطفة طريقها من قناة فالوب- قرن الرحم- إلى أن تدخل الرحم و تنغرس فيه فى المنطقة العليا من الجزء الخلفى لجدار الرحم. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً بعد ذلك تأخذ النطفة فى الانقسام إلى خليتين، ثم أربع، ثم ثمان، و هكذا إلى أن يأخذ فى الأسبوع الرابع بعد الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۶۳ الإخصاب شكل و حجم التوتة فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ثم فى نهاية الأسبوع السادس يبتدئ تكوين العظام، و فى الأسبوع الثانى عشر تظهر العضلات الأولى اللاصقة بالنسيج العظمى فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً، فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً. هكذا أوضح لنا علم تشريح الأجنة مختلف مراحل تطور الجنين فى بطن الرحم، و هو داخل ثلاثة أغشية رهيفة جدا: الأمنيوس، و الكوريون، و الألنطوس، هذه الأغشية الثلاثة تخلق مع الجنين و تحيط به و تحفظه إلى يوم ولادته: يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ (الزمر/ ۶)، هذه الآيات التى تصف بدقة مصدر تكوين الجنين و مراحل تطوره الدقيقة نطق بها محمد صلّى اللّه عليه و سلم قبل ظهور المجهر و علم تشريح الأجنّة بأكثر من ألف عام. من علّمه هذه الحقائق العلمية الدقيقة؟ و كذلك العدد العديد من أمثالها.» «۱» فالقرآن تحدى فى هذه القضية العلم و العلماء و قال لهم: «هذا هو تكوين الجنين فى بطن أمه، و أنا أذكره لكم، و أذكر مراحله بالتفصيل، لم يشهده أحد من البشر حتى ساعة نزول هذا القرآن، و لا حتى بعد نزوله بمئات السنين، و لكننى سأسجله لتعلموا عند ما أعطيكم من العلم ما تستطيعون به معرفة أطوار الجنين، لتعلموا أن القائل هو الخالق، لأنه لا يمكن لأحد أن يقول هذا الكلام، و أن يتحدى بصحته على مر العصور، و أن يخترق الحجب ليروى شيئا لم تكن البشرية تعرفه أو تعلم به، إلّا أن يكون ذلك هو اللّه. و إلّا فكيف يأمن أى إنسان- مهما بلغ من العلم- أنه بعد عشرات السنين أو مئات السنين لن يأتى ما يناقض هذا الحديث و ما يثبت عدم صحته.» «۲» هذه الحقائق تفرض علينا الوقوف عندها طويلا فنحن نرى فى عصرنا

(_____ ۱) القرآن الكريم و الطب الحديث، ص- ۶۲- ۶۴. (۲) معجزة القرآن، ص- ۱۱۳، طبعة بيروت. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۶۴ العلمى بعض العلماء يكتشفون أمورا تتعلق بالطب و الدواء و ما شابه، و مع ذلك يتحفظون بالتعبير عنها خوفا من مفاجأة جديدة تدحض آراءهم، فكيف لمحمد صلّى اللّه عليه و سلم أن يقول أو ينسب إلى نفسه مثل هذا الكلام: وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى، ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا، ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ، وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى، وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً. (الحج/ ۵). ننتقل إلى مثال علمىّ آخر نأخذه من سورة الكهف: «عند ما نتأمل الآيات الأولى من سورة الكهف نجد فيها عدداً من المعجزات القرآنية؛ حيث جاء فيها: فَضَرَبْنا عَلى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً .. (الكهف/ ۱۱). و هذه معجزة، فاللّه يريد أن يخبرنا أن الشيء الذى لا ينام فى الحواس هو الأذن. أنت حين تغمض عينيك لا ترى، و لكنك لا تستطيع أن تغمض أذنيك أبدا. الأذن تظل مفتوحة، تؤدى وظيفتها، سواء أردت أم لم ترد. فاللّه تعالى يريد أن يخبرنا أولا أن الأذن لا تنام أبدا .. ثانيا أنها أداة الاستدعاء .. ثالثا أنك لو فصلت الأذن عن ضوضاء الدنيا فإن الإنسان يمكن أن ينام فترة طويلة، و لكن من المستحيل أن ينام إذا تعرضت الأذن إلى أصوات الدنيا. و من هنا فإن اللّه سبحانه حين أراد أن يجعل أهل الكهف ينامون سنين طويلة، دون أن يحسوا بما حولهم، فإنه لم يأخذ على أبصارهم، و لم يجعل حركة قلوبهم تهبط قليلا كحركة قلب النائم، و لكنه ضرب على آذانهم، و كان هذا كافيا جدا ليفصل بينهم و بين الدنيا، تماما طوال فترة نومهم. و الأذن هى أداة الاستدعاء فى الآخرة. ثم ننتقل إلى آية أخرى: وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ، وَ نُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ ذاتَ الشِّمالِ .. (الكهف/ ۱۸)، لما ذا قال هذا الكلام؟ مع أن هذه الألفاظ لو حذفت لا تغير من السياق شيئا كثيرا، و لكن- كما قلت- الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۶۵ إن لكل كلمة فى القرآن معنى معجزا، بعضه وصل إليه العقل، و البعض الآخر سيصل إليه بعد سنوات طويلة. إذا تأملنا الآية المذكورة نجد أن اللّه تعالى سيبعث هؤلاء الفتية كآية من آياته. و من هنا فإنه يضع قواعد الصحة للرقاد الطويل، فنجد أننا الآن إذا أصيب أحدنا بمرض يتطلب رقادا طويلا، فإن الأطباء يحذرون من أن المريض يجب أن

يتقلب يمينا و يسارا، حتى لا يصاب جسمه بالقروح، أو تحدث له انسدادات فى الدورة الدموية، فى القدمين، أو فى الجزء الأسفل من الجسم. و من هنا فإنه تعالى يريد أن ينبهنا إلى أن الرقاد الطويل يجب أن يتم معه تقليب الإنسان الراقد، بحيث لا يرقد على جزء واحد من جسده فترة طويلة، فيصاب بأضرار بالغة يعرفها الطب جيدا هذه الأيام. و حين جاء الحديث عن ذى القرنين قال: حَتَّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ عَلى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً (الكهف/ ۹۰)، بعض الناس يمر على هذه الآية دون أن يتنبه إليها، و لكن العاقل يجب أن يقف هنا ليسأل: ما هى الحكمة فى هذه الآية؟ هل المفروض أن هذه الأرض قاحلة ليس فيها شجر يستر الناس عن الشمس؟ أم المقصود أنه ليس لديهم مساكن يجلسون فيها لتسترهم من الشمس؟ أم المفروض أنهم عرايا مثلا ليس عندهم ملابس تقيهم الشمس؟ كل هذا قد يخطر على العقل البشرى. و لكن الحقيقة أن كل هذه الأشياء لا تستر الشمس، فالشمس موجودة خارج المنزل، و لو جلست فيه، كما أنها موجودة خارج ظل الشجرة و لو جلست تحتها، و لكن ما هو الذى يستر الشمس؟ الذى يجعلها تختفى، تغيب، إنه الظلام، إنه الليل .. هنا يجب أن نتوقف قليلا. فى الآية الأولى القوانين التى يسير عليها الممكّن فى الأرض، و قال لنا إننا يجب أن نضيف الأسباب التى يعطيها اللّه تعالى أو يمكّننا فيها .. فاللّه جعل لذى القرنين عملا حين بلغ مغرب الشمس، و جعل له عملا- حين بلغ بين الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۶۶ السدين، و لكنه فى الآية حَتَّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ لم يجعل له عملا .. و لما كان القرآن كل حرف فيه بميزان دقيق، فلا بد أنه تعالى يريد أن يقول لنا شيئا فى هذه الآية وحدها. إذن ما هى الحكمة المستورة هنا لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً .. إن الاسكندر قد وصل إلى مناطق فى الأرض لا تغيب عنها الشمس فترة طويلة، أى أنه لا يتعاقب عليها الليل و النهار كباقى أجزاء الكرة الأرضية، بل تظل الشمس مشرقة عليها لفترة طويلة لا يسترها ظلام. و إذا بحثنا الآن نجد أن هناك مناطق فى العالم تغيب عنها الشمس ستة شهور، فكأنه تعالى يريد أن يخبرنا أن هناك أماكن فى الأرض لا تخضع لقواعد تعاقب الليل و النهار كالتى تخضع لها باقى أجزاء الأرض، و إنما تشرق الشمس عليها دون أن يسترها الظلام لفترة طويلة ..» «۱» و هكذا رأينا آيات كثيرة تنطق بالإعجاز القرآنى، و آيات تثبت أن مادة القرآن التى يعمل فيها هى الإنسان ذاته، اعتقاده، و مشاعره، و سلوكه، و دوره فى الحياة و إزاء الكون و دقائقه. فموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها. و هذا مدلول قوله: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (فصّلت/ ۵۳). فقد أورد القرآن بعض التفصيلات الدقيقة عن علوم الكون و الإنسان و غيرها، و التى لم تكن معروفة من قبل، و ترك اللّه تعالى لعقول الناس أن تبحث و تجرب و تطبق لتكتشف الأكثر و الأوسع، و لئن اتضحت لأجيالنا حقائق كثيرة بعضها عن الكواكب و حجومها و أبعادها و الأرض و الفضاء و الكيمياء و الطب، حتى الجراثيم شاهدها العلماء بالمجهر و درسوا تطورها و طرق تكاثرها و مكان وجودها و غير ذلك من الأسرار العلمية التى لم تكن معروفة فوصل إليها الإنسان عن طريق البحث و التجريب، و سيصل إلى الأكثر

(_____ ۱) معجزة القرآن، ص- ۱۷۷- ۱۹۱، باختصار، طبعة بيروت. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۶۷ لأن القرآن إنما جاء بنهايات النظريات، فإذا جدّ الناس و اجتهدوا كشفوا نصيبا من الإعجاز القرآنى يتناسب و ثقافتهم و وسائلهم و ما وصل إليهم من العلم. و كما حظى جيلنا بإبراز إعجاز جديد للقرآن ستجد الأجيال القادمة إعجازا آخر طبقا لما تصل إليه من علم و تقدم، و إلّا فكيف يتحقق وعد اللّه سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ و نحن الذين قرأنا قوله: وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعادَ. هذا هو القرآن «عطاء متجدد لكل زمان و مكان. و لكى يفهم الجديد من القرآن جديدا لا بدّ أن تبقى فيه كنوز مستورة، كلّ يأخذ على قدر عقله. و كلما قعدت مع القرآن أعطاك عطاء جديدا. و لذلك لم يفسر لنا الرسول صلّى اللّه عليه و سلم القرآن، لأنه لو فسّره لكان يجب أن يفسّره بما تطيقه عقول معاصريه، و لو فسّره بالأشياء التى ستوجد فى القرن العشرين أو الثلاثين لاستعظموه أيّما استعظام. لأنه حتى الآن ما زال أناس ينكرون أن الأرض تدور، و لو أنه صلّى اللّه عليه و سلم فسره على قدر عقول معاصريه و معلوماتهم الكونية لحجر علينا و لجمد القرآن، لأن من يتصدى لتفسير القرآن بعد ذلك سيواجه بأن الرسول فسّره هكذا و عليك ألّا تزيد على ذلك. و لذلك ترك الرسول

تفسير القرآن حتى تأخذ كل مرحلة فكرية من لمحات القرآن بقدر ما تستطيع ذلك .. أما المطلوب من الأحكام فقد بيّنها و أوضحها للناس ..» «۱» بعد أن رأينا كيف كان القرآن نبعا غزيرا يعطى لكل جيل ما يتناسب مع طاقاته و تطوراته. فتكلم عن الذرّة ضاربا المثل فى أنها أصغر الأشياء و زنا، و الذرة لم تكتشف إلّا فى القرن العشرين فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (الزلزلة/ ۷ و ۸)، و أشار إلى اختراق الإنسان

(_____ ۱) الطريق إلى اللّه، متولى الشعراوى، ص- ۳۶ و ۳۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۶۸ الفضاء: لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (الانشقاق/ ۱۹)، و أشار إلى بعض الأشياء التى قد تكون موضوعة لأجيال قادمة، و بعد أن عرفنا أن القرآن لم يأت ثمرة الفكر و المعرفة للعصر و البيئة التى نزل فيها، و أنه بإعجازه شمل الماضى البعيد، و عاش الحاضر، و تجاوزه إلى المستقبل، و سما فوق مستويات العلم و المعرفة فى كل العصور. بعد كل هذا لا بد من الإشارة إلى ما يرد فى بعض التفاسير الحديثة من محاولات لبيان تمجيد القرآن و إعلان سبقه عصر العلم، بردّ بعض النظريات العلمية و الفلسفية إلى القرآن ليؤكد أصحاب التفسير بالأدلة هذا السبق. مع أن بعض النظريات قد تكون فى مرحلة التجربة، و بعضها فروض علمية، فإذا كشف علماء آخرون أن الفرضية باطلة نكون قد عرّضنا القرآن للريبة و الشك بتحميله الفرضيات. فمما نذكره أن جدالا طويلا دار حول الآية التالية: يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ (الرحمن/ ۳۳). حين وصل أول إنسان إلى سطح القمر، قام أعداء الإسلام آنذاك بالطعن فى القرآن لوجود هذه الآية التى فسّروا معناها بأن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى القمر حسب الآية المذكورة، و قد وصل الإنسان إلى القمر. و كذّب بعض المؤمنين هذه الحقيقة العلمية، و وقف المعتدلون على الحياد فلم ينفوا و لم يؤكدوا، و آخرون قالوا: إن القمر ليس هو حدود الأرض أو أحد أقطارها، بل هو تابع لها و ضمن مجالها المغناطيسى، و لما كانت حياتنا على الأرض متوقفة على نجم الشمس فمن البديهى أن أقل حدود أقطار الأرض هى الشمس، و تبعد عنا ۱۴۹ مليون كم، و إذا أردنا أن نصل إلى حدود أقطار الأرض فعلينا الوصول إلى الشمس أو إلى أحد كواكبها التسعة. و رغم ما أثير حول تلك الآية فما يجب معرفته أن الآية المذكورة شرطيّة: لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ إنه القدرة أو الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۶۹ العلم الذى يمنحه الخالق لخلقه. ثم إننا قلنا قبل قليل أن الخالق الذى وجّه الإنسان إلى العلم و التعلّم سيجدّ و يخترع لرؤية ما وعده اللّه به سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ .. أما ما يمكن أن نقوله عن القرآن باطمئنان لا يقبل الجدل: إنه كتاب العقيدة الإنسانية الذى لم يفرّط فى شىء، و لم يذكر ما يصدم الحقيقة العلمية التى انتفى الجدل عنها. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۷۰

البحث الرابع اتساق عبارات القرآن و معانيه

اشارة

البحث الرابع اتساق عبارات القرآن و معانيه أوضحنا فى البحث الأول كيف كانت معجزة القرآن من جنس ما اشتهر به العرب و تفوّقوا فيه. و لا يشبه كلام الخلق لما تضمن من إعجاز فى النظم و التأليف، و الإخبار عن الغيب وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ .. (الإسراء/ ۸۹) أى ردّدنا و كرّرنا من كلّ معنى و من كل وجه من العبر و الأحكام و الوعد و الوعيد و القصص و غيرها فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً، فلما تبين لهم إعجاز القرآن و اتّساق عباراته و معانيه و سلامته من التناقض اختلف الأمر عما كان عليه.

أولا) اتّساق العبارات «۱»:

أولا) اتّساق العبارات «۱»: عرض القرآن فى مواضع مختلفة كثيرا من صور النعمة التى أفاءها اللّه تعالى على الإنسان، و فى كل موضع

كان يعرض مجموعة من النعم، متّسقة (الوحدة) على هذا النحو الذى نعرضه فى موضعين للتمثيل: ١- وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَها يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقامَتِكُمْ، وَ مِنْ أَصْوافِها وَ أَوْبارِها وَ أَشْعارِها أَثاثاً وَ مَتاعاً إِلى حِينٍ. وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالًا، وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً، وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَ سَرابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ، كَذلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (النحل/ ٨١ و ٨٢).

(١) التصوير الفنى فى القرآن ص- (١٠١ و ١٠٢) الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ٧١ ٢- وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً، نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ، مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ. وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً، إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا، يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ، إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (النحل/ ٦٨ و ٦٩). يلاحظ فى هذين السياقين أن الأنعام مذكورة فيها على السواء. فلننظر من أى الجوانب عرضت فى كل سياق، و لما ذا عرض هذا الجانب هنا، و ذلك الجانب هناك. السياق الأوّل يرسم صورة للبيوت، و الأكنان، و الظلال، و السرابيل، و كلها مما يلاذ به، أو يحتمى، أو يستظل، أو يستتر. و لأن هذا هو (وحدة الرسم) عرض من (الأنعام) الجانب الذى يتفق مع هذه الوحدة. عرض الجلود التى تتخذ بيوتا، تستخف يوم الظعن، و الأصواف و الأوبار و الأشعار التى تتخذ أردية و أثاثا، و المنظر كله أبنية و أردية و ظلال. السياق الثانى يرسم مشهدا لاستخراج الأشربة، السكر الذى يستخرج من الثمار، و العسل الذى يخرج من النحل، و لأن هذه هى (وحدة الرسم) عرض من الأنعام الجانب الذى يناسب الأشربة، عرض اللبن السائغ للشاربين. و لم تقف دقة التنسيق عند وحدة المنظر العامة، بل تمشّت إلى دقائق الجزئيات، فهذا السكر يستخلص من الثمرات المخالفة فى هيئتها و طبيعتها للسكر. و هذا العسل يستصفى من الأزهار المخالفة فى هيئتها و طبيعتها للعسل. و هذا اللبن يستخرج من بين فرث و دم، المخالفين فى هيئتهما و طبيعتهما للّبن، فهى كلها تستحيل من أشياء أخرى، ثم المنظر كله زراعى حيوانى فيه حياة، ألا- إنّه الإبداع هنا فى وحدة الأجزاء، و دقة التصوير، و تناسق الإخراج. و مثل هذه اللمسات الدقيقة التى تستوعب دقائق الجزئيات كثير فى القرآن، تتكشف الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ٧٢ للناظر فيها آفاق وراء آفاق من التناسق و الاتساق. ا. ه-

ثانيا) الإعجاز العددى أو الإحصائى:

ثانيا) الإعجاز العددى أو الإحصائى: و هذا جانب آخر من جوانب الاتساق فى القرآن. فالمسلمون أولوا اهتمامهم فى القرآن من كل جانب، ففسّروه، و أعربوه، و استنبطوا أحكامه، و استخرجوا مجازه، و زادوا على دراساتهم المعنوية و الفكرية للقرآن دراسات أخرى هى الإحصاءات. و قد بدأ الاهتمام بالدراسات الإحصائية القرآنية منذ عهد الحجاج «١» كما روى الإمام الزركشى «٢» فى كتابه (البرهان فى علوم القرآن) و لكن لم يكن لتلك الإحصاءات من هدف إلّا الوصول إلى أعداد فقط، إذ لم تجر دراسات مقارنة بين هذه الأعداد لإيجاد علاقات معينة بينهما. أما حديثا فقد استفاد المسلمون من الأجهزة الحديثة فى إجراء عمليات إحصائية، مستعينين بالحاسب الألكترونى. و قاموا بمقارنات، و استخلاص النتائج، فتوصلوا إلى أشياء كثيرة تظهر ما فى القرآن من مظاهر الإعجاز فى الجانب العددى و الإحصائى. أوّل هذه المظاهر يدور حول الغزارة المادية اللغوية التى استعملت فى القرآن. و ثانيها التوازن و التناسق فى كلماته. و من الذين بحثوا فيه تفصيلا: الدكتور عبد الرزاق نوفل فى كتابه: (الإعجاز العددى فى القرآن). و بيّن وجود توازن بين كلماته المترابطة بعلاقة من العلاقات. فهناك توازن أو تساو بين الكلمات المتضادة

(١) الحجاج بن يوسف الثقفى، قائد أموى، ولّاه الخليفة عبد الملك بن مروان مكة و المدينة، ثم أضاف إليهما العراق. ولد عام ٤٠ ه- فى الطائف، و توفى عام ٩٥ ه-. (٢)

هو محمد بن بهادر بن عبد اللّه الزركشى بدر الدين الشافعى المصرى (۷۴۵- ۷۹۴ ه-) علم من أعلام الشافعية، تركى الأصل، مصرى المولد، له تصانيف كثيرة، منها: البحر المحيط فى أصول الفقه، و إعلام الساجد فى أحكام المساجد و غيرها.- الأعلام للزركلى: ۶/ ۲۸۶. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۷۳ الواردة فى القرآن، و من أمثلتها: دنيا، و آخرة، كلّ منها ۱۱۵ مرّة. النفع، و الفساد، وردت كل كلمة خمسين مرة. الرغبة، و الرهبة، ورد كل منها ۸ مرات. الشيطان، و الملائكة، ورد كل منها: ۸۸ مرة .. و هكذا .. و هناك توازن (تساو) بين الكلمات المترادفة أو المتوافقة فى القرآن، و من أمثلتها: الطّهر، و الإخلاص، ورد كل منهما: ۳۱ مرة. البصر، و القلب، و الفؤاد، ورد كل منهما: ۱۴۸ مرة. البصر بكل مشتقاته و معانيه: ۱۴۸ مرة، و القلب مفردا و مثنى و جميعا: ۱۳۲ مرة، و الفؤاد مفردا و جمعا: ۱۶ مرة. ۱۳۲+ ۱۶ ۱۴۸. و هناك شكل ثالث من التوازن، و هو التناسب بين الكلمات المتضادة، أو الكلمات المتوافقة. و من ذلك: كلمة «الأبرار» وردت ۶ مرّات، و هذا ضعف عدد كلمة «الفجّار». كلمة «السرّ» وردت ۳۲ مرة، و هذا ضعف عدد كلمة «الجهر». كلمة «الشهر» مفردا وردت ۱۲ مرة، بعدد شهور السنة .. و هكذا يسرد أمثلة كثيرة تؤكد أن ورود هذه التوازنات لا يمكن أن يكون صدفة أو من غير قصد، بل ليكون القرآن آية فى التوازن و الانسجام و الاتساق. و المظهر الآخر من مظاهر الإعجاز العددى يدور حول إعجاز العدد (۱۹) فى القرآن. و قد اهتدى إلى هذا الإعجاز الدكتور (محمد رشاد خليفة) «۱» الذى أصدر كتابا باللغة الإنجليزية بعنوان (معجزة القرآن)، و من النتائج التى ذكرها ما يلى:

(_____ ۱) من مواليد كفر الزيات بمصر عام ۱۹۳۵، حائز على دكتوراه فى العلوم الكيميائية، يعمل خبيرا لدى الأمم المتحدة للتنمية الصناعية، و ما أوردته عنه من: «دلالات جديدة فى إعجاز القرآن» من محاضرة ألقاها فى الكويت، و نشرتها دار الفكر بدمشق. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۷۴ أول معجزة تكمن فى الآية التالية: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ عدد حروفها تسعة عشر حرفا، و كل كلمة من كلمات هذه الآية تتكرر فى القرآن كله عددا من المرات هو دائما من مضاعفات العدد ۱۹. و عدد سور القرآن: (۱۱۴) سورة و هو من مضاعفات العدد (۱۹). كما ذكرت البسملة بعدد من مضاعفات العدد (۱۹). و نرى إعجازا آخر فى الحروف المقطّعة فى أوائل بعض السور، و هى الحروف المسماة ب الحروف النورانية: فعدد هذه الحروف: (۱۴) حرفا هى: أ، ل، م، ر، ص، ط، س، ك، ه-، ى، ع، ح، ق، ن. و عدد هيئاتها (۱۴) أيضا، و هى: (الم، المص، ألر، المر، كهيعص، طه، طسم، طس، يس، ص، حم، عسق، ق، ن). و عدد السور التى وردت فى أوائلها هذه الفواتح هو: (۲۹) سورة و مجموع هذه الأعداد: ۱۴+ ۱۴+ ۲۹ ۵۷ و هو من مضاعفات العدد (۱۹) ... و من المظاهر الأخرى ما ورد فى فواتح السور، فسورة البقرة التى ابتدأت ب (الم) ذكر فيها الحرف الأول أكثر من الثانى، و الحرف الثانى أكثر من الثالث. و كذا الأمر فى سورة «آل عمران». و سورة الرعد بدأت ب- (المر) و قد ورد حرف الألف أكثر من حرف اللام، و حرف اللام أكثر من الميم، و الميم أكثر من الراء .. و مثل هذا الترتيب التنازلى نراه فى السور المشابهة «فالمسألة لم تعد صدفة، و إنما نحن أمام قوانين محكمة و حروف محسوبة، كل حرف وضع بميزان اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزانَ (الشورى/ ۱۷) و أىّ ميزان؟. نحن هنا أمام ميزان يدقّ حتى يزن الشعرة و الحرف. أظن أنّ فكرة النبى الذى يؤلف القرآن و يقول لنفسه سلفا: سوف أؤلف سورة الرعد من حروف (أ، ل، م، ر) و أورد بها أعلى معدلات من هذه الحروف على باقى الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۷۵ الكتاب- و هو لم يؤلف بعد- مثل هذا الظن لم يعد جائزا، و أين الذى يحصى له هذه المعدلات؟ المعدلات التى لا يمكن أن يقوم بها إلّا عقل إلكترونى. و لو تكفّل هو بها فإنه سيقضى بضع سنين ليحصى الحروف فى سورة واحدة، يجمع و يطرح بعلوم عصره، و هو لا- يعرف حتى علوم عصره. نحن هنا أمام استحالة. و إذا عرفنا أن القرآن نزل مفرّقا على ۲۳ سنة وجدنا استحالة أخرى و أمرا لا يمكن أن يعرفه إلّا العليم الذى أحاط بكل شىء علما» «۱». و إذا كان العقل الإلكترونى قد بيّن عدد مرات كل حرف من بداية سورة البقرة، و أظهر الإعجاز العددى، فما ذا قال المفسرون القدامى؟ «قيل إن حروف الهجاء فى أوائل السور من المتشابه الذى استأثر اللّه بعلمه، و هى سرّ اللّه فى القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها و نكل العلم فيها إلى اللّه تعالى .. و قال ابن عباس: هى أقسام، فقيل: أقسم اللّه

بهذه الحروف لشرفها و فضلها، لأنها معانى كتبه المنزلة و أسمائه الحسنى و صفاته العليا .. و قيل: إن اللّه تعالى لمّا تحدّاهم بقوله: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ و فى آية أخرى: فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ فعجزوا عنه، أنزل هذه الأحرف و أنتم قادرون عليها .. و قيل: إنهم لما أعرضوا عن سماع القرآن و أراد اللّه صلاح بعضهم أنزل هذه الأحرف، فكانوا إذا سمعوها قالوا كالمتعجبين: اسمعوا إلى ما يجىء به محمد، فإذا أصغوا إليه و سمعوه رسخ فى قلوبهم، فكان ذلك سببا لإيمانهم ..» «۲». و قد أسهم فى هذا الرأى بعض المفسرين، و أحجم آخرون قائلين بأنها من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلّا اللّه. و حتى الذين خاضوا فى معنى هذه الفواتح لم يدلوا بها برأى قاطع، بل شرحوا وجهة نظرهم فيها. و المهم أن الدراسات القرآنية تشعّبت و تنوعت. و من قبل درس المسلمون

(_____ ۱) حوار مع صديقى الملحد، مصطفى محمود ص- ۱۱۱. (۲) تفسير الخازن (البغدادى) ۱/ ۱۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۷۶ إحصاءات فى القرآن، و لم يكن ذلك ليشغلهم عن معانيه و تدبّر آياته. و حين تهدف الإحصاءات و الدراسات إلى غايات سامية ستصل إلى نتائج تؤكد إعجاز القرآن، و تزيد من الإقبال على القرآن دراسة و تدبرا مصداقا لقوله عليه السلام: «... إنه لا تنقضى عجائبه».

ثالثا) السلامة من التناقض:

ثالثا) السلامة من التناقض: يدّعى بعض المستشرقين أن هناك تناقضا فى القرآن. و لو بذلوا نفس الجهد الذى بذلوه فى محاولة إظهار ما أسموه بالتناقض فى القرآن، لاستطاعوا أن يصلوا إلى عظمة القرآن. كما فعل بعض المستشرقين المنصفين. و لكن حقد المغرضين يجعلهم يحاولون إثبات وجود تناقض بهدف هدم المعجزة و الادّعاء أن القرآن هو قول محمد. و لكن الإعجاز القرآنى الذى شاهدنا بعض جوانبه فى الأبحاث السابقة، إنما يظهر أمامهم بهذه الصورة ليجعلهم شهداء على المعجزة، و لكنهم فى نفس الوقت الذى يسعون فيه إلى تشويه هذا الكتاب يظهرون ما خفى من معجزاته إذ إنهم يثيرون مما يزعمونه أشياء تجعل العقل البشرى ينشط فى محاولة للرد عليهم، و بالتالى فإنه فى بحثه فى القرآن تتبين المعجزة. و قد ردّ الشيخ متولى الشعراوى على أقوال بعض المستشرقين مبيّنا أنهم لم يكتفوا بالقول عن تناقض فى القرآن بل جاءوا بشىء أسموه تصادم القرآن مع الحقائق الكونية، ليوهموا الناس بأن القائل هو بشر. هذا و إن العلم الحديث أثبت عدم تصادم حقيقة كونية مع ما جاء فى القرآن، و لكن التصادم المزعوم يأتى احيانا عن حقيقة قرآنية أسىء تفسيرها، لتبدو فى غير معناها الحقيقى، أو حقيقة علمية كاذبة يحاول الناس استغلالها ضد القرآن. و الأدلة على تناول القرآن لموضوعات متنوعة و دون أن يكون فيها تعارض كثيرة و متنوعة. فلا توجد آية تتعارض مع آية أخرى، و لا حكما يناقض حكما آخر، بل أسلوبا يتفق مع مقتضى الحال. فإذا كان الموضوع تشريعا كان اللفظ محدودا و البيان هادئا، و إذا كان الموضوع مقررا لعقيدة أو مذكّرا بقدرة الإله كان الأسلوب الخطابى الذى يهز النفوس و يطلق التفكير. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۷۷

البحث الخامس شمول أحكام القرآن

اشارة

البحث الخامس شمول أحكام القرآن استعرض العلماء ما ورد فى القرآن من نصوص تتعلق بالأمور التشريعية، و أسموها آيات الأحكام، و حاولوا تقصيها من ناحية العدد، و قد أوصلها الكثيرون إلى خمسمائة آية، و كان اختلافهم فى العدد ناجما عن تفاوت الأنظار فى مدلول الحكم، و فى المفهومات للنصوص. و أقل من نصف هذا العدد من الآيات يبحث فى شئون التشريع و الفقه. و الآيات الأخرى تدعو باستمرار إلى استعمال العقل و الفكر، و إلى استنباط الحقائق العلمية من الطبيعة. و الحديث عن معانى القرآن ربما كان أشمل من الحديث عن أحكام القرآن. يقول ابن الأثير «۱» تحت عنوان: معانى القرآن: «المراد بالقرآن دعوة العباد إلى اللّه

تعالی، و لذلک انحصرت سوره و آیاته فی ستة أقسام، ثلاثة منها هی الأصول، و ثلاثة هی الفروع: الأصل الأول: تعریف المدعو إلیه، و هو اللّه تعالی، و یشتمل علی ذکر ذاته، و صفاته، و أفعاله. الأصل الثانی: تعریف الصراط المستقیم الذی یجب ملازمته فی السلوک إلی اللّه تعالی، و یشتمل العبادة بأفعال القلب و الجوارح.

(_____ ۱) نصر اللّه بن أثیر الدین محمد بن عبد الکریم بن عبد الواحد الشیبانی، ولد فی جزیرة ابن عمرو شمالی الموصل سنة ۵۵۸ ه-. له أخوان یکبرانه، اشتهر کل منهما بابن الأثیر الجزری، هما المبارک بن الأثیر، و علی بن الأثیر صاحب کتاب أسد الغابة فی معرفة الصحابة. الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۷۸ الأصل الثالث: تعریف الحال بعد الموت، و أحوال الآخرة. الفرع الأول: أحوال المجیبین للدعوة، و المخالفین لها. الفرع الثانی: ذکر مجادلة الخصوم، و محاجّتهم، و حمل الیهود و النصاری- و من یجری مجراهم- بالمجادلة و المحاجة علی طریق الحق. الفرع الثالث: تعریف عمارة منازل الطریق، و کیفیة أخذ الزاد و أهمیة الاستعداد، و ذاک قیاس الشریعة، و تبیین الحکمة فی أوامرها التی تتعلق بأفعال أهل التکلیف.» «۱» أما بالنسبة للأحکام فیمکن أن نجملها فی ثلاثة أنواع رئیسیة:

۱- الأحکام الاعتقادیة:

۱- الأحکام الاعتقادیة: تتعلق بما یجب علی المکلف اعتقاده فی اللّه، و ملائکته، و کتبه، و رسله، و الیوم الآخر. و قد فصّل القرآن القول فی هذه الأحکام فی آیات کثیرة، منها: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْکِتابِ الَّذِی نَزَّلَ عَلی رَسُولِهِ وَ الْکِتابِ الَّذِی أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ، وَ مَنْ یَکْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ کُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِیداً (النساء/ ۱۳۶). و سنأتی علی شیء من التفصیل عنها فی الباب الثانی.

۲- الأحکام الخلقیة:

۲- الأحکام الخلقیة: و تتعلق بما یجب علی المکلف أن یتحلی به من الفضائل، و ما یجب أن یتخلی عنه من الرذائل. و هذه فصّلها القرآن فی آیات کثیرة، منها: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِیتاءِ ذِی الْقُرْبی وَ یَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ وَ الْبَغْیِ .. (النحل/ ۹۰). و سنأتی علی جمیع الأحکام تفصیلا فی الباب الثانی.

۳- الأحکام العملیة:

اشارة

۳- الأحکام العملیة: و تتعلق بما یصدر عن المکلف من أقوال و أفعال و عقود و تصرفات توصف بالصحة أو الفساد أو البطلان. و هذا النوع هو فقه (_____ ۱) المختار من التراث العربی/ ۶۹. (المثل السائر فی أدب الکاتب و الشاعر) ۲/ ۸۸. الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۷۹ القرآن، و هو المقصود من علم أصول الفقه. و هو ینتظم نوعین أساسیین:

أ) أحکام العبادات:

أ) أحكام العبادات: من صلاة، و صيام، و زكاة، و حج، و نحو ذلك من العبادات التى يقصد بها تنظيم العلاقة بين الإنسان و خالقه.

ب) أحكام المعاملات:

ب) أحكام المعاملات: و هى التى تهدف إلى تنظيم علاقات المكلفين، و معاملة بعضهم بعضا، سواء بين الأفراد أو الجماعات أو الأمم. و فى اصطلاح العصر الحديث تنوعت هذه الأحكام بحسب ما تتعلق به و ما يقصد بها إلى الأنواع الآتية: - أحكام الأحوال الشخصية؛ و هى التى تتعلق بالأسرة من بدء تكوينها، من الخطبة و الزواج إلى الوفاة و الميراث. و آياتها فى القرآن نحو سبعين آية. - الأحكام المدنية؛ و هى التى تتعلق بمعاملات الأفراد، و مبادلاتهم من بيع و إجارة و شراكة ... و يقصد بها تنظيم علاقات الأفراد المالية .. و آياتها فى القرآن نحو سبعين آية. - الأحكام الجنائية؛ و هى التى تتعلق بما يصدر عن المكلف من جرائم، و ما يستحقه عليها من عقوبة. و آياتها فى القرآن نحو ثلاثين آية. - أحكام المرافعات؛ و هى التى تتعلق بالقضاء و الشهادة و اليمين .. و آياتها فى القرآن نحو ثلاث عشرة آية. - الأحكام الدستورية؛ و هى التى تتعلق بنظام الحكم و علاقة الحاكم بالمحكوم .. و هى نحو عشر آيات. - الأحكام الدولية؛ و آياتها نحو خمس عشرة آية. - الأحكام الاقتصادية و المالية؛ و آياتها فى القرآن نحو عشر آيات. و من استقراء الأحكام فى القرآن يتبين أن بيان القرآن لها يأتى على أسلوبين: الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۸۰ - الأسلوب الأول؛ تفصيلى، بحيث يحيط بجزئيات الوقائع و الأحداث. و ينص على تفاصيل أحكامها، كما هو الأمر فى القضايا المتعلقة بنظام الأسرة، و العقوبات على الجرائم الأساسية فى المجتمع (و هى الحدود و القصاص)، و الميراث .. و الحكمة فى ذلك أنها تتضمن التعبّد، فلا تقبل التعديل و لا التطور بتطوّر أحوال الناس. - الأسلوب الثانى؛ عام، لم يعن بعرض الجزئيات إلّا نادرا، و الحكمة فى ذلك أن يترك الأمر فى تفصيلها لعلماء الأمة ليقرروا ما يتناسب مع تحقيق المصالح و الحاجات الأساسية. لأن مقاصد الشريعة تحقيق سلامة بنية المجتمع، فما فيه مصلحة مشروعة منزهة عن سلطان الأهواء فالشريعة تقرّه، و ما فيه مفسدة فالشريعة تحاربه. و هذا من خصائص التشريع القرآنى الذى أنزله خالق العباد و هو أعلم بما يصلح شئون عباده.

دلالة القرآن على الأحكام:

دلالة القرآن على الأحكام: أشرت إلى أن طريق التواتر طريق مفيد للقطع بصحة المنقول. فالقرآن قطعى الثبوت لوروده إلينا بطريق التواتر. إلا أن دلالة نصوصه على الأحكام قد تكون قطعية الدلالة، و قد تكون ظنية الدلالة. و قطعية الدلالة هى التى لا تحتمل إلا معنى واحدا، مثل آيات المواريث، فقد جاء فى القرآن: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ، فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ، وَ إِنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ (النساء/ ۱۱)، فالثلثان، و النصف، قطعية فى مدلولاتها، و لا تحتمل معنى آخر. و النص الظنى الدلالة ما احتمل أكثر من معنى واحد فى مجال التأويل. كالقروء فى قوله تعالى: وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۸۱ (البقرة/ ۲۲۸) فلفظ (القرء) فى اللغة العربية مشترك بين معنيين «۱»: يطلق لغة على الطهر، و يطلق لغة على الحيض، و لهذا اختلف المجتهدون فى أن عدّة المطلّقة ثلاث حيضات أو ثلاث أطهار. فالدلالة على أحد المعنيين ظنيّة.

(۱) القرء: هو لفظ مشترك بين الحيض و الطهر بإجماع أهل اللغة. فالقرء عند أهل الحجاز: الطهر، و عند أهل العراق: الحيض، و كلّ قد أصاب، لأن القرء خروج من شىء إلى شىء، فخروج من القرء الحيض إلى الطهر، و من القرء الطهر إلى الحيض، هذا قول أبى عبيدة ... و قال أبو حنيفة: المراد من القرء فى قوله تعالى: «ثلاثة قروء» الحيض. و قال الشافعى: الطهر ..- انظر الكليات لأبى البقاء (۴/ ۵۲ و ۵۳)، تحقيق د. عدنان درويش

و محمد المصری- الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۸۳

الفصل الثالث الاستدلال عن طریق النّقل

البحث الأول الاستدلال عن طریق النقل

اشارة

البحث الأول الاستدلال عن طریق النقل یعتبر هذا المسلک مصدرا من مصادر المعرفة عند علماء المسلمین الذین بحثوا فی استقصاء الحقائق و جزئیاتها، و فی الطرق و الوسائل المؤدیة إلی العلم. فأثبتوا الأسباب التی تؤدی إلی العلم الیقینی، و أبطلوا ما زعمته کثیر من الفرق من أنه طریق موصل إلی العلم. و فی ذلک یقول الشیخ محمد نمر الخطیب:

«الطرق الموصلة إلی المعرفة هی:

«الطرق الموصلة إلی المعرفة هی: ۱- العقل؛ و ذلک لأنه القوّة المدرکة. ۲- الحواس الخمس الظاهرة؛ و هی وسائل الإدراک. ۳- الخبر الصادق؛ و یشمل علی خبر الرسول، و ما یستفاد من الخبر المتواتر. و الخبر الصادق موجب للعلم، بحیث یستدل علی صدقه بأنه خبر من ثبت صدقه بالمعجزة، و کل خبر کذلک فهو صادق. و المتواتر هو ما تواطأ علی نقله جماعة عن جماعة، یؤمن اجتماعهم و اتفاقهم علی الکذب. و شروط المتواتر أن یکون منشؤه الإحساس، و أن یکون المخبر جمعا، و أن یستحیل عادة الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۸۵ تواطؤهم علی الکذب. و الخبر المتواتر یفید العلم بالضرورة» «۱» و السبیل العلمی الذی وضعه علماء المسلمین لتحقیق النسبة بین الخبر و مصدره، أوردته کتب فن مصطلح الحدیث، و فن الجرح و التعدیل، و تراجم الرجال. و من دراستها یتبین أن الخبر یرقی إلی درجة الیقین عند ما یثبت لدی التحری و البحث أن سلسلة السند متصلة من صاحب هذا الخبر و مصدره بنقل العدل الضابط عن مثله إلی نهایته التی انبثق عنها. فإن نقله جمع عن جمع اکتسب صفة الیقین و سمی خبرا متواترا. و إن کان نقله عن راویین أو ثلاثة رواة سمّی خبرا ظنّیا. «۲» و المتواتر هو الذی یعتد به فی بناء العقیدة و المدرکات الیقینیة. و قد نهانا القرآن عن اتباع الظن مع إمکانیة الاعتداد به فی نطاق الأحکام العملیة. بما أن القرآن نقل إلینا عن طریق التواتر، فهذا یدل علی أن قرآنیة ألفاظه مقطوع بها. فالقرآن کان ینزل وحیا علی محمد صلّی اللّه علیه و سلم، فیقوم بتبلیغ کل آیة إلی الصحابة أثناء نزولها، و یقوم بعضهم بتدوینها علی الفور، و خاصة أولئک الذین سمّوا «کتبة الوحی». ثم نقل التابعون القرآن کتابة و مشافهة بالألوف المؤلفة، کل عمّن قبلهم، جمعا عن جمع، و هکذا عن نبیّهم محمد صلّی اللّه علیه و سلم. لذلک کان القرآن قطعی الثبوت. فالکلام الذی نتلوه فی المصحف هو الذی نزل علی محمد صلّی اللّه علیه و سلم، و تلقاه عنه الألوف، و حمل عنهم من بعدهم. فإذا أیقنت أن محمدا قد أوحی إلیه، و هو الذی صدق أربعین سنة مع قومه، و اشتهر فیهم بذلک. و إذا أیقنت معنی

(_____ ۱) مقدمات و أبحاث تمهیدیة فی العقیدة الإسلامیة، ص- ۳۵. (۲) لمزید من التفصیل یمکن الرجوع إلی کتاب (أصول الحدیث، علومه و مصطلحه) للدکتور محمد عجاج الخطیب، ص- ۳۰۳. الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۸۶ الوحی بالبرهان العلمی القطعی- الذی سنوضحه فی بحث خاص قادم- کان لا بد أن توقن بنبوّة محمد صلّی اللّه علیه و سلم، و ذلک یعنی أن توقن أن القرآن رسالة رب العالمین إلی رسوله محمد عن طریق الوحی الأمین. الکلام المذکور یستدعی الدخول فی أبحاث تفصیلیة، تعرّفنا بمرسل القرآن و ناقله، و مبلّغه. و ذلک بعد التعریف بالقرآن و خصائصه. و لکنی أری استکمالا لأبحاث هذا الباب، أن أثبت بعض ما جاء فی ردّ الشبهات حول مصدر

القرآن فى مبحث خاص. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۸۷

البحث الثانى ردود على الشبهات حول مصدر القرآن

البحث الثانى ردود على الشبهات حول مصدر القرآن لقد أثار كثير من المستشرقين شبهات حول مصدر القرآن، و حول نبوّة محمد صلّى اللّه عليه و سلم، و قام بعض المنحرفين من أبناء أمتنا بترديد هذه الشبهات، و بعضهم دس الشكوك فى دراسات لقرآننا أو سيرة لنبينا الكريم عليه الصلاة و السلام، و الأمثلة على ذلك كثيرة، منها: - يقول المستشرق الفرنسى «أرنسبت رينان» فى بعض محاضراته عن اليهود و الإسلام: «إن الإسلام يكره العلم و يدعو إلى هدم المجتمع، و إن هو إلا بساطة الروح السامى الهائلة التى تضغط على دماغ الإنسان و تسد أمامه الطرق المؤدية إلى كل فكر حر و كل بحث علمى، مستعيضة عن كل ذلك بتكرارها الممل «لا إله إلا اللّه» ... فالمسلم و الأوروبى اليوم شخصان لا يجمعهما شىء من أساليب التفكير و الشعور، كأنهما من عالمين مختلفين ..» «۱». «بندلى جوزى» فى ردّه على «رينان» يقول: «يكفينا هنا أن نقول إن مصدر هذه الأفكار العقيمة الفاسدة هو أوّلا قلّة معرفة أصحابها لتاريخ الأمم الشرقية، و ضعفهم فى تحليل المواد التاريخية التى كانت فى أيديهم فى ذلك الوقت تحليلا علميا محضا. و ثانيا لأن الكتبة المذكورين بنوا حكمهم على مستقبل الأمم الشرقية مستندين على حالتهم العمرانية و الاجتماعية فى الماضى القريب. و هو حكم فى أهل المنطق فاسد. إلا أنه يسرّنا أن نجاهر بأن أكثر علماء تاريخ الشرق هم على غير رأى (شلوسو، و فنكلر، و رينان) و من حذا

(_____ ۱) تاريخ الحركات الفكرية فى الإسلام، بندلى جوزى، ص- ۱۰. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۸۸ حذوهم من مؤرخى الجيل السابق ... إن أكثر علماء أوربا أصبحوا اليوم يجاهرون بأن لا تأثير للدين على انحطاط العمران فى البلدان الشرقية، و إن لهذا الانحطاط الوقتى أسبابا غير الدين أهمها: مهاجرات و فتوحات الأمم المتوحشة كالمغول و الترك و الحروب الصليبية» «۱» هذا الكلام قد يوحى بالثقة. و لكن الأبحاث التى تناولها بعد ذلك تكشف عن عدم فهم لحقيقة الرسالة الإسلامية. و أقتصر على إيراد فقرات قصيرة تحاشيا للإطالة و دفعا للسأم، إذ يقول: «قال الأمير «كايتانى»: إن الإسلام لم يكن حركة دينية، إذ لم يكن فيه دينيا إلا الظاهر، أما الجوهر فإنه كان سياسيا و اقتصاديا. و معنى ذلك أن صاحب الدين الإسلامى استعمل الدين كغيره من أصحاب الأديان الكبيرة قبله و بعده للوصول إلى أغراض أخرى لا علاقة لها بالدين أصلا، أو لها علاقة ضعيفة .. و من فضل مؤسس الدين الإسلامى و مظاهر عبقريته أنه أدرك مصدر الحركة الاقتصادية و الاجتماعية التى ظهرت فى أيامه فى مكة عاصمة الحجاز، و عرف كيف يستفيد منها و يسخرها لأغراضه السامية، دينية كانت أو اجتماعية .. اسم هذا الرجل الذى توافرت فيه هذه الشروط التى قلما تجتمع فى شخص واحد هو محمد بن عبد اللّه، انتدب ليكون مصلحا لبلاده، أو كما يسميه القرشيون منذرا و بشيرا لقومه. فعقد نيته على محاربة هذه الأمراض الاجتماعية .. لا نستطيع أن نحشر المصلح المكى بين الاشتراكيين أو الشيوعيين .. فالزكاة و هى تلك الضريبة التى وضعها المصلح العربى على أولى الثروة و اليسار لمنفعة الفقراء و الصعاليك، صارت بعد وفاته و خلفائه الأولين و بالرغم عن إرادتهم تنفق أو ينفق أكثرها على حاجات الدولة. ثم إن هذه البدعة الاقتصادية الجديدة التى ابتدعها و هو فى المدينة،

(_____ ۱) المصدر السابق، ص- ۱۱ و ۱۴. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۸۹ ليست من درجة تلك الوسائل التى يتخذها اليوم الاشتراكيون و الشيوعيون لحل المعضلات الاقتصادية و الاجتماعية «۱». هذا نموذج من أسلوب الذين لم يفهموا حقيقة الإسلام. و من أمثال هؤلاء الحاقدين: «جولد زيهر» المستشرق اليهودى المجرى الذى تجنى على الإسلام عقيدة و شريعة تجنّيا حقودا فى كتابه (العقيدة و الشريعة فى الإسلام) «۲». و منهم من قال عن الإسلام بأنه صورة مشوهة عن اليهودية و المسيحية كالبارون» فون كريمر» «۳» بكتابه (الحضارة الإسلامية و مدى تأثرها بالمؤثرات الاجتماعية). و قد قام بعض الغيارى على الإسلام بالرد على مفترياته، منهم الأستاذ عبد الغفور العطار، و مما جاء فى

تعليقاته: «لم يكن التوراة و الإنجيل مترجمين إلى العربية فى عصر محمد صلّى اللّه عليه و سلم، و لم يكن الرسول يتكلم غير العربية، بل كان أميا لا يقرأ و لا يكتب. و هذه الأمّيّة تحتم عليه أن يكون الاستقاء عن طريق التلقى الشفوى المباشر .. و لكن لم يثبت أن أحدا تفرغ لمحمد يعلمه التوراة و الإنجيل، أو يعلمه ديانات العرب الجنوبيين أو غيرهم. و لم تعرف العرب ترجمة الكتاب المقدس فى عهديه القديم و الجديد إلّا بآخرة من الزمن. و لم يكن بمكة مركز ثقافى لأى دين من الأديان. بل أثبت باحثون مسيحيون كبار أن العربية لم تعرف ترجمة العهد الجديد إلّا بعد أربعة قرون من

(_____ ۱) المصدر السابق، ص- ۱۸ - ۲۴.

(۲) ترجمه إلى العربية الأساتذة: محمد يوسف موسى، عبد العزيز عبد الحق، د. على حسن عبد القادر، و طبعته دار الكاتب المصرى عام ۱۹۴۶. و قاموا برد مفتريات المؤلف فى الحواشى التى كتبوها. (۳) مستشرق نمسوى الأصل (۱۸۲۸- ۱۸۸۹) كان قنصلا فى بيروت و مصر، ترجم كتابه إلى العربية الدكتور مصطفى طه بدر بالقاهرة. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۹۰ بعثة نبى الإسلام. و أول نص عربى للإنجيل كان عام (۱۰۶۰ م)، و لم يكن لمحمد صحبة بالنصارى و اليهود. و لم يثبت أن له صلة ود و صداقة أو صلة تعلم بنصرانى أو يهودى. و الفرق كبير بين قصص القرآن و قصص الكتاب المقدس ..» «۱». فالردود على الحاقدين كثيرة، و كثيرة جدا «۲». و قد ردّ الأستاذ شوقى أبو خليل فى كتابه (الإسلام فى قفص الاتهام) على عدد من الاتهامات تفصيلا، و مما جاء فى ذلك: «يمكننى أن أضع لمصدر القرآن ثلاثة احتمالات؛ فهو إما من تأليف محمد (ص)، أو من تأليف العرب، أو من مصدر مجهول (س). ففى الاحتمال الأول نجد: ۱- أسلوب القرآن يخالف مخالفة تامة أسلوب كلام محمد (ص). فلو رجعنا إلى كتب الأحاديث التى جمعت أقوال محمد (ص) و قارنّاها بالقرآن، لرأينا الفرق الواضح و التغاير الظاهر فى كل شىء، فى أسلوب التعبير، و فى الموضوعات. فحديث (محمد) تتجلى فيه لغة المحادثة، و التفهيم، و التعليم، و الخطابة فى صورها و معناها المألوف لدى العرب كافة. بخلاف أسلوب القرآن الذى لا يعرف له شبيه فى أساليب العرب. ۲- يستشعر القارئ فى فطرته عند قراءة كتب الأحاديث شخصية بشرية و ذاتية تعتريها الخشية و المهابة و الضعف أمام اللّه .. بخلاف القرآن الذى يتراءى للقارئ من خلال آياته ذاتية جبارة، عادلة، حكيمة، خالقة، بارئة، مصورة، رحيمة، لا تضعف حتى فى مواطن الرحمة. فلو كان القرآن من كلام (محمد)

(_____ ۱) الإسلام بحث فى العقيدة و الإيمان، أحمد عبد الغفور العطار، ص- ۲۰۷. (۲) اقرأ إذا شئت الرد على شبهة المستشرق (نولدكه) و (شبرنجر) طبّيّا، حول النبى و رسالته فى الصفحات (۳۱۷- ۳۲۵) من كتاب (الإعجاز الطبى فى القرآن). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۹۱ لكان أسلوبه و أسلوب الأحاديث سواء. و من المسلّم به لدى أهل البصر الأدبى و الباع الطويل فى اللغة أنه من المتعذر على الشخص الواحد أن يكون له فى بيانه أسلوبان يختلف أحدهما عن الآخر اختلافا جذريا. ۳- محمد (ص) أمّى، ما درس، و لا تعلم، و لا تتلمذ، فهل يعقل أنه أتى بهذا الإعجاز التشريعى المتكامل دون أى تناقض؟. ۴- إن نظرة القرآن الكاملة الشاملة للكون و الحياة و الفكر و المعاملات و العبادات .. لو كانت من صنع محمد (ص) لما كان محمد بشرا. «۱» إن هذه التنظيمات و هذه التشريعات و الآراء تعجز عن القيام بها لجان كثيرة لها ثقافات عالمية و تخصص عميق، مهما أتيح لها من المراجع و الدراسات و الوقت .. فهل يتسنى لأمّىّ أن يأتى بهذه النظرة الشاملة؟. ۵- لما ذا يؤلف محمد (ص) القرآن ثم ينسبه إلى غيره؟. فالعظمة تكون

(_____ ۱) يقول الأستاذ عبد الغفور العطار: «و إذا أرادوا هدم الإسلام أو مسخه أو تشويهه، بدعوى اختراع محمد صلّى اللّه عليه و سلم للإسلام أو تلفيقه إياه فتلك الدعوى تنقلب عليهم لأن ما جاء به لا يتيسر لمخلوق .. فإذا أنكروا الوحى و ادّعوا أن ذلك من عمل رسول الإسلام، فقد و صفوه بالألوهية، لأن ذلك فوق طاقة المخلوق، و ما دام منسوبا إليه من قبلهم فقد رفعوه من البشرية إلى الألوهية. أ فتراهم يرضون لنبى الإسلام أن يكون إلها كاملا، و هم لم يرضوا له أن يكون بشرا سويّا؟ .. يقول (برتراندرسل): أعظم فلاسفة العصر الحاضر، و أحد مشاهير العالم

فى كتابه (تاريخ الحضارة العربية) صفحة ۱۸۶، الطبعة العربية: «كانت ديانة النبى محمد توحيدا بسيطا ليس فيه التعقيد الذى نراه فى عقيدة الثالوث و التجسيد، و لم يزعم النبى لنفسه أنه إلهى، و لا زعم أتباعه هذه الطبيعة الإلهية نيابة عنه» ..»- الإسلام بحث فى العقيدة و الإيمان، صفحة: ۲۷۳-. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۹۲ أقوى و أوضح و أسمى فيما لو جاء بعمل يعجز عنه العالم كله. ۶- فى القرآن أخبار الأولين بما يغاير أخبارهم فى الكتب المتداولة أيام محمد (ص)، و فيه إعجاز علمى فى الكون و الحياة و الطب و الرياضيات .. قال تعالى: وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً (الكهف/ ۲۵)، فثلاثمائة سنة من سنى الميلاد تساوى بالحساب الدقيق ثلاثمائة و تسع سنين من السنين الهجرية، فالزيادة «تسعا» جاءت من التقويم الهجرى، فكيف عرف محمد الأمّى حساب ذلك؟. و كيف عرف الأمى أن الأرض كروية بشكل بيضوى؟. و كيف عرف الأمىّ أن كمية الهواء فى الأجواء العليا تقل إلى درجة أن الإنسان يضيق صدره فيها؟. و كيف عرف أن الشمس و القمر يسبحان فى الفضاء؟. و غير ذلك عشرات و عشرات .. كيف عرف الأمىّ هذه الحقائق العلمية و هى التى عرفت اليوم فى المخابر الحديثة و الأقمار الصناعية؟. ۷- فى القرآن عتب و لوم لمحمد فى مواضع عدة، مثل: عَبَسَ وَ تَوَلَّى، أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى .. (عبس ۱- ۱۰) و فى الآيات (۴۳- ۱۱۳/ التوبة) و (۶۷ و ۶۸/ الأنفال)، و غيرها .. فلما ذا يؤلف محمد (ص) الكتاب ثم يوجه العتب إلى نفسه؟. حوادث عديدة قام بها محمد (ص) آنيّا مع أصحابه، ثم تبدلت فى نص القرآن، فلم يجد فى نفسه غضاضة. فلو كان القرآن من عنده لما قام بها و دوّنها. لغيّرها و عمل الأنسب دون تسجيل الحادثة. ۸- كانت تنزل بمحمد (ص) نوازل و أحداث من شأنها أن تحفّزه إلى القول، و كانت حاجته القصوى تلحّ عليه بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالا و مجالا، و لكن كانت تمضى الليالى و الأيام و لا يجد فى شأنها قرآنا يقرؤه على الناس. لو أن محمدا (ص) استوحى أصول دينه العظيم من الأرض لا من الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۹۳ السماء، لاستتبع ذلك أنّ قرآنا بشريّا استطاع أن يقوم بدعوة لتوحيد اللّه فى أسلوب من القول و التوجيه لم تستطعه كتب السماء نفسها .. الاحتمال الثانى أن القرآن من عند العرب؛ لقد فطر العرب على حب البلاغة و الأدب و الشعر و الخطابة، و جاء إعجاز القرآن بما برعوا به، فبزّهم، و سبقهم. فكيف يكون هذا القرآن من عند العرب و التحدى قائم باق لهم فى أن يقلّدوا سورة منه؟. فجاء إعجازه خالدا خلود الزمن .. الاحتمال الثالث أن يكون القرآن من مصدر مجهول (س)؛ إذا عجز العرب عن التحدى، و هم أصحاب اللغة، فهل يعقل أن يكون من صنع بشر غيرهم كالفرس أو الروم او الأحباش؟.» «۱» و مما جاء فى رد الأستاذ شوقى أبو خليل على مزاعم «نورمان دانيال» حول سفر محمد (ص) مع عمه إلى سورية و لقائه براهب نسطورى فى دير نصرانى و تلقّى منه علم التوراة: «إن اسم الكاهن الذى زعموا أنه كان يملى أو يعطى قصص القرآن للنبى كان يختلف دائما باختلاف مرجع و مصدر هذه الشبهة أو الإشاعة المفتراة، فإن كان المرجع مسيحيا فالراهب هو (سرجيوس، أو بحيرا)، و فى مرات أخرى هو (ورقة بن نوفل)، و إذا كان المرجع يهوديا فصاحب القرآن هو (حاخام) إسرائيلى مجهول الاسم، و لا ندرى لما ذا، كما جاء فى رواية (بيدرودى ألفونسو) الذى ينتهى فى أصله و نسبه إلى بنى إسرائيل. لنتفكّر فى هذه النقاط الثمانى التالية: ۱- اختلاف الروايات يدل على أن الشبهة و التهمة لم يتفق عليها، و لم تكن محكمة (_____ ۱)

الإسلام فى قفص الاتهام، ص- ۲۱- ۲۹. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۹۴ ۲- عمر محمد (ص) حين ذهب مع عمه إلى الشام كان تسع سنوات، فهل يعقل أن يعى و يستوعب ما يمليه عليه «بحيرا»؟. و لما عاد مع «ميسرة» خادم خديجة فى تجارة لها، لم يتكلم ميسرة إلا- بما رأى من عناية اللّه بمحمد. و لم يجتمع محمد فى هذه التجارة مع أى كاهن أو راهب .. و ما كان لمحمد أن يخرج إلى بلاد الشام خلسة لو لم تكلفه خديجة بتجارتها ليأخذ من: «بحيرا» القرآن. و ما هى الصلة السابقة بين محمد و بحيرا؟. و لما ذا انتقى بحيرا محمدا بالذات و أعطاه هذا التشريع، و لم يعطه لابنه أو قريبه، أو يدّعيه لنفسه؟. لما ذا يعطى المجد و الخلود و الشهرة و القوة و النصر و خير البشرية و إنقاذها إلى هذا العربى اليتيم، و لم يدّعه لنفسه؟. ۳- محمد (ص) لم يبق إلّا وقتا قصيرا مع بحيرا بوجود أناس كثر، فهل يكفى لهذا الأمىّ الصغير يوم أو يومان أو ثلاثة كى يعى القرآن كله جملة أو تفصيلا؟. ۴- برهنّا بموضوعية أن

القرآن لن يكون من عند بشر مطلقا، فبحيرا بشر، و ورقة بن نوفل بشر، و حاخام ألفونسو بشر .. و لو بقى محمد (ص) عندهم آلاف السنين لما أتوا بمثله، و لما أعطوه بالتالى هذا التشريع المعجز. ۵- لم يعاصر بحيرا أو ورقة .. التسلسل الزمنى للحوادث الواردة فى القرآن. فأين بحيرا، أو ورقة، أو .. من سؤال يسأله الرسول (ص) فنرى الإجابة قد وجدت فى حينها و جاء القرآن يشرحها و يحدد موقفه منها. و هذا يدحض دحضا قاطعا كون القرآن من عند هؤلاء. فلو كان جزء منه من عندهم لكانت الحوادث التى جرت بعدهم و تكلم بها النبى من عنده لها أسلوب يغاير أسلوبهم، أى لكان فى القرآن أسلوبان متغايران، و هذا ما لا نراه فى القرآن. و مهما كان بحيرا- أو غيره- كبير عقل و صاحب نظر ثاقب فلن الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۹۵ يعرف أو يعرف غيره، حوادث جرت بعد وفاته بعشرات السنين. ۶- فى القرآن آيات لا توافق عقيدة المسيحية، منها: وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ .. (النساء/ ۱۵۷) و منها أيضا: الآيات (۱۷۱/ النساء، و ۷۲ و ۱۱۶/ المائدة) فكيف يكتبها بحيرا أو ورقة؟. و آيات توضح نفس اليهود الخبيثة، منها: مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً .. (الجمعة/ ۵)، و منها «الآيات (۱۴۶/ البقرة، و ۶۴/ المائدة) فكيف يكتبها حاخام؟. ۷- هل الراهب «بحيرا» كاذب؟ أو ورقة كاذب؟ كيف نرضى برجل دين عكف و اعتكف فى صومعته و ديره للعبادة و معرفة اللّه عقلا و روحا أن يكذب؟. و الكذب نقيصة لا نقبل بها للإنسان العادى، فكيف لناسك متعبد؟. كيف يقول أحدهم إنّ القرآن من عند اللّه نزل على قلب محمد بن عبد اللّه، و من عنده؟. هل يرضى صاحب الشبهة «نورمان دانيال» أن يكون رجل دينه كاذبا؟. و ما مصلحته فى هذا الافتراء؟. و كلمة أخيرة: إن القرآن الذى قالوا عنه إنه من عند بحيرا أو غيره صاغوه فى ترجماتهم الأوربية بتشويه و تحريف، فلم يسمع الأوربى بلاغة و تشريع القرآن» «۱» حتى الآيات التى فيها عتاب للنبى و برهان على أن القرآن ليس من عند محمد صلّى اللّه عليه و سلم، حاول بعض المستشرقين التشكيك فيها، و اتخذوا من هذه المواقف ذريعة بأن النبى لم يكن على صواب فى أشياء قام بها،

(_____ ۱) المصدر السابق، ص- ۳۰- ۳۵. و لمعرفة ترجمات القرآن يمكن الرجوع إلى عدد (الهلال) الصادر فى كانون الأول عام ۱۹۷۰، ص- ۱۰۴- ۱۱۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۹۶ فاستخدموا آيات مثل: وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا، إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً (الإسراء/ ۷۴ و ۷۵). «و لكن الذين يستخدمون هذه الآيات يثبتون أن القرآن منزل من عند اللّه، و أنه لم يحدث فيه تبديل و لا تغيير حتى وصل إليهم، فلو حدث فيه تبديل أو تغيير لحذفت منه الآيات التى تتضمن عتابا من اللّه لرسوله، أو على الأقل حرفت. و لكن كون القرآن قد جاءنا و فيه هذه الآيات- مع ما يمكن استغلاله فيها- و كونها لم تتغير و لم تتبدل، فهى دليل على أن القرآن قد وصل كما أنزله اللّه تأكيدا للآية الكريمة: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (الحجر/ ۹). و كون هذه الآيات نزلت فى زمن الرسول، و كان الرسول يتلقى من الوحى، و يبلغه للمؤمنين، و من هنا فإن محمدا (ص) لو لم يكن أمينا فى إبلاغ الرسالة لأخفى هذه الآيات، و ما كان أحد من البشر يستطيع أن يعرف إذا كانت قد أنزلت أم لا. و لو أن هذا القرآن كلام بشر ما كان يحوى عتابا لرسول اللّه، فالبشر من عادتهم لا يتقبلون النقد، و يدّعون الكمال .. أما قول المستشرقين بأن الرسول لو لم يذنب لما خاطبه اللّه تعالى بقوله: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ (محمد/ ۱۹) فإن سياق الآية يدل دلالة واضحة على أنها و أمثالها تتعلق بالمبادئ، و أنه ليس فيها ذنب يجازى عليه بالعقاب، بل هى توجيه بأن الاستغفار من مكملات العبادة و الطاعة. و ما يقال عن أن هذه الآية هى فى مقام اللوم غير صحيح، فطلب الرحمة و المغفرة مطلوب من كل مؤمن مهما بلغت درجة إيمانه، و مكمل للعمل الصالح. و الرسول لا يشرع لنفسه، و لكنه يشرع لأمته. ثم إن الاستغفار لا يحدث إلا إذا كان الإنسان فى قلبه إيمان، لأن الاستغفار هو الخضوع للّه، و هذا الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۹۷ الاستغفار هو الخضوع للّه، و هذا لا يوجد إلا فى قلب مؤمن، و من هنا يقول تعالى: إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ، وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ، إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً (سورة النصر)، و ارتبطت الآية بالفتح، و فى نفس الوقت لم ترتبط بالذنب، أى أن التسبيح و الاستغفار

کلیهما حمد للّه، و کلاهما ینقی النفس من الدنیا و یقرّبها من الجنّة ..» «۱» رأینا کیف تحدت معجزة القرآن العرب و غیر العرب، و المعاصرین و غیر المعاصرین لمحمد صلّی اللّه علیه و سلم، و أثبتت صدق الذی جاءت علی یدیه، رغم محاولات التضلیل المختلفة، و أثبتت أیضا أنها باقیة خالدة. و أن المنهج القرآنی یختلف عن الدیانات السابقة بدءا من العقیدة و حتی أمور الحیاة. و إذا اتفق فی بعض الأمور، فمحمد صلی اللّه علیه و سلم لم یدّع أنه جاء بدین یناقض الأدیان الصحیحة. ثم إن الضمیر الإنسانی مهما أغرقه الکفر و الشرک لا ینعدم فیه الخیر. و القرآن مع الفطرة، و إنما یحارب ما جدّ من عقائد باطلة. و لکن خصوم الإسلام یفترون علیه، من مستشرقین مغرضین و من یعتنق أفکارهم و یروّج لها. فکم من دار نشر تقوم بترجمة کتاب یهاجم الإسلام، أو الأدیان و من بینها الإسلام، و تمسخ جمال الإسلام و حقیقته. و یقرؤها البعض دون الرجوع إلی أمهات الکتب الإسلامیة أو العربیة، بل لا یکلف المترجم نفسه عناء التوضیح و لو فی هامش کتابه، ثم یزعم أن ما یقدمه إنما هو البحث العلمی.

(_____ ۱) معجزة القرآن، ص- ۲۱۵- ۲۳۲ باختصار. الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۹۹

الفصل الرّابع القرآن الکریم و خصائصه

أولا) التعریف بالقرآن

اشارة

أولا) التعریف بالقرآن لقد عرّف العلماء القرآن تعریفا جمع خواصه و عناصره قائلین: (القرآن هو اللفظ العربی المعجز الذی نزل وحیا علی محمد صلّی اللّه علیه و سلم، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، و هو ما بین دفّتی المصحف مبدوءا بسورة الفاتحة، مختوما بسورة الناس). «۱» و التعریف المذکور یبین لنا خواص القرآن و ممیزاته، فهو:

۱- اللفظ العربی المعجز

۱- اللفظ العربی المعجز ؛ بمعنی أن جمیع القرآن عربی، لقوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (یوسف/ ۲)، و قال تعالی: کِتابٌ فُصِّلَتْ آیاتُهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ (فصّلت). و جاء مثل ذلک فی آیات أخری، منها الآیة (۱۰۳/ النحل) و الآیة (۱۹۵/ الشعراء)، و غیرها. و بناء علی ذلک لا تعتبر ترجمة القرآن قرآنا، إذ لا بدّ أن یفقد المعنی أو البلاغة الحقیقیة. إلّا أنه یمکن ترجمة تفسیر معانی القرآن إلی اللغات الأخری، شریطة توفر الفهم الصحیح لمعانی القرآن.

۲- نزل وحیا عن اللّه

۲- نزل وحیا عن اللّه ، فکل لفظ و معنی فی القرآن إنما هو منزّل من عند اللّه تعالی بواسطة جبریل علی محمد صلّی اللّه علیه و سلم لقوله: وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ، عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ، بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ (الشعراء/ ۱۹۲- ۱۹۵)، و کذا الآیة (۶/ النحل). یقول الشیخ محمد الغزالی: «لو ارتبت لحظة فی أن القرآن من عند اللّه، ثم تصفحت کتب العهدین القدیم و الجدید، لعدت علی عجل إلی کتابک تتشبث به، و تحمد اللّه ألف مرة أن هدیت إلیه

(_____ ۱) مصادر التشریع الإسلامی و مناهج الاستنباط، ص- ۵۱. الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۰۱ وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِی جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَکَ مِنَ اللَّهِ

مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (البقرة/ ۱۲۰) «۱»

۳- المنقول بالتواتر

۳- المنقول بالتواتر الذى هو من طريق اليقين، فقد استمع الصحابة للقرآن من فم الرسول صلّى اللّه عليه و سلم، و أقبلوا على حفظه حتى كثر الحفّاظ فيهم، فنقلوه للجيل الذى بعدهم، و هكذا إلى عصرنا. و قد أشرت سابقا إلى أن النقل بالتواتر من أعظم الطرق العلمية المأمونة فى النقل، و هى ميزة انفرد بها القرآن بين سائر الكتب السماوية، دون تغيير أو تبديل، على عكس ما نقله إلينا المؤرخون فى شأن التوراة و الإنجيل، حيث إنه لم يثبت تدوينهما إلا بعد زمن طويل من وفاة موسى و عيسى عليهما السلام. و بهذا يتبين لنا أن القرآن نقله جموع المسلمين عن جموعهم إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلم، بحيث قطع بصدق و ضبط كل طبقة منهم، و استحالة اتفاقهم على الكذب. و نظرا لثبوت القرآن بطريق القطع و اليقين، فإن نصوصه قطعيّة الثبوت بلا خلاف من أحد.

۴- المتعبّد بتلاوته

۴- المتعبّد بتلاوته ؛ و هذا يعنى أنه لا يصلح للتلاوة فى الصلاة غيره. فتلاوة القرآن عبادة يتقرب بها المؤمن من خالقه القائل: فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ .. (المزمل/ ۲۰ (_____). ۱) فقه السيرة للغزالى، ص- ۳۵. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۰۲

ثانيا) خصائص القرآن الكريم

ثانيا) خصائص القرآن الكريم لقد أبرز لنا التعريف بالقرآن خصائص القرآن، فعرفنا أنه ذو لفظ عربى مبين، و أنه نزل وحيا من اللّه تعالى على نبيه. و نزوله كان خلال ثلاثة و عشرين عاما. فكان أول ما نزل منه قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ. (العلق/ ۱)، و كان نزوله على قسمين: القسم الأول: ما نزل دون حصول مناسبة محددة تستدعى بيان حكم محدد، كالآيات الدالّة على وجود اللّه تعالى و قدرته، و الآيات المتضمنة أحوال الآخرة، أو قصص الأنبياء. و الحكمة من إنزال هذا القسم بيان معالم الحياة الإسلامية و إكمال شريعة اللّه تعالى للناس. القسم الثانى: ما نزل إثر سؤال وجّه إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلم، فتأتى الآية مشتملة على الجواب، كقوله تعالى: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى، وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (الإسراء/ ۸۵). و منها ما نزل إثر واقعة لم يعرف فيها حكم اللّه تعالى كقوله: ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الْأَرْضِ، تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ، وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (الأنفال/ ۶۷)، حيث روى أنه «لما كان يوم بدر، و جىء بالأسرى، استشار النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أبا بكر، فقال: قومك و أهلك استبقهم لعل اللّه يتوب عليهم، و خذ منهم فدية تقوى بها أصحابك. و قال عمر: كذبوك و أخرجوك، فقدمهم و اضرب أعناقهم، فإن هؤلاء أئمة الكفر، و إن اللّه أغناك من الفداء. فقال عليه الصلاة و السلام: مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم حيث قال: وَ مَنْ عَصانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (إبراهيم/ ۳۶). و مثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال: رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً (نوح/ ۲۶). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۰۳ ثم قال صلّى اللّه عليه و سلم لهم: «إن شئتم قتلتموهم و إن شئتم فاديتموهم و استشهد منكم بعدتهم «فقالوا: بل نأخذ الفداء، فاستشهدوا بأحد، فلما أخذوا الفداء نزلت الآية: تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ .. الخطاب لأصحاب النبى- أى متاعها- يعنى الفداء سمّاه عرضا لقلة بقائه و سرعة فنائه.» «۱» و مناسبات النزول هذه سماها العلماء من باب المجاز: أسباب النزول. و هذه من الأمور الهامة فى فهم النص القرآنى، لأنها تلقى ضوءا يساعد على كشف المراد منه. لذلك عنى بها المفسرون، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الآيات و إن نزلت بناء على حادثة معينة، فإن حكمها لا يقتصر

على تلك الحادثة، و إنما يتعداها إلى كل الحوادث المشابهة لو اختلف الزمان و المكان. فمما ورد فى سبب نزول قوله تعالى: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ، فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ ... (النساء/ ۱۱) آراء مختلفة، منها: «عن جابر قال: مرضت فأتانى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يعودنى و أبو بكر، و هما يمشيان، فوجدانى أغمى علىّ، فتوضّأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ثم صبّ وضوءه علىّ، فأفقت. فإذا النبى صلّى اللّه عليه و سلم جالس، فقلت يا رسول اللّه كيف أصنع فى مالى، كيف أقضى فى مالى؟ فلم يجبنى بشىء حتى نزلت آية الميراث» «۲» فهذه الآية تتصف بالعموم، و لا ترتبط بشخص معين، أو زمان أو مكان محدد. و هكذا بالنسبة للآيات الأخرى المتعلقة بأسباب النزول تتعداها إلى الحوادث المشابهة. و آخر ما نزل على النبى صلّى اللّه عليه و سلم قوله تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (البقرة/ ۲۸۱).

(_____ ۱) تفسير النسفى، (۲ / ۱۹۴). (۲) تفسير الخازن، (۱/ ۳۲۲). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۰۴

ثالثا) نزول القرآن مفرّقا و حكمة ذلك

اشارة

ثالثا) نزول القرآن مفرّقا و حكمة ذلك لقد نزل القرآن على محمد صلّى اللّه عليه و سلم مفرّقا، و متدرجا مع الأحداث و الوقائع. فكان يتنزل الوحى على الرسول بعدد من الآيات، و ذلك لحكم كثيرة، منها:

۱- تثبيت فؤاد النبى «۱» صلّى اللّه عليه و سلم

۱- تثبيت فؤاد النبى «۱» صلّى اللّه عليه و سلم ليكون دائما على حال من قوّة القلب و صفاء النفس و التسلية عما كان يناله من الأذى، و ما يلقاه من العناء، فى طريق ما يدعو إليه من مبادئ التوحيد و العدالة و الخير، و حفظ كرامة الإنسان و إسعاده فى الدنيا و الآخرة. و لقد جاءت هذه الحكمة واضحة فى قول الخالق الكريم جوابا لتساؤل الكفار و تطلعهم إلى نزول القرآن جملة واحدة. و قال: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا (الفرقان/ ۳۲). و لا شك فى أن ذلك كان مدعاة لأن يكون الرسول فى قمة الحفظ لما ينزل إليه، و فهمه، و وعيه، لتبليغه للأمة على أفضل وجه، و بيانه خير ما يكون البيان، تقرأ فى ذلك قوله: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ. فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ (القيامة/ ۱۶- ۱۷). ا. ه-

۲- التدرّج فى أحكام اللّه و شريعته:

۲- التدرّج فى أحكام اللّه و شريعته: فالقرآن نزل فى أمة ابتعدت عن جادة الصواب كثيرا فى معتقداتها و عاداتها و تشريعاتها، لذا كان عسيرا ردّها إلى الصواب دفعة واحدة. و هذا أسلوب تربوى يساعد على الفهم و الحفظ، فمرة جواب على سؤال، و مرة إصلاح خطأ، و مرة بيان حكم، أو توجيه إلى أمر من الأمور. حتى إذا اهتدى الناس إلى طريق الإسلام نزل الحلال و الحرام. و لو نزل

(_____ ۱) مصادر التشريع الإسلامى و مناهج الاستنباط، ص- ۵۷ و ۵۸. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۰۵ تحريم الخمر دفعة واحدة ربما قالوا: لا ندع الخمر أبدا. و يمكن اعتبار معرفة علم الناسخ و المنسوخ «۱» ضربا من ضروب التدرج لأن معرفتنا بما صحّ من وجوهه تيسر علينا تعيين الآيات التى

نزلت قبل غيرها، و تظهرها على جانب من حكمة الخالق فى تربية الخلق.

۳- التلطّف بالنبى صلّى اللّه عليه و سلم و التخفيف عنه

۳- التلطّف بالنبى صلّى اللّه عليه و سلم و التخفيف عنه ؛ من شدة ما يلقاه عند نزول الوحى، إذ كان يلاقى شدّة حين نزول الوحى مع أنه لا يدوم إلّا قليلا، فكيف يكون حاله لو طال نزول الوحى عليه أيّاما حتى يتم وحى القرآن بكامله.

۴- تأكيد معنى الإعجاز: «۲»

۴- تأكيد معنى الإعجاز: «۲» الإعجاز كما تقدم فى تعريفه بيان عجز الغير و ضعفه عن المجاراة. و تنجيم القرآن تضمن تأكيدا لهذا المعنى، إذ لو نزل القرآن دفعة واحدة لاحتج العرب بأنهم لا يستطيعون مجاراة القرآن جملة واحدة، و لكنهم بإمكانهم أن يأتوا بجزء منه فقط، فكان مجيء القرآن منجّما ردّا لهذه الدعوى بأن القرآن قد أنزل أجزاء و هو يتحداهم بكل جزء من أجزائه لا بكله فقط. و فى هذا منتهى التحدى المعجز .. ثم إلى جانب ذلك فإن انسجام آيات القرآن و تناسقها مع تنجيمها زيادة إعجاز عما لو نزلت دفعة واحدة. ا. ه-

۵- رسوخ الأحكام فى الذهن و الدقة فى فهمها

۵- رسوخ الأحكام فى الذهن و الدقة فى فهمها ؛ فنزول القرآن خلال أكثر من عشرين عاما فسح المجال أمام الصحابة لتفهّم أحكامه و استيعاب تطبيقها (_____. ۱) النسخ فى اصطلاح العلماء رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر عنه.- تفسير الخازن (۱/ ۷۱) (۲) عن محاضرة للدكتور فتحى الدرينى فى أصول الفقه، ألقيت على طلاب السنة الثانية فى كلية الشريعة بجامعة دمشق عام ۱۹۶۵/ ۱۹۶۶. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۰۶

۶- تسهيل حفظ القرآن:

۶- تسهيل حفظ القرآن: فقد عرفنا أن غالبية العرب أميّة لا تقرأ و لا تكتب، و كان الصحابة يتلقفون القرآن مشافهة عن الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و يحفظونه فى صدورهم، حيث لم تكن الكتابة متفشية.

۷- تقديم الحلول للمشكلات الطارئة فى وقتها المناسب

۷- تقديم الحلول للمشكلات الطارئة فى وقتها المناسب ، و من ذلك إرشاد المسلمين إلى خطئهم فى غزوة حنين، إذ أعجبتهم كثرتهم و غفلوا عن أن النصر بيد اللّه تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً، وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ .. (التوبة/ ۲۵). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۰۷

رابعا) ترتيب الآيات فى القرآن

رابعا) ترتيب الآيات فى القرآن عرفنا أن القرآن قد نزل مفرّقا وفقا لمناسبات و مقتضيات الحال، لكن حكمة اللّه تعالى قضت بضم الآيات ضمن سورها. و هذا معنى قول العلماء: (إنّ القرآن توقيفى). روى عن ابن عباس قوله: «لما نزلت آخر آية على النبى قال له جبريل: يا محمد ضعها على رأس ثمانية و مائتى آية من سورة البقرة.» «۱» و بذلك نعلم أن جبريل كان يعلم الرسول مواضع الآيات و ترتيبها فى سورها. و روى عن الرسول صلّى اللّه عليه و سلم أنه قال: «أتانى جبريل فأمرنى أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة.

خامسا) حفظ القرآن و كتابته

اشارة

خامسا) حفظ القرآن و كتابته كانت غالبية العرب أمية، و محمد صلّى اللّه عليه و سلم كان أميا، بدليل قوله تعالى: هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ (الجمعة/ ۲)، و لطالما كانت غالبية العرب لا تقرأ و لا تكتب فقد بذل محمد صلّى اللّه عليه و سلم جهده للمحافظة على القرآن لما نزل عليه، و اتبع الوسائل الكفيلة بذلك، و منها:

۱- التحريض على حفظ القرآن

۱- التحريض على حفظ القرآن ؛ و قد كان محمد صلّى اللّه عليه و سلم

(_____ ۱) تفسير الخازن (۴/ ۲۰۱) الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۰۸ يردّد القرآن أثناء نزول الوحى، حرصا على ألّا يفوته شىء، فأعلمه اللّه تعالى أنه تكفل بحفظه و بتحفيظه إياه فقال: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (القيامة/ ۱۶). و كان يملى ما ينزل عليه من القرآن على كتّاب الوحى، و يأمرهم بكتابته مبيّنا لهم موضعه فى القرآن.

۲- مراجعة جبريل له بالقرآن فى كل عام مرة فى شهر رمضان

۲- مراجعة جبريل له بالقرآن فى كل عام مرة فى شهر رمضان ، حسب ما جاء فى الأحاديث الصحيحة، و عرضه فى العام الذى توفى مرتين «۱». و قد شهد «زيد بن ثابت» العرضة الأخيرة التى عرضها الرسول على جبريل. و لهذا اعتمد أبو بكر على زيد بن ثابت فى كتابة المصحف.

۳- إملاؤه القرآن على كتّاب الوحى

۳- إملاؤه القرآن على كتّاب الوحى ، و حرصه على تعليم صحبه القراءة و الكتابة و لو من أسرى المشركين خلاصا لهم من الأسر، و قد اختار الرسول من هؤلاء الكتّاب المجيدين نفرا منهم: أبو بكر، و عمر بن الخطاب، و عثمان بن عفان، و على بن أبى طالب، و زيد بن ثابت، «۲» و غيرهم، سمّوا (_____ ۱) عن عائشة أم المؤمنين قالت: أقبلت فاطمة تمشى، كأن مشيتها مشية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فقال: «مرحبا بابنتى» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرّ إليها حديثا فبكت، ثم أسرّ إليها حديثا فضحكت. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن. فسألتها عما قال. فقالت: ما كنت لأفشى سرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. فلما قبض سألتها، فأخبرتنى أنه أسرّ إلىّ فقال: (إن جبريل كان

يعارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة، و إنه عارضنى العام مرتين، و ما أراه إلّا و قد حضر أجلى، و إنك أوّل أهلى لحوقا بى، و نعم السلف أنا لك) فبكيت. فقال:: (أ لا ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين؟.) و فى رواية أخرى عن فاطمة: ما عدا مريم بنت عمران.- أخرجه البخارى فى الصحيح (۴ / ۲۴۷)، و جاء فى أسد الغابة (۵ / ۲۱۵). (۲) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى الخزرجى، أبو خارجة، من فقهاء الصحابة و أعلمهم، كان كاتب الوحى، ولد بالمدينة، و نشأ بمكة، ثم هاجر و تعلّم و تفقّه، توفى سنة ۴۵ ه-.- الأعلام للزركلى (۳/ ۹۵)-. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۰۹ بكتّاب الوحى، و كان الرسول كلما نزلت عليه آية يستدعيهم و يأمرهم بكتابتها فى مكانها الذى عيّنه الوحى له. و كانوا يكتبون على الرقاع و غيرها من وسائل الكتابة، و يحفظون ما كتبوه.

۴- تحفيظه الصحابة:

۴- تحفيظه الصحابة: كان الرسول يعلم أصحابه ما ينزل عليه من آيات القرآن، و يأمرهم أن يعلم بعضهم بعضا، و كان الرجل إذا هاجر دفعه النبى إلى من حفظ القرآن ليعلّمه القرآن. و قد ساعدهم على حفظ القرآن أمور عديدة، منها: قوة العنصر الفكرى عندهم، و قوة العنصر الروحى و الإيمانى، و تمهّل الرسول فى التلاوة، و نزول القرآن مفرّقا، و تكرار النازل منه فى الصلوات الجهرية و خطبة الجمعة و العيدين.

سادسا) جمع القرآن

سادسا) جمع القرآن عند ما توفى الرسول صلّى اللّه عليه و سلم كان القرآن محفوظا من قبل جماهير الصحابة، و مكتوبا لدى عدد منهم، و إنما لم يجمع فى مصحف واحد، لقصر المدة بين وفاة الرسول و بين آخر ما نزل من القرآن. و لكن بعد وفاته و تولى الصديق أمر الخلافة، عصفت بدولة الإسلام فتن تمثلت فى حركة المرتدين، و أصرّ الصدّيق على مواجهة الفتنة بكل قوة، و استشهد فى هذه المعارك عدد من حفاظ القرآن و قرّائه. فأشار ابن الخطاب على أبى بكر بأن يجمع القرآن فى مصحف واحد خوفا من ضياع شىء من القرآن بموت الحفاظ. و يأبى أبو بكر اقتراح عمر لما رأى فى ذلك العمل من بدعة لم يعملها الرسول. و هذا زيد بن ثابت يحدثنا كيف تم هذا الأمر. فقد جاء فى صحيح البخارى عن زيد أنه قال: «بعث إلىّ أبو بكر لمقتل أهل اليمامة، و عنده عمر، فقال الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۱۰ أبو بكر: إن عمر جاءنى فقال: إن القتل قد استحر «۱» يوم اليمامة بقرّاء القرآن، و إنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى كل موطن، فيذهب من القراء كثير، و إنى أرى أن تأمر بجمع القرآن. قال: قلت لعمر: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول اللّه. فقال عمر: هو و اللّه خير، فلم يزل يراجعنى فى ذلك حتى شرح اللّه صدرى للذى شرح له صدر عمر، و رأيت فى ذلك الذى رأى عمر. قال زيد: فقال لى أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فتتبع القرآن فاجمعه. قال زيد: فو اللّه لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرنى به من جمع القرآن. فقلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؟ فقال أبو بكر: هو و اللّه خير. فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح اللّه صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر «۲». فتتبّعت القرآن أجمعه من الرقاع و العسب (جريد النخل و سعفه) و اللخاف (الخزف، و قيل: حجارة رقاق بيض واحدته لخفة) و صدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة، أو مع أبى خزيمة الأنصارى «۳»، فلم أجدها مع أحد غيره و هى: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ .. (التوبة/ ۲۸) إلى آخر سورة براءة، فألحقتها فى سورتها. قال: فكانت الصحف عند أبى بكر حياته حتى توفاه اللّه .. ثم عند عمر حياته حتى توفاه اللّه، ثم عند حفصة بنت عمر ..» «۴».

(_____ ۱) أى كثر، إذ ينسب المكروه إلى

الحر، و المحبوب إلى البرد. (۲) و فى روايـة: فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح اللّه صـدرى للـذى شـرح له صدر أبى بكر و عمر، و رأيت فى ذلك الـذى رأيا. (۳) صـحابى شـهد بدرا و ما بعدها إلى عهد عثمان. (۴) تفسير الخازن (۱/ ۶). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۱۱ و مما يبعث على الثقة بهذه الصـحف أمور منها: أ- أن زيدا كان لا يقبل من أحد شـيئا من القرآن حتى يشـهد شاهـدان أنه تلقاه سـماعا من الرسول أو كتبه بين يديه. ب- أن ذلك الجمع تم تحت إشـراف جمهرة من حفاظ القرآن من الصـحابة المشـهور لهم بالضـبط و الإتقان. ج- أن الصـحف التى كتبت بأمر أبى بكر تضمنت القرآن المنقول بالتواتر، المكتوب بين يدى النبى صلّى اللّه عليه و سلم.

سابعا) استنساخ القرآن

سابعا) اسـتنساخ القرآن بعـد ما اتسـعت رقعـة الفتوحات فى عهـد الخليفة عثمان بن عفان رضـى اللّه عنه و دخل كثير من الأعاجم فى الإسـلام و قرءوا القرآن بما اسـتحكم فيهم من عجمة، ثار بينهم الاختلاف فى تلاوته. فقد جاء فى صـحيح البخارى: «عن أنس رضـى اللّه عنه أن حذيفـة بن اليمـان قـدم على عثمـان، و كـان يغازى أهل الشام فى فتـح إرمينيـة و آذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حـذيفة اختلافهم فى القراءة. فقال حذيفـة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هـذه الأمـة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود و النصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسـلى إلينا بالصـحف ننسـخها فى المصاحف ثم نردها إليك. فأرسـلت بها حفصة إلى عثمان. فأمر زيد بن ثابت و عبد اللّه بن الزبير و سـعيد بن العاص و عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، فنسخوها فى المصاحف. و قال عثمان للقرشيين الثلاثـة: إذا اختلفتم أنتم و زيـد بن ثـابت فى شـىء من القرآن فـاكتبوه بلسان قريش فإنما الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۱۲ أنزل بلسانهم. ففعلوا، حتى إذا نسـخوا الصـحف فى المصاحف ردّ عثمان الصـحف إلى حفصة، و أرسل إلى كل أفق بمصـحف مما نسـخوا، و أمر بما سوى ذلك من القرآن فى كل صـحيفة أو بمصـحف أن يحرق .. قال ابن شـهاب: و أخبرنى خارجة بن زيد أنه سمع زيد بن ثابت يقول: فقدت آية من سورة الأحزاب حين نسـخت الصـحف قد كنت أسـمع رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلم يقرأ بها، فالتمسـناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى، و هى قوله تعالى: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ .. (الأحزاب/ ۲۳) فألحقناها فى سورتها فى المصـحف.» «۱». و تم إنجاز العمل المذكور فى غضون خمس سـنين، و أرسل عثمان مصـحفا إلى كل من مكة و الشام، و اليمن، و البحرين، و البصـرة، و الكوفة، و اسـتبقى عنده بالمدينة واحدا. و يسـمى المصـحف المكتوب بأمر عثمان (مصـحف عثمان) أو المصـحف الإمام. و أرسل إلى كل مصـر من الأمصار الإسـلامية مع المصحف صحابيا قارئا يكون مرجعا صوتيا يضـبط الأـداء بجانب المصـحف المكتوب. و ظل تـداول النص القرآنى يعتمـد على الأمرين التسـجيل الكتابى و التسـجيل الصوتى أو الأـدائى، و عـن المصـاحف الـتى وزعهـا عثمـان رضـى اللّـه عنـه كتـب العـالم الإسـلامى المصـاحف.

(_____ ۱) تفسير الخازن (۱/ ۷). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۱۳

ثامنا) تشكيل القرآن

ثامنا) تشـكيل القرآن عند ما دوّن كتّاب الوحى القرآن كانت الكتابة مجردة من النقط و الشكل، و لم يجد المسلمون صعوبة فى قراءة المصاحف، لأنهم كانوا يعرفون لغتهم جيدا، و لم يعتمدوا على المصـحف وحده فى التلاوة، و لما اتسـعت الفتوحات الإسـلامية و فشا اللحن بـدخول غير العرب فى الإسـلام، خشـى المسـلمون أن يمتد اللحن إلى القرآن نفسه، فكانت محاولة وضع قواعد للعربية تعصـم الألسـنة من الخطأ فى الأداء القرآنى، و فى الكلام العربى عامة. و تم ذلك بمعرفة (أبو الأسود الدؤلى) «۱» و بتوجيه من أمير المؤمنين على بن أبى طـالب، فحـاول التشـكيل و وضـع الحركـات الإعرابيـة بشـكل نقـط بلون مغـاير للون الحروف. ثم قـام (الخليـل بن أحمد

الفراهيدى) «۲» بتطوير المحاولة، فجعلها كما هى معروفة اليوم. أما التنقيط فقد قام به (نصر بن عاصم) «۳» تلميذ الدؤلى، لتمييز الحروف المتشابهة. و استمرت العناية عن طريق علماء القراءات و اللغة و النحو لتوفير أسباب السلامة للنص القرآنى، فقد أضاف العلماء فى العصر الحديث للمصحف

(۱) ظالم بن عمرو بن جندل الدؤلى الكنانى، من التابعين، وضع الحركات و التنوين، سكن البصرة فى خلافة عمر، و ولى إمارتها زمن على، و شهد معه صفين. توفى بالقاهرة عام ۶۹ ه-. الأعلام للزركلى (۳/ ۳۴۰)-. (۲) أبو عبد الرحمن، إمام فى اللغة و الأدب، واضع علم العروض، من مؤلفاته: معانى الحروف، و النقط و الشكل. ولد بالبصرة، و توفى بها سنة ۱۷۰ ه-،- الأعلام للزركلى (۲/ ۳۶۳)- (۳) نصر بن عاصم بن أبى سعيد الليثى، و يقال الدؤلى، المقرئ النحوى البصرى، و أول من نقط المصاحف و خمّسها و عشّرها، توفى سنة تسعين بالبصرة. (البلغة ص- ۲۷۳). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۱۴ العثمانى بعض الضوابط و العلامات التى تساعد على الأداء الصحيح، مثل علامات الوقف، و أرقام الآيات، و مواضع السجدة. و نحو ذلك. و كل هذه الجهود من تسجيل فى مسجلات الصوت و تحفيظ و انتشار إذاعات القرآن إن هى إلّا تيسير من رب العالمين لتحقيق وعده: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (الحجر/ ۹).

تاسعا) خصائص التشريع القرآنى

۱- الإجمال و العموم:

۱- الإجمال و العموم: قلت فى حديثى عن الأحكام التى عرض لها القرآن أن بيانه لها جاء على أسلوبين؛ الأول تفصيلى، و الثانى عام و إجمالى و هو الغالب، و الحكمة من ذلك تمييز الشريعة الإسلامية بالمرونة و الشمول و العموم، لتتسع لحاجات الناس فى مختلف العصور.

۲- قلة التكاليف

۲- قلة التكاليف ؛ حيث لا إرهاق فيها و لا مشقة، بل مراعاة لما تقتضيه النفوس، فقد راعى فيها الخالق ما جبل عليه الخلق، و من أجل أن يتحلى بعناصر البقاء و العموم لكل البشر خفف عنهم كثيرا مما كلف به بنى إسرائيل جزاء ظلمهم و عدوانهم، فجاءت التكاليف خالية من التعقيد الذى يتنافى مع فطرة الإنسان. فما أكثر الجهلاء الذين قصدوا الرسول صلّى اللّه عليه و سلم يسألونه الذين فيعطيهم إياه و يغادرونه و قد فهموه دون حاجة إلى إلحاح و فلسفة. فالنبى صلّى اللّه عليه و سلم مثلا كان يعلّم الصلاة لأحدهم فى ساعة واحدة.

۳- اليسر و السهولة و عدم الحرج:

۳- اليسر و السهولة و عدم الحرج: كلما ارتقى عقل الإنسان وجد فى الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۱۵ سماحة الإسلام و يسره ما يتفق مع رقيّه، و يساير تقدمه و تطوره. و طبيعى أن يكون كذلك لأنه جاء للناس كافة. و آية يسره و سهولته ما نراه من ملاءمة بين الأهلية و الحكم. و قد زخر القرآن بالنصوص التى تدل على ذلك، منها قوله: وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ .. (الحج/ ۷۸) و قال أيضا: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (البقرة/ ۱۸۵). أما المشقة العادية التى لا بد منها لاستقامة شئون الحياة فهى ليس من الحرج، و لا يصح أن نأخذ من يسر الشريعة طريقا للخروج من

حدود الالتزام.

۴- التدرّج فى التشريع:

۴- التدرّج فى التشريع: بما يتناسب مع طبيعة الإنسان و قدرته على تقبّل الأحكام و التكاليف، فالصلوات الخمس فرضت فى السنة الثانية عشرة للبعثة، و صوم رمضان فرض فى السنة الثانية للهجرة. و الخمر تم تحريمه فى السنة الرابعة للهجرة و على مراحل، لما كان من شدة تعلقهم به، و الحج فرض فى السنة السابعة للهجرة.

۵- الواقعية «۱»:

۵- الواقعية «۱»: فالقرآن كان واقعيا فى أحكامه حين راعى فى التشريع وضع الإنسان فى تكوينه و أهليته و استعداده، و ما فيه من ميول و غرائز و فطرة، و ما إلى ذلك. فجاءت الأحكام تفيد من استعداده، و تلبى رغباته ضمن الحدود المشروعة، و تأخذ به إلى طريق الجادة، إلى حيث يكون لبنة صالحة فى بناء أمة لها كيانها، و لها أصالتها. و لم يفترض القرآن بالإنسان ملكا ثم راح يحاسبه كإنسان، بل كان الأمر طبيعيا بكل ما فى هذه الكلمة من معنى، و بكل ما تحمله من مدلولات. و هناك أيضا خصائص أخرى للقرآن، منها:

(_____ ۱) مناهج الاستنباط ص- ۸۰.

الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۱۶ أ- وضوح العقيدة، و بساطتها، و الإرشاد إلى أن أساسها الإيمان، و الحث على إعمال العقل لأنه القدرة الكاشفة، و الانتقال من المحس إلى المغيب، و الترغيب فى الإيمان، و الترهيب من الكفر. ب- وضوح نصوص الشريعة التى تتسم بالجزالة فى اللفظ، و الدقة فى التعبير، و الوضوح فى الفكرة، و اليسر فى فهم المعنى. و هذا ما أوضحناه فى الوجه الأول من وجوه الإعجاز القرآنى «و يرجع السبب فى وضوح نصوص الشريعة إلى أنها دين الفطرة الصحيحة .. و هناك سبب أخر يجعلها تسلك هذا المنهج من الوضوح فى المعنى و السهولة فى الفهم، ذلك أنها نزلت فى أمة ليس لها قدم راسخة فى علوم الفلسفة أو الكون أو غيرها من فروع العلم و المعرفة. و قد نطقت النصوص بذلك المنهج، و صرحت به فى مواضع كثيرة فى أبوابها المختلفة: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (القمر/ ۱۷) «۱».

عاشرا) ما لا بدّ منه لفهم القرآن

اشارة

عاشرا) ما لا بدّ منه لفهم القرآن من وجد حلاوة الإيمان ساعدته فطرته على فهم الكثير من آيات القرآن الكريم، و خاصة آياته المحكمات، و ابتعد عن تأويل الآيات المتشابهة، خوفا من الزيغ قائلا: رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا .. (آل عمران/ ۸). و هناك مصاحف توضح معانى الألفاظ و المفردات التى أصبحت قليلة الشيوع فى عصرنا الحاضر، و مصاحف تفسر بعض الآيات فتساعد على فهم الكثير لمن أوتى ثقافة محدودة. هذا إلى جانب التفاسير التى يمكن للقارئ أن يسأل عن

(_____ ۱) صور من سماحة الإسلام، ص- ۱۹. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۱۷ أقربها للفهم و الالتزام بأصول التفسير. و لكن أريد أن أنبه هنا إلى الأمور اللازمة لمن أراد فهما أوسع لمعانى القرآن، أو لمن اجتهد بتفسير آيات منه لنفسه أو للآخرين، حتى لا يأتى كل من يدّعى لنفسه الفهم فيشرح للآخرين، أو يأتى مفسّر مغرض فيطرح فى الأسواق تفسيرا لا يرضى إلّا أصحاب الأهواء، لما فيه من تفسير يتماشى مع نزواتهم

و رغباتهم. كما فى: (الكتاب و القرآن- قراءة معاصرة) «۱». بعض الناس يدركون هذا، و بعض البسطاء يستسلمون لشروحه بدعوى أنهم لن يفهموا أكثر مما فهم أصحاب الشهادات العالية. و يروّج المغرضون لمثل هذا التفسير. و إلى أن تتضح الحقائق، أو يكشفها بعض المفكرين و النقاد، يكون أولئك قد روّجوا لتلك الضلالات. فصاحب (قراءة معاصرة) لم يكتف بالدس و التضليل، بل أخذ يطعن بالمفسرين الأوائل و بالفقهاء الأعلام، و يبيح حراما، و بعد ذلك يقول: «أرجو أن يعلم القارئ أن الدافع وراء هذا الكتاب الذى أعطيته زهرة شبابى: ما وصل إليه العرب و المسلمون من مهانة و ذل و تخلف، و كذلك الألم و خيبة الأمل من سذاجة الطروحات و السلوكات الإسلامية المعاصرة ..» «۲». تناقضات و تخرصات يدركها كل ذى بصيرة، مهما ادّعى صاحبها من اتباعه الأسلوب العلمى لخداع القرّاء: يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ ما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (البقرة/ ۹). فليتنبّه المسلمون، و ليتنبّه أنصاف المثقفين، و ليقرءوا القرآن- كما قلت فى المقدمة- قراءة محايدة، و يتأملوا فى الواضح و المحكم من آياته قبل أن يتلقفوا ما يكتب عن القرآن تحت ستار أسماء عصرية خادعة. و ليعلموا أن لفهم القرآن و تفسيره

(_____ ۱) كتاب للدكتور المهندس محمد شحرور، صدرت الطبعة الثانية منه عام ۱۹۹۰ م. (۲) المصدر السابق، ص- ۷۳۰. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۱۸ شروط لا بد منها، و فى مقدمة هذه الشروط ما يلى:

۱- الحرص على فهم القرآن و العمل به

۱- الحرص على فهم القرآن و العمل به ؛ عملا- بقوله تعالى: كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ، وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (ص/ ۲۹). فالتلاوة بدون فهم لا تؤتى ثمارها المرجوّة من التلاوة.

۲- الدربة و المران على معرفة مدلولات العربية

۲- الدربة و المران على معرفة مدلولات العربية و أساليب العرب فى الخطاب و ما يتعلق بذلك. و قد أشار عمر بن الخطاب إلى ذلك بقوله: (عليكم بديوان شعركم فى جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم) ذلك لأن القرآن نزل بألفاظ و أساليب البيان المعهودة عند العرب، مثال ذلك ما قاله ابن كثير فى شرح قوله تعالى: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (التوبة/ ۸۰) «يخبر تعالى نبيه بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلا للاستغفار، و أنه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر اللّه لهم. و قد قيل: إن السبعين إنما ذكرت حسما لمادة الاستغفار لهم، لأن العرب فى أساليب كلامها تذكر السبعين فى مبالغة كلامها، و لا ترى التحديد بها، و لا أن يكون ما زاد عليها بخلافها» «۱».

۳- الاستعانة بسنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم

۳- الاستعانة بسنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ؛ لأنها بيان للقرآن الذى اتصف بالإجمال و العموم. و هى وسيلة أساسية فى أخذ الأحكام من القرآن و الاستعانة على فهمه، و البعد عما يمكن أن يوقع المرء فى الخطأ أو مجانبة الحق.

۴- معرفة أسباب النزول:

۴- معرفة أسباب النزول: الإحاطة بالظروف الموضوعية للنص و الملابسات التى رافقته تحدد المعنى بدقة، و تبعد عن الخروج عن المقصود. و لتوضيح هذا الشرط أضرب المثال التالى: «أخرج الطبرى من حديث الربيع

(_____ ۱) تفسیر ابن کثیر، (۲ / ۳۹۰).

الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۱۹ قال: قدم علی الرسول وفد من نجران، فحاجّوه فی عیسی علیه السلام، فخاصموا النبی صلّی اللّه علیه و سلم، قالوا: أ لست تزعم أنه کلمة اللّه و روح منه؟ قال: بلی. قالوا: فحسبنا. فأنزل اللّه عزّ و جلّ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ .. (آل عمران/ ۸). ثم نزل قوله تعالی: إِنَّ مَثَلَ عِیسی عِنْدَ اللَّهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (آل عمران/ ۵۹). فهذه الآیة تخص آیة المتشابه بسبب النزول، کما تخص هذا السبب بتمسکهم بأن عیسی «کلمة اللّه و روح منه» و تأویلهم لها بالباطل لتوافق ما فی نفوسهم. و فی هذه الآیات التی نزلت ردّا علیهم للسبب المذکور، تبیّن أنّ فی القرآن محکما و متشابها، و أن المحکمات هی الأصل الذی یجب ردّ المتشابه إلیه. و تنهی عن اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة و التشکیک، و تجعل المتبعین له علی هذا الوجه هم الذین فی قلوبهم مرض و زیغ و شک ..» «۱».

۵- معرفة ملامح البیئة العربیة أیّام تنزّل القرآن

۵- معرفة ملامح البیئة العربیة أیّام تنزّل القرآن ؛ و ما فیها من عادات و معهودات، و ما تتسم به أفعال أهلها و مظاهر حیاتهم. یقول الشیخ محمد الغزالی: «و ربما ضممت إلی الشروط العلمیة للتفسیر شرطا آخر لا بد منه فی عصرنا هذا و هو الخبرة الحسنة بعلوم الکون و الحیاة» .. و یقول أیضا: «لم یزعم أحد أن تفسیر القرآن حکر علی طائفة من الناس، و لکن الذی قیل: إن الاختصاصیین فی شأن ما هم الذین یسألون عنه (_____ ۱)

متشابه القرآن- دراسة موضوعیة، د. عدنان محمد زرزور، ص- ۴۹، و الطبری ۳/ ۱۷۷. و من کتب أسباب التنزیل التی تعنی بذکر المناسبات التی نزل القرآن عقبها لیعالج هذه الوقائع و الأحوال: کتاب (لباب النقول فی أسباب النزول للإمام عبد الرحمن السیوطی).

الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۲۰ و یتحدثون فیه .. فالحق یقال أن التفسیر لا یطاق من جاهل بالدین و اللغة و لا من شخص آثم ..» «۱» و مما هو جدیر بالذکر هنا أن تفسیر القرآن إنما نشأ فی عصر النبی، حتی إذا لحق بالرفیق الأعلی لم یکن للصحابة بد من توضیح ما فهموه دون أن یکلفوا أنفسهم عناء الجدل الفلسفی. فقد فهموا آیاته و ما تحویه من عقیدة و شریعة. و لکن بعد اتساع الفتوحات و کثرة الأسئلة حول معانی بعض الآیات، بدأ العلماء بمحاولة تفسیر القرآن. و لکنهم بصفة عامة لم یخرجوا بالتفسیر عن حدود النقل، لأنهم کانوا یتحرّجون من القول بآرائهم فی التفسیر، و یعتمدون علی أربعة مصادر: ۱- النقل عن الرسول مع التثبت من وسائل النقل. ۲- الأخذ عن الصحابی. ۳- الأخذ بما تملیه اللغة. ۴- التفسیر بما یقتضیه التعبیر و روح الشریعة. و کانوا لا یجیزون التفسیر بالرأی و الاجتهاد من غیر أصل یستند إلیه. و اشترطوا فیمن یتصدی للتفسیر أن یکون موهوبا و عالما بأربعة عشر علما هی: الفقه، و النحو، و الصرف، و الاشتقاق، و المعانی، و البیان، و البدیع، و القراءات، و الأصول، و أسباب النزول، و الناسخ و المنسوخ، و الحدیث، و المحکم و المتشابه. فلما تقدم الزمن رأوا فی التحرج عدولا عن التفکیر و استنباط الحکم کما یفهم من قوله تعالی: لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ .. (النساء/ ۸۳). و اتفق العلماء علی أن أشهر کتب التفسیر بالمأثور:

(_____ ۱) مجلة الهلال، دیسمبر ۱۹۷۰، ص-

۴۳. الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۲۱ ۱- جامع البیان فی تفسیر القرآن لمحمد بن جریر الطبری «۱»، و هو المرجع الأول للتفسیر النقلی. فقد نهج فیه طریقة خاصة تتمیز بعدة سمات أبرزها: «الاعتماد علی المأثور مما روی عن النبی صلّی اللّه علیه و سلم و الصحابة و التابعین. و تجنب التفسیر بالرأی، و حمل علی أصحابه، و قد عقد فصلا خاصا فی مقدمة تفسیره بهذا العنوان، ذکر فیه أحادیث، منها التالی: (حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا یحیی بن سعید قال: حدثنا سفیان قال: حدثنا عبد الأعلی عن ابن عامر الثعلبی عن سعید بن جبیر عن ابن عباس عن النبی قال: «من قال فی القرآن برأیه أو بما لا یعلم فلیتبوّأ مقعده من النار».) و قد لجأ إلی الدقة فی ذکر السند، کما رأینا فی الحدیث المذکور.» «۲» ۲- تفسیر القرآن العظیم؛ لابن کثیر الدمشقی «۳». حیث فسّر القرآن

بالقرآن و بالأحاديث النبويـة، و الآثار المسندة إلى أصحابها، و نبّه إلى ما فى التفسير من إسرائيليات منكرة، و حذّر منها على وجه الإجمال تارة و على وجه التعيين و البيان لبعض منكراتها تارة أخرى. ۳- تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن «۴» يمتاز بذكر الآية أو الآيات (_____ ۱) محمد بن جرير بن يزيد الطبرى، أبو جعفر، المؤرخ، المفسّر، الإمام. ولد فى آمل بطبرستان، و استوطن بغداد، و توفى بها سنة: ۳۱۰ ه.- الأعلام للزركلى (۶/ ۲۹۴). (۲) انظر: الطبرى، للدكتور أحمد محمد الحوفى، ص- ۱۲۰- ۱۳۰. (۳) هو الإمام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى، ألف فى علوم القرآن، و الحديث، و التوحيد، و الفقه، و السيرة، و التراجم، و التاريخ. ولد فى قرية من أعمال بصرى الشام، توفى سنة ۷۷۴ ه-.- عن مقدمة تفسير ابن كثير للدكتور يوسف المرعشلى، و الأعلام للزركلى (۱/ ۳۱۷). (۴) محمد بن أحمد بن أبى بكر الأنصارى الخزرجى الأندلسى، توفى بمصر سنة ۶۷۱ ه-. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۲۲ فالمسائل المتنوعة المتعلقة بها، و يعنى بالمسائل الفقهية التى عرض لها القرآن، و بآراء الفقهاء فيها و أدلتهم محتجا بما ورد من الأحاديث الشريفة. و قد تعرض التفسير بالماثور أو الرواية إلى النقد لاختلاط بعض الصحيح من الروايات بغير الصحيح. و قد نبّه الدكتور «رمزى نعناعة» فى كتابه «الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير» إلى دور كعب الأحبار، و وهب بن منبه، فى دس الإسرائيليات فى بعض التفاسير. موضحا أن الإسلام لم يشرح ما أشير إليه من الغيبيات، و مع ذلك خاضوا فيها و فى ما وراء الطبيعة. «و جدير بالذكر أن القصاصين فى المساجد لم يكونوا دائما محل رضى الورعين من المسلمين، ذلك أن بعض هؤلاء القصاصين كانوا ممن تحوّلوا عن النصرانية و اليهودية إلى الإسلام، و كانت قصصهم متأثرة بخلفياتهم الدينية السابقة .. و من هؤلاء وهب بن منبه من رواسب الفرس فى اليمن، و هو يزعم أنه قرأ اثنين و سبعين كتابا من كتب اللّه. و مثله كعب الأحبار أحد يهود اليمن الذى اعتنق الإسلام أيام أبى بكر الصديق .. و قد أدخل فى القصص انحرافا إلى اليهودية بسبب أصله اليهودى، و كانت قصصه تعتمد على الأخبار و الأمثال و الاصطلاحات اليهودية .. و إن الإمام الغزالى فى كتابه (إحياء علوم الدين) عدّ أمثال وهب بن منبه و كعب الأحبار من منكرات المساجد لما كانوا يفترون من كذب ..» «۱». و هناك نوع آخر من أساليب التفسير يسمى: التفسير بالرأى، و هو تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسر للشروط التى لا بد منها لفهم القرآن «و قد نقل السيوطى عن الزركشى فى «البرهان» خلاصة الشروط التى لا- بد (_____ ۱) مجلة الفكر العربى، العدد العشرون، السنة الثالثة، ۱۹۸۱ (التعليم عند المسلمين فى بداياته و تطوراته، طه الوالى، ص- ۳۸ و ۳۹). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۲۳ منها لإباحة التفسير بالرأى، فرآها تندرج فى أربعة: أ- النقل عن الرسول صلّى اللّه عليه و سلم مع التحرز عن الضعيف و الموضوع. ب- الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما يدل عليه الكثير من كلام العرب. ج- الأخذ بقول الصحابى، و خص بعضهم بأسباب النزول. د- الأخذ بما يقتضيه الكلام، و التفسير بالرأى مع استيفائه جميع الشروط التى تجعله محمودا لا مسوغ له إذا عارض التفسير بالمأثور الذى ثبت لنا بالنص القطعى، لأن الرأى اجتهاد، و لا مجال للاجتهاد مع مورد النص.» «۱». و قد ظهرت فى القرن العشرين تفاسير جيدة و عصرية ملأت المكتبات منها ما يتضمن آيات الأحكام، أو أجزاء معينة، أو أغراض محددة، و منها الموسع الذى يتضمن شرح المفردات و التحليل الأدبى أو أسباب النزول، أو الإعراب ...

حادى عشر) فضل القرآن على العرب و اللغة العربية

حادى عشر) فضل القرآن على العرب و اللغة العربية لقد اتصفت حياة العرب قبل الإسلام بضلال فى العقائد، و فساد فى العبادات، و انحراف فى السلوك. و جاء القرآن فى عصر لم يكن الإنسان يعرف فيه عن الطبيعة إلا الشىء النادر، و لم يكن فى الجزيرة العربية أى مظهر من مظاهر الحياة العقلية فبالأحرى العلمية. و قد حظى بعضهم بذكاء فى التعبير (_____ ۱) مباحث فى علوم القرآن، ص-

۲۹۲ و ۲۹۳. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۲۴ و تنسيق فى الكلام فقال الشعر أو كتب النثر. هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ، وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ (الجمعة/ ۲). جاء القرآن فاكتسح تلك الضلالات، و نسف ما كان يسودها من خرافات، و رسم للمسلمين طريق عباداتهم و معاملاتهم. و نلمس ذلك من حديث «جعفر بن أبى طالب» أمام النجاشى، حين سأله النجاشى قائلا: (ما هذا الدين الذى فارقتم به قومكم و لم تدخلوا فى دينى و لا فى دين أحد من أتباعى؟. فقال جعفر: «يا أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، و نأكل الميتة، و نأتى الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسىء الجوار، و يأكل القوى منا الضعيف. حتى بعث اللّه إلينا رسولا منّا، نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه، فدعانا إلى اللّه نوحده و نعبده، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دون اللّه من الحجارة و الأوثان، و أمرنا بالصدق و الأمانة و صلة الرحم و حسن الجوار، و الكف عن المحارم و الزنا و الفواحش و شهادة الزور و أكل مال اليتيم و قذف المحصنات ..» «۱». هكذا كان العرب قبل الإسلام. و لكن القرآن الكريم دعاهم إلى العلم و العمل فاستجابوا، و طلبوا العلم فى جميع الأمصار، و علّموا أولادهم، و بعثوا فيهم روح العلم و المعرفة، فتقدموا بالعلم إلى ما وصلوا إليه و أنجبوا من العلماء ما أنجبوا، و برز منهم الروّاد فى كل مجال: فى الفقه و الأصول، فى الحديث، فى الطب و الفلك و الرياضيات، و فى السياسة و الجهاد للذود عن حياض المسلمين و رفع لواء الحق و العدالة. فى مجالات يصعب حصرها و حصر المبدعين فيها هنا. يقول «المحاسبى» تحت عنوان «فضائل القرآن»: «كفى بكتاب اللّه عز

(_____ ۱) أخرج القصة ابن إسحاق فى المغازى (۱/ ۲۱۱- ۲۱۳ من ابن هشام). و جاءت فى فقه السيرة للغزالى، ص- ۱۲۰. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۲۵

و جل عن غيب الآخرة مخبرا، و ببصائره للعوام موضحا، فهو النور الذى استضاء به المؤمنون، و القول الذى فصلت آياته، و الفرقان الذى يفرق بين الحق و الأباطيل بشواهد بنيانه .. فيه وصف اللّه تعالى نفسه بأحسن الصفات، و دلّ خلقه و نبّههم فيه لمعرفته. أمرهم فيه بالمكارم، و نهاهم عن الآثام و المحارم، و وعدهم فيه جزيل الثواب، و ضرب لهم فيه الأمثال .. و أوضح لهم فيه الشواهد على علم الغيوب .. ثم أخبرهم أنه أنزل كتابه ليدّبّروا آياته ..» «۱». و مما قيل عن فضل القرآن: هو الجديد الذى لا يخلق، و النور الساطع، و الماحى لظلم الضلال، مفتاح الخير، و دليل الجنة، إن أوجز كان كافيا، و إن أكثر كان مذكّرا، و إن أمر فناصحا، و إن حكم فعادلا، و إن أخبر فصادقا. و يجب أن نعلم أن القرآن الكريم حفظ للعرب لغتهم من الضياع. و بنزوله بالعربية أصبح مصدر تكريم لها. و قد عبّر عن ذلك الدكتور محمد سعيد رمضان بقوله: «علينا أن نتساءل و نحن نهتف باسم العروبة و لغتها عن الذى أكسب اللغة العربية الإشراق و البقاء، و عن الروح التى وحدت جميع لهجاتها المتباينة فالتحمت فى لهجة واحدة امتدت شامخة. انقضّ عليها المغول ليخنقوها فى مياه دجلة، و لكنها هبت منتصبة تعلن عن وجودها. و انقض عليها «نابليون» ثائرا مسعورا يريد محوها. و جاء الترك يريدون الكيد منها. و عقدت مؤتمرات باريس لاستكشاف سبل محوها من أرض الجزائر. و لكنها ظلت من المناعة مثل أسمى كوكب فى صفحة السماء. و إن الروح الجبارة التى سرت فى هذه اللغة فأكسبتها الديمومة و البقاء هى كتاب اللّه، القرآن الذى التقت حول إعجازه شتّى قبائل العرب، و تعرّبت على يديه شتّى أخلاط الأعاجم ..» «۲».

(_____ ۱) العقل و فهم القرآن، للحارث بن أسد المحاسبى، تحقيق حسين القوتلى، ص ۲۲ و ۲۷۱. (۲) تجربة التربية الإسلامية، ص- ۹۳. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۲۶

ثانى عشر) تلاوة القرآن

ثانى عشر) تلاوة القرآن وَ أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ مِنَ الْمُسْلِمِینَ، وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ (النمل/ ۹۱ و ۹۲) لما أدركنا أن القرآن كلام اللّه، و ليس كغيره من الكتب، وجب أن يكون لتلاوته آداب خاصة ينبغى مراعاتها، و أهمها: ۱- الطهارة المادية و المعنوية؛ لقوله تعالى: إِنَّهُ

لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ، لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (الواقعة/ ۷۷- ۸۰). ۲- أن يستهل القارئ التلاوة بالاستعاذة من الشيطان، لقوله تعالى: فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ (النحل/ ۹۸). و فى ذلك طرد للخواطر. ۳- التأنّق فى التلاوة و إعطاء الحروف حقها من الأداء لقوله تعالى: وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (المزّمّل/ ۴). ۴- من أهداف التلاوة تدبّر الآيات و فهمها، و ملاحظة ما حمد فيها من النعوت و الصفات التى وصف اللّه بها من أحبّه، فإن اللّه تعالى ما ذكرها و أنزلها فى كتابه و عرّفنا بها إلّا لنعمل بها. قال تعالى: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها (محمد/ ۲۴). يقول الأستاذ «شوقى أبو خليل»: «عند ما يقول القرآن: وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَ سُلَيْمانَ عِلْماً .. (النمل/ ۱۵). على القارئ أن يفهم أن الدول لا تبنى إلا بالعلم. و حين يتلو قوله تعالى: وَ أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (سبأ/ ۱۰) يعلم أن إذابة الحديد تأتى بعد استخراج خاماته و فلزاته من المنجم، و بعد التنقيب عنها. أ ليس المعنى قد توضّح؟. و هو أيها المسلمون تعلّموا كيف تنقّبوا عن ثرواتكم الباطنية، و استخرجوها و أذيبوها، و بعد ذلك هل نتفرّج الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۲۷ عليها؟. يلحق بذلك تصنيع عام. هذا و السورة عنوانها «الحديد» فهل وردت هذه التسمية مصادفة؟. أم تنبيها لمعدن الحديد و ثرواتنا الباطنية؟. و حين يقول تعالى: أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ (سبأ/ ۱۱) السابغات هى الدروع، و فى عصرنا هل نعمل الدروع بمعناها كما كانت أيام الرسول صلّى اللّه عليه و سلم؟. إنها آية تذكير و تنبيه.» «۱». فنحن لا نريد للأوامر المتعلقة بالاستقامة فى الأخلاق و المعاملات أو بالجهاد لدرء الخطر المحدق بنا أن تذوب فى النغم الممتع لآيات القرآن المرتّلة. ۵- الخشوع عند التلاوة، و الإصغاء عند الاستماع بهدف الفهم لقوله تعالى: وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (الأعراف/ ۲۰۴). ۶- هناك ست آيات وردت فى القرآن الكريم تشير إلى ما فى التلاوة من ثواب و شفاء، منها: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَ شِفاءٌ، وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ .. (فصّلت/ ۴۴). و منها أيضا: يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (يونس/ ۵۷). فهو شفاء لما فى الصدور من مرض الجهل و الغى، فإنّ الجهل مرض شفاؤه العلم و الهدى، و الغىّ مرض شفاؤه الرشد. و مثل ذلك الآيات: (۱۴/ التوبة، ۱۲/ الإسراء، ۶۹/ النحل، و ۸/ الشعراء). و بذلك كان القرآن شافيا لأمراض القلب التى تفسد على الإنسان حياته. «جماع أمراض القلب هى أمراض الشبهات و الشهوات، و القرآن شفاء للنوعين. ففيه من البيّنات و البراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل، و لكن ذلك موقوف على فهمه و معرفة المراد منه. و أما شفاؤه لمرض الشهوات فذلك (_____ ۱) من ضيّع القرآن؟، البحث الأول (دعوة القرآن). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۲۸ بما فيه من الحكمة و الموعظة الحسنة، بالترغيب و الترهيب، و الأمثال و القصص التى فيها أنواع العبر، فيرغب القلب السليم إذا أبصر ذلك فيما ينفعه فى معاشه و معاده، و يرغب عما يضره. فيصير القلب محبا للرشد، مبغضا للغى. فالقرآن مزيل للأمراض الموجهة إلى الإرادات الفاسدة، فيصلح القلب، و يعود إلى فطرته، فيتغذى القلب من الإيمان و القرآن بما يزكيه و يقويه كما يتغذى البدن بما ينميه و يقويه.» «۱». و لم يختلف المسلمون الأوائل فى هذه الحقيقة، لذا أقبلوا على حفظ القرآن و دراسته، يتعرفون أحكامه، و يعالجون به القلوب من رجس العقائد الباطلة و الأخلاق الفاسدة، و يدفعون المجتمع إلى سبل الخير و الفلاح. إذن غاية التلاوة الاستماع و الإنصات، و غاية السمع و الإنصات الملاحظة و الفهم. ملاحظة ما فى القرآن من نواحى الإعجاز التى لا يمكن أن تصدر عن مخلوق، و فهم معانى الآيات الداعية إلى سعادة الإنسان فى الدارين، فالفهم الصحيح يدعو إلى الحرص على الاستقامة التى أمر بها القرآن فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ و على الفضائل التى هى ثمرة التلاوة الحقة و غايتها و جوهرها. (_____ ۱) إغاثة اللهفان، ابن القيّم الجوزية، ص- ۵۸. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۲۹

خلاصة و نتيجة

خلاصة و نتيجة عرفنا مما سبق أن الإنسان يتميز عن سائر الكائنات الحية بعقل يفكر به للوصول من المعلوم إلى المجهول. و أن القرآن خاطب العقل البشرى فى أرقى درجات التكريم، و فى أسمى مراتب الفكر المتطور المتجدد فى كل زمان و مكان. و كان الخطاب عالميا، غير أن ميدان تجربة الدعوة الإسلامية الأول كان المجتمع العربى. و رأينا كيف بهر القرآن العرب و تحدى الذين ظنوا أنهم بلغوا بلغتهم شعرا و خطابة مبلغا معجزا. إذ جاءهم بقسمى اللغة: الظاهر الذى لا يخفى على سامعيه و لا يحتمل غير ظاهره، و الثانى المشتمل على الكنايات و الإشارات و الاستعارات و التشبيه- و كان هذا القسم هو المستحلى عند العرب-. جاءهم بالقسمين على عادة العرب فى كلامهم ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله فبهرهم بإعجازه. و بهر غير العرب حين مزق حجاب الغيب، و حين تطابقت آياته مع المكتشفات العلمية جَمَعَ فَأَوْعى (المعارج/ ۱۸). خاطب بنى آدم كلّهم فى مثل قوله: يا بَنِى آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِى، فَمَنِ اتَّقى وَ أَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ .. (الأعراف/ ۳۵). و خاطب الناس على اختلاف مشاربهم، و خاطبهم حسب مقتضى الحال خطابا مباشرا فى أربعة عشر موضعا، منها: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ (الحجرات/ ۱۳). و كلمة «الناس» تشمل المؤمنين و غير المؤمنين. و لم يوجهها القرآن إلى فئة دون أخرى أو طبقة معينة، بل إلى الناس كلهم، و بمستوى فكرى يتناسب مع عامة الناس، مثل: قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ (يونس/ ۱۰۱). و هذا مما يؤكد عالمية القرآن. فلو خاطب القرآن الناس الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۳۰ بالأسلوب العلمى و القواعد العلمية لكان خاصا بفئة دون أخرى، و لكنه خاطب كل الناس «۱» و بأسلوب يدركه الجميع. ثم دعا الذين آمنوا بهذا القرآن إلى العمل بمحكم آياته فى مواطن كثيرة، منها: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ؟ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ .. (الصف/ ۱۰) «۲». دعاهم لأداء الفرائض كالصلاة و الصيام و لم يخاطب الناس بمثل ذلك لأن الناس إذا لم يكونوا مؤمنين لا يكلفون بأحكام الشريعة. و هذا من دلائل الإعجاز القرآنى و العدل الإلهى، لأن الإنسان بعد أن يؤمن يصبح مهيّأ إلى سماع خطاب اللّه تعالى. و لطالما اتفق المسلمون على اختلاف مذاهبهم التى أحدثتها لهم العقول المختلفة و الاتجاهات السياسية على أن القرآن كتاب أوحاه اللّه تعالى إلى رسوله محمد صلّى اللّه عليه و سلم، يجب علينا أن نتلقى القرآن كما تلقاه السلف الصالح بإصغاء و تدبّر فى كل وقت و حين، نتعرّف على مقاصده و أغراضه و نسعى جاهدين لتحقيقها. لذا جعلت الباب الثانى من هذا الكتاب تحت عنوان أغراض القرآن و مقاصده، مع العلم بأن تنوّع أغراضه و مقاصده فرع من فروع الإعجاز القرآنى.

(_____ ۱) و الآيات التى بدأت بخطاب الناس: (۱ و ۱۶۹ و ۱۷۴/ النساء. ۱ و ۵ و ۷۳/ الحج. ۳ و ۵ و ۱۵/ فاطر. ۵۷/ يونس. ۳۳/ لقمان. ۱۶۸/ البقرة). (۲) و من الآيات التى خاطبت الذين آمنوا: (۱ و ۲ و ۶ و ۸ و ۱۱ و ۳۵ و ۵۱ و ۵۴ و ۵۷ و ۸۷ و ۹۰ و ۹۴ و ۱۰۱ و ۱۰۶/ المائدة. ۲۰۸ و ۲۷۸ و ۲۸۲/ البقرة. ۵۶ و ۹۴ و ۱۳۶/ النساء. ۱۵ و ۲۰ و ۲۴ و ۲۷ و ۲۹ و ۴۵/ الأنفال. ۹ و ۴۱ و ۴۹ و ۷۰/ الأحزاب.) فيمكن الرجوع إليها. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۳۱

الباب الثانى أغراض القرآن و مقاصده

مقدمة

مقدمة «فى مقدمة أغراض القرآن غرضان عظيمان: الغرض الأول أن يكون معجزة ناطقة تدل على صدق من أنزل عليه، و هو محمد صلّى اللّه عليه و سلم فى دعوى الرسالة التى أمر أن يقوم بتبليغها. و لئن كان كل نبى أعطى من المعجزات ما يتناسب مع أهل زمانه، إن الغلبة فى عصر النبى للبلاغة و البيان، فجاءهم القرآن كلاما بلغتهم، و من جنس ما نبغوا به، مما عجز عنه أئمة البلاغة و أمراء البيان

فی عصره، فکانت الثمرة هی التصدیق بمعجزته. ففی ظل هذا الأمر جاء القرآن یحمل فی بیانه و أسلوبه و مضموناته کل عناصر الإعجاز. الغرض الثانی الذی تنطق به کل الدلائل أن القرآن بجانب کونه معجزة تخطت الأزمنة و الحدود، شاءت حکمة اللّه تعالی أن یکون خیر رصید للهدایة و الحق ..» «۱». هذان الغرضان یؤکدان أنّ مضامین الباب الثانی لیست إلا استکمالا لما عرضناه فی الباب الأول من جهة، و تسهیلا لدراسة أحکام القرآن و أغراضه المتنوعة و الشاملة لجمیع ما یمکن أن یعترض الإنسان فی مجالات حیاته من جهة أخری. ففی الباب الأول فصلنا القول عن الغرض الأول من أغراض القرآن، و أسالیب الوصول إلی الإیمان عن طریق القرآن. و سنتناول الغرض الثانی فی هذا الباب، إذ لا یکفی أن نؤمن بأن القرآن معجزة، فالإیمان یتطلب تصدیقا و امتثالا لمضامین المعجزة. و هذا یتطلب منا تفصیل معانی الإیمان، و تمثلها عقیدة و سلوکا. و إلا فکیف نبرهن علی إیماننا بها، و نحن عرفنا أن الذین آمنوا بما نزّل (_____ ۱) مناهج الاستنباط و مصادر التشریع، د. محمد أدیب صالح، ص ۶۹. الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۳۴ علی محمد أصلح بالهم و هداهم سبل السلام قَدْ جاءَکُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ کِتابٌ مُبِینٌ، یَهْدِی بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ .. (المائدة ۱۵ و ۱۶). و لیس للقرآن فی دعوته إلی الهدی و التوحید أی هدف سوی تحقیق السعادة للإنسان عن طریق إصلاح النفس بالعقیدة الحقة السلیمة، و مناقشة العقل الراجح، و العبادة المفروضة. و لطالما أدرکنا أن القرآن ما کان إلّا وحیا من لدن خالق البشر، فلا بد من التعرف علی هذا الخالق. ثم نتعرف علی الوحی الذی نزل بالقرآن علی محمد صلّی اللّه علیه و سلم. ثم نتعرف علی النبی الذی حمل الرسالة و أدّی الأمانة. و هذا لا یخرج عن موضوعنا الرئیس و هو مقاصد القرآن. و نحن حین نقرأ الآیات الأولی من السورة الأولی «البقرة». بعد الفاتحة نجد التالی: الم، ذلِکَ الْکِتابُ لا رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ، الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِالْغَیْبِ ... و کما افتتحت سورة البقرة بالحدیث عن الإیمان، اختتمت أیضا بالحدیث عن الإیمان، حیث جاء قوله تعالی: آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَیْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ کُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ کُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ. (البقرة/ ۲۸۵). و خلاصة القول: أغراض القرآن کثیرة، و ربما أجملها القرآن فی الآیة التالیة: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ یَهْدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ وَ یُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِینَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً کَبِیراً (الإسراء/ ۹). و هذه الهدایة لها جوانب رئیسیة ثلاث: ۱- الهدایة إلی العقیدة و الإیمان الصحیح. و هذه الأحکام شغلت أکثر القرآن. ۲- هدایة الإنسان إلی واجباته تجاه خالقه، و هذا ما یسمی بقسم العبادات. و قد تعرض لها القرآن بإجمال، و ترک التفصیلات إلی السنة الشریفة. ۳- هدایة الإنسان إلی علاقته مع الآخرین، فی الأسرة و المجتمع و العالم. و الجوانب المذکورة هی الفصول الثلاثة لهذا الباب. الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۳۵

الفصل الأوّل الهدایة إلی العقیدة الصّحیحة

تعریف العقیدة

العقیدة فی اللغة:

العقیدة فی اللغة: هی ما یعقد الإنسان قلبه علیه. ثم أصبحت تطلق علی ما یدین الإنسان به من الأفکار و الآراء التی یؤمن بها و التی تحل فی قلبه و ضمیره، و تنعکس علی تصرفاته و سلوکه. و قد جاء فی المصباح المنیر: (اعتقدت کذا؛ عقدت علیه القلب و الضمیر.)

أما العقیدة فی الاصطلاح:

أما العقیدة فی الاصطلاح: فهی العلم الذی یبحث فیما یجب علی الإنسان أن یعتقده و یؤمن به و یقیم علیه البرهان الصحیح الذی یفید الیقین، و یطلق أیضا علی نفس المبادئ الدینیة التی ثبتت بالبرهان القاطع. «۱»

أما العقیدة الدینیة

أما العقیدة الدینیة فنقصد بها العقیدة التی نادی بها الإسلام و أمر أتباعه باعتقادها اعتقادا مرتکزا علی دلیل عقلی، أو سمعی، أو قرآن کریم، أو حدیث نبوی صحیح. و هذه العقیدة تشمل الأمور التالیة: ۱- الإلهیات؛ و تشمل الإیمان باللّه تعالی و صفاته و أفعاله. ۲- النبوّات؛ و تشمل صفات الأنبیاء، و عصمتهم فی تبلیغ الرسالة، و الإیمان برسالاتهم و معجزاتهم، و الإیمان بالکتب السماویة. ۳- السّمعیّات؛ و هی الإیمان بالملائکة، و الیوم الآخر و القضاء و القدر. و قد جمعت هذه الأرکان بقوله صلّی اللّه علیه و سلم: (الإیمان أن تؤمن باللّه و ملائکته و کتبه و رسله و الیوم الآخر و القضاء و القدر. (_____۱) مبادئ العقیدة الإسلامیة، د. مصطفی الخن، ص- ۱۴. الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۳۷

البحث الأول الإیمان باللّه تعالی

الإیمان لغة:

الإیمان لغة: هو مطلق التصدیق و الإذعان، فکل شیء یصدق به القلب و یذعن له و یقبله یقال له فی اللغة: إیمان.

الإیمان اصطلاحا:

الإیمان اصطلاحا: «لعلماء المسلمین، فقهاء و متکلمین ثمانیة مذاهب فی ماهیة الإیمان: ۱- الإیمان هو التصدیق وحده. و إلیه ذهب بعض علماء المتکلمین. ۲- الإیمان هو المعرفة وحدها. ۳- الإیمان هو الإقرار وحده. ۴- الإیمان هو التصدیق و الإقرار، و الثانی کرکن یتمم الرکن الأول، و إلیه ذهب الإمام أبو حنیفة. ۵- الإیمان هو التصدیق، و الإقرار شرط لإجراء الأحکام لا لتحقق أصل ماهیة الإیمان. و إلیه ذهب الفقهاء و جمهور المحققین. ۶- الإیمان هو الإقرار و التصدیق شرط. ۷- الإیمان هو الإقرار و التصدیق و العمل. و العمل فی هذا المذهب شرط لتحقیق الإیمان الکامل، و إلیه ذهب المحدثون. ۸- الإیمان هو الإقرار و التصدیق و العمل. و العمل داخل فی ماهیة الإیمان، و إلیه ذهب المعتزلة.» «۱».

(_____۱) مدخل إلی نظریة؛ الأمن و الإیمان، م. عبد الوهاب المصری، ص ۱۶۶. عن (عنایة اللّه إبلاغ، الإمام الأعظم أبو حنیفة، للمجلس الأعلی للشئون الإسلامیة، القاهرة ۱۹۷۱ ص ۱۲۹ و ۱۳۰.) الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۳۸ و قد نص القرآن علی أن الإیمان یکون بالقلب و اللسان، حیث جاء: وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَی الرَّسُولِ تَری أَعْیُنَهُمْ تَفِیضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، یَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاکْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِینَ. فَأَثابَهُمُ اللَّهُ بِما قالُوا جَنَّاتٍ (المائدة/ ۸۴ و ۸۵)، فجعلهم مؤمنین و أثابهم بما قالوا و صدّقوا. أطلت الحدیث هنا لبیان أن الإیمان فی الاصطلاح- کما رأینا- هو عین المعنی اللغوی بعد أن یقیده بقید یخص أهل الاصطلاح- کما رأینا- هو عین المعنی اللغوی بعد أن یقیده بقید یخص أهل الاصطلاح. و الإیمان لا یکون بالأمور المحسّة و إنما بالأمور الغیبیة. أما إن أصبح الغیب حاضرا و مشاهدا فلا فضل حینئذ للمؤمن علی المنکر. و أول أرکان الإیمان هو الإیمان باللّه تعالی، و قد وردت آیات کثیرة تحث علی معرفة اللّه أولا معرفة صحیحة. و ذهب أکثر العلماء، و منهم أبو الحسن الأشعری «۱»، إلی أن أول واجب علی المکلف هو معرفة اللّه سبحانه و تعالی، و هذه المعرفة مطلوبة لذاتها، و هی أصل المقاصد الشرعیة، ذلک لأن جمیع المقاصد و الواجبات من نطق بالشهادة و صلاة و صوم لا یعتبر صحیحا فی نظر الشارع إلّا بعد حصول المعرفة و التصدیق القلبی.

(_____ ۱) هو على بن إسماعيل الأشعرى، سلك فى الاستدلال على العقائد مسلك النقل و العقل، و منهجه فى الاستدلال الأخذ بكل ما جاء به الكتاب و السنة و الأخذ بظواهر النصوص، مع تنزيه اللّه تعالى عما لا يليق به. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۳۹

۱- وجود اللّه تعالى

اشارة

۱- وجود اللّه تعالى تحدثنا بداية إلى أن أول آيات القرآن نزولا ذكرت العلم و أدواته. و أن العلم وسيلة تحقيق إنسانية الإنسان، و كشف أسرار الكون، و الاطلاع على قوانينه و استخدامه و الانتفاع به. و معرفة خالق الكون و قدرته. و عرفنا أن الحواس الخمس هى المنافذ التى ينظر العقل من خلالها إلى هذا الكون و يلتقط منه الصور، ثم يقوم بتحليل هذه اللقطات و تركيبها ليتوصل من خلالها إلى المجهول. وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً، وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (النحل/ ۷۸) فقد نصت الآية على أن الإنسان خرج من بطن أمه لا يعلم شيئا، و لكنها دلّته على الطرق التى يستفيد منها العلم و يطل بها على المعرفة. و فيها دعوة للتفكر فى آلية السمع و كيفية وصول الصوت إلى المخ، و آلية فهم الإنسان المعانى التى ترمز إليها الأصوات، و دقة كل من أقسام الأذن الداخلية و المتوسطة و الخارجية .. و دعوة إلى التفكير فى جهاز الرؤية و قدرته على تمييز الصور و معرفة أصحابها، و تقدير أشكال الأشياء و سعتها و ألوانها و أبعادها، ثم الأعضاء الملحقة بالعين و وظيفة كل منها. فإذا تفهمنا كل هذا تحليلا و تركيبا عرفنا أن وراء ذلك قاصدا و مريدا لتحقيق السمع و الرؤية و تحليل الأمور و المشاهدات. و الآيات الداعية إلى التفكر و إعمال العقل فى ما خلق اللّه للوصول من خلال ذلك إلى معرفة الخالق كثيرة، منها: اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزانَ (الشورى/ ۱۷)، اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ (الروم/ ۴۰)، اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ، وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ، وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ. وَ سَخَّرَ لَكُمُ الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۴۰ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ، وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ (إبراهيم/ ۳۲ و ۳۳) «۱». «و ما يدرينا لو منحنا بعض حواس أخرى غير التى داخلة فى تركيبنا، لاكتشفنا من حولنا أشياء كثيرة هى مغيبة عنّا الآن، لأننا لا نحس بها، إذ لا توجد لدينا الحاسة التى نتمكن بواسطتها أن نكتشفها و ندركها. و قد اكتشف العلم الحديث أن الفضاء مملوء بالصور التى لا نستطيع أن نشاهدها بأبصارنا لفقد الانسجام و التوافق بين وضعها و وضع أبصارنا. كما أنه مملوء بالأصوات التى هى فوق مستوى سمعنا أو دون مستواه، و نحن لا نسمع من ذلك شيئا. كما استطاع العلم الحديث أن يكتشف الأجهزة الخاصة التى باستطاعتها التقاط الأصوات و الصور من الجو لنقلها إلينا بعد أن تحوّلها إلى صور و أصوات تتناسب مع مستوى و وضع أسماعنا و أبصارنا. فإذا جزمنا بأن مكانا ما مثلا لا يوجد فيه أى صوت، لا بشكل ظاهر، و لا بشكل خفى نعجز عن إدراكه، ثم جىء إلينا بالأجهزة القادرة على التقاط الصوت الخفى من نفس ذلك المكان ثم أديرت بحيث تلتقط الصوت و تنقله لنا، لكان ذلك تكذيبا لنا فيما ادّعينا سابقا، و برهان الحس الجديد المشاهد فيها أعظم شاهد ..» «۲» يقول الدكتور خالص جلبى: «إن البصر له حدود لا يتجاوزها، كما إن نفس الشىء المرئى إذا ابتعد أكثر من اللازم تشوّشت رؤيته، و هى ما تعرف بنقطة المدى و نقطة الكثب. و الألوان المرئية لها طيوف يمكن للعين أن تبصرها، و لكن هناك إشعاعات عديدة لا تراها العين، و لا يدركها البصر. إن هذا يجعلنا نقول: إن هناك أشياء غير منظورة فى هذا الكون، فهناك إشعاعات مجهولة،

(_____ ۱) انظر الآيات: ۳- ۱۶/ النحل. ۶۱- ۶۵/ العنكبوت. ۲۱- ۲۳/ الأنفال. ۱۲/ الجاثية، و غيرها. (۲) العقيدة الإسلامية و أسسها، عبد الرحمن حبنكة، ص- ۱۴. الإعجاز فى

القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۴۱ و طاقات خبيئة، و قوى خفيّة. و لكن الإنسان كما يستوعب المرئيات ببصره، و المسموعات بأذنه و المحسوسات عامة بحواسه، كذلك فإنه يستوعب اللامحسوسات بذهنه المتقد الجبار. إن النفس الإنسانية عالم فسيح، ففيها ما تدركه الحواس، و ما لا تدركه الحواس، فيها الواقعية و الخيال، فيها المادية و الروح. إن هذه المعانى و الحقائق الجميلة تلقى ظلالا هادئة خاشعة على الآيات القرآنية: فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ وَ ما لا تُبْصِرُونَ (الحاقّة/ ۳۸ و ۳۹). و لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ (الأنعام/ ۱۰۳). فإذا كانت هناك الطيوف المرئية و الطيوف غير المرئية و هناك الإشعاعات غير المبصرة مثل الأشعة تحت الحمراء و فوق البنفسجية، و أشعة غاما، و ألفا، و الأشعة السينية و سواها. و إذا كانت هناك قوى نشعر بآثارها دون أن نراها، كقوى الجاذبية و المغناطيسية و الكهربية و الإشعاعات الكونية، أ فلا يحق لأولئك المنكرين أن يشغلوا ذهنهم العلمى أمام هذه النقطة حتى يؤمنوا؟.» «۱». لفتت انتباهى قصة طريفة فى هذا المجال مفادها التالى: «لقد ردّ طفل صغير بإشراق على فطرته على بعض هؤلاء المتحامقين من الملاحدة ردّا لاذعا فيه التهكّم و الإقناع معا. قال المتحامق: نحن لا نؤمن بوجود أى شىء حتى نراه، و لا نسلم به حتى نشاهده. و جعل يضرب الأمثلة الواهية على ذلك إلى أن توصل إلى موضوع وجود اللّه فقال: نحن لم نشاهد الخالق، فهو إذن غير موجود .. فقام الطفل الصغير المنصت فى زاوية مجلس هذا المتحامق الملحد فقال له: يا أستاذ نحن كلنا لم نر عقلك الذى تفكر به، فأنت إذن لا عقل لك. فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ، وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. (البقرة/ ۲۵۸).» «۲».

(۱) الطب محراب الإيمان، ص ۲۲.

(۲) العقيدة الإسلامية و أسسها، عبد الرحمن حبنكة الميدانى. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۴۲ نخلص من كل ما ذكرنا إلى أن حواسنا هى منافذ العلم لدينا، و لكنها محدودة لا تتناول كل شىء موجود، و كذا قدرة التخيّل. إذن ما هى أدلة وجود الخالق الذى اعتقد الإنسان منذ بدء الخليقة بوجوده؟. لا شك فى أن الأدلة كثيرة، و قد تطوّرت مع تطور المجتمعات الإنسانية، منذ أن اتخذ الإنسان أربابا متفرقين، إلى أن عرف الإله الواحد، ذلك لأن فى الطبع الإنسانى جوع إلى الاعتقاد، و مسألة «وجود اللّه» مسألة وعى قبل كل شىء، وعى بوجوده و حقيقته الذاتية، وعى يقينى بالوجود الأعظم و الحقيقة الكونية، لأنه متصل بهذا الوجود بل قائم عليه. «نعتقد أن الوعى الكونى المركب فى طبيعة الإنسان هو مصدر الإيمان بوجود الحقيقة الكبرى، التى تحيط بكل موجود، و للإنسان وعى بما فى الكون من جمال و نظام و أسرار، فإذا احتجب الجمال عند أناس، و أسفر عند آخرين، فليس ذلك بقادح بوجود اللّه أو صدق الإحساس بمعانيه. و ليس «لا» أحق بالتصديق من: «نعم». فأرسطو مثلا لم يثبت وجود اللّه ليقنع به منكرا، و لكنه أثبته لأن تفسيره لظواهر الكون لا يتم بغير هذا الإثبات. و لما ظهرت الأديان الموحدة كان الجدل فى صفات اللّه أكثر و أعنف من الجدل فى وجوده.» «۱» يقول الفيلسوف «فيثاغورس»- ولد عام ۵۸۰ ق. م-: إن البارى تعالى واحد لا كالآحاد، و لا يدخل فى العدد، و لا يدرك من جهة العقل، و لا من جهة النفس، فهو فوق الصفات الروحانية، غير مدرك من نحو ذاته، و إنما يدرك بآثاره و صنائعه و أفعاله. و كل عالم من العوالم يدركه بقدر الآثار التى تظهر فيه صنعته.» «۲».

(۱) (اللّه): عباس محمود العقاد، ص- ۲۱۲. (۲) الملل و النحل، للشهرستانى، تحقيق محمد سيد كيلانى، ص- ۷۴. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۴۳ و أنا هنا لا أستطيع أن أحصى أو أورد جميع البراهين التى استدل بها الفلاسفة و العلماء على وجود اللّه. فهى أكثر من أن يحيط بها كتاب. لذا أكتفى بذكر أقربها إلى التواتر و القبول، مبتدئا بالمنهج القرآنى لأنه هو الأساس الذى بنينا عليه أبحاثنا كلّها. علما بأن دراسة العقيدة الإسلامية اتخذت اليوم منهجين؛ أحدهما منهج القرآن، و ثانيهما؛ منهج الأدلة العقلية و البراهين المنطقية.

أولا) المنهج القرآنى:

أولاـ) المنهج القرآنى: دليل الفطرة و البداهة: عن أبى حنيفة النعمان أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود البارى تعالى، فقال لهم: دعونى، فإنى مفكّر فى أمر قد أخبرت عنه. ذكروا لى أن سفينة فى البحر موفرة فيها أنواع من المتاجر، و ليس بها أحد يحرسها و لا يسوقها، و هى مع ذلك تذهب و تجىء، و تسير بنفسها، و تخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، و تسير حيث شاءت بنفسها، من غير أن يسوقها أحد. فقالوا: هذا شىء لا يقوله عاقل. فقال: ويحكم، هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوى و السفلى، و ما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟. فبهت القوم و رجعوا إلى الحق، و أسلموا على يديه.» «۱». فكل إنسان يعرف بالفطرة أنه لا بد لكل صنعة من صانع. و هذا معنى قول العلماء: إن الإنسان مجبول على معرفة اللّه فيما لو خلى مع فطرته أى عارض يخدش سلامتها. و قد ضربوا مثلا على سلامة الفطرة بذلك الأعرابى الذى سئل عن دليله على وجود اللّه فقال على البداهة: البعرة تدل على البعير، و أثر السير يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، و أرض ذات فجاج، و بحار

(_____۱) تفسير ابن كثير (۱/ ۶۲). الإعجاز

فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۴۴ ذات أمواج، أ فلا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟. و القرآن الكريم اعتمد على هذه الفطرة، و خاطب الناس بما يوقظها، فقال: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها، لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ .. (الروم/ ۳۰). و الاستجابة للفطرة أشار إليها القرآن بقوله: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (الزخرف/ ۹). ثم إن القرآن غذّى الفطرة عند الإنسان بطلب التأمل فى نفسه، و فى كل ما حوله، ليرى ما فى ذلك من دلائل متنوعة، على أنه من صنع العليم القدير. - فى نفس الإنسان و ذاته: قال تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (الطارق/ ۵- ۷). و آيات أخرى كثيرة تتعلق بخلق الإنسان و نشأته و تكاثره و غير ذلك من الأمور التى لم يكن يتصوّرها الإنسان فيما مضى أو يخوض فى الحديث عنها. - فى طعام الإنسان و شرابه: قال تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا، وَ عِنَباً وَ قَضْباً .. (عبس ۲۴- ۳۲). و فى نفس الوقت يرى المتعلم و المتدبر فى هذه الآيات دعوة إلى علم البيولوجيا و علم الحياة و الفيزيولوجيا .. و إلاـ فكيف يكون النظر بين الصلب و الترائب؟ - فى الأرض؛ التى منها منشؤنا و عليها مستقرنا و إليها معادنا، قال تعالى: وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَ أَنْهاراً، وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ... وَ فِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوانٌ وَ غَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ، وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ، إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (الرعد/ ۳ و ۴). ظواهر الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۴۵ متتالية تستحق أن يقف المرء عند كل منها وقفة تأمل و تدبر طويلة. و كذا الأمر بالنسبة لتنوع الحيوانات على ظهر الأرض و اختلاف فوائدها. و يكفى أن نذكّر بعالم النحل الذى أثبت له العلم فوائد لا تعد و لا تحصى، و كيف اختصر القرآن ذلك بقوله: يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ، إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (النحل/ ۶۹). ثم لاـ بد من التأمل فى عالم النبات و عجائبه، و يكفى أن نذكّر بتحوّل عناصر التراب الميتة إلى خلايا نباتية حيّة فى صورة زروع و ثمار مختلفة يعيش عليها الإنسان و الحيوان، ثم تبدأ دورة أخرى و هكذا .. - فى السموات: لقد ورد ذكر السماء فى القرآن فى أكثر من مائتى آية قرآنية تناولت قدرة اللّه تعالى فى خلق و بناء السموات. و قد عرضنا كثيرا من الشواهد فى الفصل الثانى من الباب الأول، و لا حاجة للتكرار. و إنما يكفى أن نذكّر بدعوة القرآن للتفكر فى الأجرام العلوية و ما أودع فيها من نظام محكم، و أنه رغم كل الاكتشافات الهائلة فى علم الفلك فإننا لا نزال فى بداية الطريق، كما قال أحد العلماء. و رأينا دعوات توافق العامة كما توافق الخاصة، فنظرة العامى إلى قوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ تثير إيمانا ساذجا بعجيب قدرته تعالى، و نظرة المتعلم تجعله يتأمل من زاوية الأدلة العقلية و المنطقية. و كل واحد يتأثر حسب استعداداته و عواطفه و مداركه. و الكل يلاحظ الإحكام و الضبط فى هذا الكون الفسيح الذى يسير وفق قوانين دقيقة من الذرة المتناهية فى الصغر إلى الشمس و كواكبها، إلى السماء المترامية، و مهما أعاد النظر فلن يجد إلا ملكا رائعا متناسقا ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ (الملك/ ۴). غير أن هذه الفطرة التى فطر اللّه الناس عليها قد تصيبها بعض الآفات من الإعجاز فى

القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۴۶ قبل المحیط الذی یعیش فیه الإنسان، کما یحدث ذلک للحواس الظاهرة من سمع و بصر و غیرها .. و لإزالة ما یحرفها عن جادة الصواب کان لا بد من ذکر بعض الأدلة التی تعود بالفطرة إلی أصالتها، و تلزم العقل بالإیمان بوجود الخالق.

ثانیا) الأدلّة النّظریّة

ثانیا) الأدلّة النّظریّة بعد اتساع رقعة الفتوحات الإسلامیة، و الاحتکاک بملل أخری، لم یعد الإقناع بآیة من القرآن لمن تفلسفت عقولهم کافیا. مما تطلب اللجوء إلی المناقشة وفق قوانین العقل و المنطق. و هذا الأسلوب لا ینکره الإسلام لأنه دین العقل أیضا. فأول ما بدأنا به فی هذا الکتاب بیان خطاب القرآن للعقل المدرک، و العقل المفکر، و العقل الوازع. و قد جعل القرآن العقل محور التکلیف و القیام بالأعمال التشریعیة. و ذمّ التقلید الأعمی وَ إِذا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ، قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَیْنا عَلَیْهِ آباءَنا، أَ وَ لَوْ کانَ آباؤُهُمْ لا یَعْقِلُونَ شَیْئاً وَ لا یَهْتَدُونَ (البقرة/ ۱۷۰). و نهی الإنسان عن اتباع شیء دون دلیل یصل به إلی درجة العلم، فقال: وَ لا تَقْفُ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ کُلُّ أُولئِکَ کانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا. «و مما یستوقف النظر أن البراهین التی جاء بها القرآن و خصها بالتوکید و التقریر هی أقوی البراهین إقناعا، و أحراها أن تبطل القول بقیام الکون علی المادة العمیاء دون غیرها، و نعنی بها: أولا- برهان ظهور الحیاة فی المادة قُلْ مَنْ یَرْزُقُکُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ؟ أَمَّنْ یَمْلِکُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ؟ وَ مَنْ یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ؟ وَ یُخْرِجُ الْمَیِّتَ مِنَ الْحَیِّ؟ وَ مَنْ یُدَبِّرُ الْأَمْرَ؟ فَسَیَقُولُونَ اللَّهُ .. (یونس/ ۳۱). ثانیا: برهان التناسل بین الأحیاء لدوام بقاء الحیاة جَعَلَ لَکُمْ مِنْ الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۴۷ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً، وَ مِنَ الْأَنْعامِ أَزْواجاً .. (الشوری/ ۱۱)، و قال: وَ أَنْبَتْنا فِیها مِنْ کُلِّ زَوْجٍ بَهِیجٍ (ق/ ۷). ثالثا: برهان وحدة الخالق یتجلی بقوله تعالی: لَوْ کانَ فِیهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا (الأنبیاء/ ۲۲) ..» «۱» و قد تحدث الأستاذ «عبد الرحمن حبنکة المیدانی» فی کتابه «العقیدة الإسلامیة و أسسها» عن الأدلة النظریة بشکل مفصل أوجزها فی ما یلی: - الدلیل الأول: دلیل الإلزام العقلی بین الوجود و العدم، و یسمیه البعض برهان التلازم، و هو علی أربعة مراحل: ۱- الأصل فی الخالق الوجود، فوجوده واجب. و الشاهد قوله تعالی: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَیْرِ شَیْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ (الطور/ ۳۵). ۲- ما کان وجوده هو الأصل لا یصح عقلا أن یکون لوجوده بدایة، لأن ما کان لوجوده بدایة فلا بدّ أن یحتاج فی وجوده إلی سبب أوجده. و کذلک ما کان وجوده هو الأصل لا یمکن أن یلحقه العدم: وَ تَوَکَّلْ عَلَی الْحَیِّ الَّذِی لا یَمُوتُ (الفرقان/ ۵۸). فالحی الذی لا یموت هو من کان وجوده هو الأصل، لذا لا یمکن أن یطرأ علیه العدم أو الموت. ۳- فی الأشیاء الکونیة القابلة للإدراک الحسی الأصل هو العدم، و بالتالی وجب عقلا- أن یکون لها سبب مؤثر نقلها من العدم إلی الوجود فی مرحلة وجودها الأول و لا یزال یؤثر باستمرار فی جمیع صور تغیراتها المتضمنة الحکیمة: أَتی عَلَی الْإِنْسانِ حِینٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ یَکُنْ شَیْئاً مَذْکُوراً (الإنسان/ ۱). ۴- لا- بد من التوفیق بین الحقائق الثلاث السابقة التی لا- مفر منها بشکل (_____ ۱)

(اللّه): کتاب فی نشأة العقیدة الإلهیة، عباس محمود العقاد، ص ۲۳۳. الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۴۸ تقبله العقول، و ذلک لا یکون إلّا وفق صورة واحدة، و هی أن نقول لا بدّ عقلا من وجود موجد عظیم هو الأصل، و عدمه مستحیل. و هذا الکون بما فیه الأصل فیه العدم، و لا- بدّ لإخراجه من العدم إلی الوجود من سبب موجد، و لا یکون السبب الموجد للکون بجمیع ما فیه إلّا موجودا عظیما وجوده هو الأصل، و هو واجب الوجود، ذلک هو اللّه سبحانه و تعالی. الدلیل الثانی: دلیل الإمکان فی الکون أَ لَمْ تَرَ إِلی رَبِّکَ کَیْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساکِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَیْهِ دَلِیلًا (الفرقان/ ۴۵). کما أشار القرآن إلی هذا الدلیل فی الآیات: (۲۷/ القصص، و ۱۹/ إبراهیم، و ۳۰/ الملک) إذ بیّن أنّ الصور و الأنظمة و الأوضاع یمکن أن تختلف و تتغیر أو تتحول من وجود إلی عدم، و من وضع إلی وضع، و إذا کان ذلک ممکنا فلا بدّ أن یکون له مخصص و هذا المخصص هو الموجد القادر

الحكيم الذى أوجدها من العدم. الدليل الثالث: دليل التغير و السببية: نحن نرى أن حوادث التغير لا تنفك عن الموجودات الكونية، و يتبدى ذلك بوضوح فى التحولات الكيماوية و الفيزيائية. و لا بدّ لكل تغير من سبب أثّر فيه، و أبسط أنواع هذه التغيرات هو التغير المكانى، كانتقال قطعة من الصخر من مكان إلى آخر. و التغيرات الكونية لا بد لها من سبب حقيقى كامل القدرة صدرت عنه هذه القوى الكونية الكبرى .. و لا بد أن يكون هذا القادر منزّها عن التغير و التحول. و هذا الدليل هو الذى اعتمد عليه أبو حنيفة حينما أقام الحجة على الزنادقة. و لئن عبّرنا بلفظ السبب و معنى السببية فإنّ القرآن اختار لفظ «الخلق»، ذلك لأن السببية متى انتهت إلى العليم القادر على كل شىء كانت خلقا. مثل: وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً، وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَ لا تَضَعُ إِلَّا

الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۴۹ بِعِلْمِهِ، وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتابٍ، إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (فاطر/ ۱۱). و مثلها الآيات (۴۳- ۴۵/ النور). الدليل الرابع: دليل الإتقان فى الكون؛ فى الصنع و التركيب، فى هندسة هذا الكون، و خلق الإنسان و تكوينه، و فى عالمى الحيوان و النبات .. كل ذلك يستدعى التفكير بمن أتقن و رتب صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ (النمل/ ۸۸). ا. ه- قلت إن الدراسات التى بحثت فى وجود الخالق كثيرة جدا، و لا بد من التنويه عن بعضها هنا زيادة فى التوضيح و البيان. ۱- جاء فى كتاب (اللّه يتجلّى فى عصر العلم) «۱»: «يقول الدكتور فرانك آلن عالم الطبيعة البيولوجية، تحت عنوان: نشأة العالم هل هو مصادفة أم قصد: كثيرا ما يقال إن هذا الكون المادى لا يحتاج إلى خالق، فكيف نفسر وجوده و نشأته؟ هنالك أربعة احتمالات: الاحتمال الأول أن يكون هذا الكون مجرد وهم و خيال ... و هذا يتعارض مع القضية التى سلّمنا بها حول وجوده .. الاحتمال الثانى أن يكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم .. و هذا لا يقل عن سابقه سخفا و حماقة. الاحتمال الثالث أن يكون أبديا ليس لنشأته بداية .. الاحتمال الرابع أن يكون له خالق .. و الرأى الثالث إنما يشترك مع الرأى الرابع فى عنصر واحد هو الأزلية. و إذا فنحن إما أن ننسب صفة الأزلية إلى

(_____ ۱) كتاب اشتمل على ثلاثين بحثا لنخبة من العلماء الأمريكيين، كلها تجيب على سؤال واحد: هل لهذا الكون من إله؟ و قد أثبت هؤلاء العلماء فى مقالاتهم وجود اللّه عن طريق ما وعوه من الأدلة الكثيرة المنبثة فى مجالات اختصاصاتهم العلمية. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۵۰ عالم ميت، و إما أن ننسبها إلى إله حىّ يخلق ..» «۱» يقول الدكتور روبرت موريس بيدج تحت عنوان اختبار شامل: «من العبث أن نحاول إثبات وجود اللّه باستخدام العلوم الطبيعية، لأنه يشغل دائرة غير دائرتها المحددة، فإذا لم يكن للإله وجود مادى فلا بد أن يكون ذلك الإله روحانيا أو يوجد فى عالم من الحقيقة غير ذلك العالم الميتافيزيقى على أية حال و بذلك فإنه لا يمكن أن تحدّه تلك الأبعاد الثلاثة، أو أن يكون خاضعا لقيود الزمان التى نعرفها. و لا بدّ لنا أن نسلّم أن هذا الكون المادى ليس إلّا جزءا يسيرا من الحقيقة الكبرى التى ينطوى عليها هذا الوجود. و ليس مثل ذلك إلّا كمثل سطح البحر بالنسبة للشخص الذى لا يستطيع أن يلاحظ إلّا الأشياء التى تكون طافية على وجه المحيط، فإن مثل هذا الشخص يعجز عن مشاهدة الأشياء التى تطير فى الهواء أو تغوص فى الماء. فإن الطيور و الطائرات التى تطير فى الهواء، و الغواصات التى تسبح فى جوف الماء تعتبر غير موجودة بالنسبة إليه، فهو لا يستطيع أن يدركها بسبب قصوره، و لكنه قد لا يعجز عن الاستدلال عليها ...» «۲» أبحاث كثيرة توالت موضحة أن المؤمنين بوجود الخالق أقاموا أبحاثهم على العلم و المنطق و البصيرة، أما وجهة نظر الملحد فتحتاج إلى تسليم لأنه أقام إلحاده على العمى وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ (الحج/ ۸). وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ... (الحج/ ۵۴).

(_____ ۱) اللّه يتجلى فى عصر العلم، ص ۶۲. (۲) المصدر السابق، ص ۱۶. و الدكتور موريس المذكور هو أول من استكشف الرادار فى العالم عام ۱۹۳۴. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۵۱ يقول الدكتور «مصطفى محمود»: «الفطرة عضو مثل العين، مؤكد به، و هو يقين أعلى من يقين العلم (۱+ ۱ ۲) مسألة لا تقبل الشك لأنها حقيقة ألقتها إلينا الفطرة من داخلنا، هى معرفة أولى جاءت إلينا مع شهادة الميلاد، لو أدرك الإنسان

هـذا لأراح ... تعلمت مع ما تعلمت فى كتب الطب النظرة العلمية و أن الغيب لا حساب له فى الحكم العلمى ... عكوفى على العلم و على الشـريحة الحية تحت المكروسـكوب قال لى شيئا آخر: فالوحدة بين الموجودات تعنى وحدة خالقها و لكنها لا تعنى أبدا أن الموجودات هى ذاتهـا الخـالق. و لاـ يقول الناقـد إن هـذه الرسوم هى الرسـام، و إنمـا تقول النظرة العلميـة المتأملـة لظواهر الخلق و المخلوقات أن هنالك وحـدة بينها، وحـدة أسـلوب، و وحـدة قوانين، و وحدة حاجات. تعنى جميعها أن خالقها واحد لم يشـرك معه شريكا يسمح بأسلوب غير أسلوبه ..» «۱». و يقول أيضا لصـديق سأله ساخرا: «أنتم تقولون أن اللّه موجود، و عمدة براهينكم هو قانون السـببية .. صـدّقنا و آمنّا بهـذا الخالق، ألا يحق لنا بنفس المنطق أن نسأل و من خلق الخالق؟ من خلق اللّه الـذى تحـدثوننا عنه؟. و فى الإجابة يقول: سؤالك فاسد، فأنت تسـلم بأن اللّه خالق، ثم تقول من خلقه؟ فتجعل منه خالقا و مخلوقا فى نفس الجملة، و هذا تناقض. و الوجه الآخر لفساد السؤال أنك تتصور خضوع الخالق لقوانين مخلوقاته. فالسببية قانوننا نحن أبناء الزمان و المكان، و لا يصح لنا أن نتصوره خاضـعا لقانون السـببية الـذى خلقه. و أنت بهـذه السفسـطة أشـبه بالعرائس التى تتحرك بزمبلك، و تتصور أن الإنسان الـذى صنعها لا بدّ هو الآخر من أن يتحرك بزمبلك. فإذا قلنا لها: بل هو يتحرك من تلقاء نفسه. قالت: مسـتحيل أن يتحرك شىء من تلقاء نفســـه، إنى أرى فى (_____ ۱) رحلـتى من الشـك إلى الإيمان، ص ۴۳. الإعجـاز فى القرآن طريق إلى الإيمـان، ص: ۱۵۲ عـالمى كل شـىء يتحرك بزمبلك ..» «۱» مثال أخير نأخـذه عن الـدكتور سـيد الجميلى: «قال تعالى: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ ... (الإنسان/ ۲) و قال: مِنْ نُطْفَـةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ .. (عبس/ ۱۹). فعند ما ننظر و نتأمل بشـىء من التأنى و التقدير نجد أن التقدير جاء بعد الخلق مباشـرة، و هنا إعجاز طبى قرآنى رائع. إذ أن خلايا الجسم تنقسم تباعا أثناء النمو فالنطفـة و البيضـة «الأمشاج أو الجامطات» ينقسم كل منها اختزاليا ليتكون من كل منها نصـف عـدد الكروموسومات أو الصـبغيات فى الخلية الجسدية العادية. و معنى ذلك أن النطفة تحمل ۵۰ بالمائة من صفات الأب، و البويضة تحمل ۵۰ بالمائة من صـفات الأم، و بالتحام الحيوان المنوى بالبويضة تتكون اللاقحة، جامعة بين صـفات الأب و الأم، و لذلك يكون تقـدير الحق سـبحانه لهذه اللاقحة إما ذكرا أو أنثى بتركيب وراثى صـبغى محدد. و فى قوله تعالى: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى إعجاز طبّىّ قرآنىّ آخر، و هو أن الـذكر أو منى الرجل هو المسـئول عن عنصـر الـذكورة فى اللاقحة، و ليست الأنثى، و هذا أوضـحه قوله: «فجعـل منه» و لم يقل «فجعل منها» ..» «۲». فالأدلة على وجود الخالق أكثر من أن تحصـى. و ما محاولة وضـعها إلا دليل على أن اللّه موجود فينا بالفطرة، إنما نحاول أن نستخدم منها ما يلائم عقولنا. فإذا ذكر أحد اسم «اللّه» أمامنا لا نشعر بغرابة اللفظ، و يستوى فى هـــذا الإحســـاس جاهـــل و متعلـــم. و أمـــا الجـــدل فيـــدور حـــول صـــفات اللّـــه. و حـــتى لـــو حـــدث (_____ ۱) القرآن- محاولـة لفهـم عصـرى، ص ۲۷۲. (۲) الإعجـاز الطبى فى القرآن، ص ۴۹. و فى المثـال المـذكور أكّـدنا ترابـط أغراض القرآن من حيث الإعجاز و البراهين. الإعجـاز فى القرآن طريـق إلى الإيمـان، ص: ۱۵۳ حول اللّه فلأـن هنـاك واقعـا علميّـا يخـالف واقعـا تراه العين، و هوى النفس يجعل البعض ينطلق إلى الخيال، مع أن هذا التخيل خارج عن حدود العقل البشـرى، لأننا إذا أردنا أن نتخيل شيئا ما فإن هذا الشىء يجب أن يشبه شيئا فى قدرات العقل، و لكن اللّه تعالى «ليس كمثله شىء». الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۵۴

۲- صفات اللّه تعالى

اشارة

۲- صـفات اللّه تعالى أدركنا أن وراء هـذه الظواهر الكونيـة قوة كبرى يرجع إليها الخلق و الأمر. فما هى صـفات هـذه القوة المهيمنة؟

هـذه الصـفات نسـتنتجها من خلال آثارها و من خلال الآيات القرآنية التى آمنّا بها. و قد بحث السـلف فيها كثيرا، فمنهم من أوّل هذه الصـفات على وجه يحتمل اللفظ ذلك، و منهم من توقف فى التأويل و قال: عرفنا بمقتضـى العقل أن اللّه تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَـيْءٌ». و قد وصف اللّه سبحانه نفسه بصفات مختلفة، و فى ما يلى فكرة موجزة عن هذه الصفات:

۱- الوجود

۱- الوجود ؛ و قد فصلنا القول فى الصفحات السابقة مع بيان أن ذات اللّه ليست كالذوات التى يراها الحس و يتخيلها الوهم.

۲- الوحدانية

۲- الوحدانية ؛ فاللّه تعالى واحد فى ذاته، و فى صفاته، و فى أفعاله، ليس مؤلفا من أجزاء لَمْ يَلِدْ، وَ لَمْ يُولَدْ و متصف بأكمل الصفات و لا يشابهه أحـد فيها، و لا يشاركه أحد فيها لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا (الأنبياء/ ۲۲). و من الأدلة: أ- دليل النظام؛ فلو تعددت الآلهـة لأدّى ذلك حتما إلى فساد الكون: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ، وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ، إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ، وَ لَعَلا بَعْضُـهُمْ عَلى بَعْضٍ، سُـبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (المؤمنون/ ۹۱). ب- دليل الاسـتغناء؛ فلو كان هناك إلهان و أراد أحدهما أن يصـنع شـيئا فالثانى إن كـان مضـطرا لمساعـدة الأول و لا يقـدر على مخالفته كان هـذا الثانى مقهورا عاجزا، و لم يكن إلها قادرا. و إن كان الثانى قادرا على مخالفة الأول كان الثانى هو الإله القادر القوى و لم يكن الأول إلها قادرا. ج- دليل الاسـتحالة؛ فإذا انكشف للإنسان العاقل أن صفات الألوهيـة لا الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۵۵ تتوافر فى أحـد سوى اللّه، وجب أن يسـمو للإيمان بوحدانية اللّه، و يكفر بمـا سواه: اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ، هَـلْ مِنْ شُـرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذلِكُمْ مِنْ شَـيْءٍ، سُـبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (الروم/ ۴۰).

۳- قيامه تعالى بنفسه:

۳- قيامه تعالى بنفسه: فهو لا يفتقر إلى موجد يوجـده، و لا إلى مكان يتحيز فيه، بدليل قوله تعالى: اللَّهُ الصَّمَدُ و هو الذى يصـمد إليه كلّ مخلوق، لا يستغنون عنه و هو الغنى عنهم.

۴- العلم:

۴- العلم: وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَـيْءٍ عَلِيمٌ (التغابن/ ۱۱) فلا يسـبق معرفته جهل، و لا يعدو عليها نسـيان. و علمه محيط بالأمس و اليوم و الغد، و بالظاهر و الباطن، و بالدنيا و الآخرة: وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ، وَ يَعْلَمُ ما فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ، وَ ما تَسْـقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُها، وَ لا حَبَّةٍ فِى ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ (الأنعام/ ۵۹).

۵- الإرادة:

۵- الإرادة: إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (یونس/ ۸۲)، فإرادة اللّه نافذة فی السماء و الأرض، لا رادّ لها و لا معقّب علیها: إِنَّ رَبَّکَ فَعَّالٌ لِما یُرِیدُ (هود/ ۱۰۷).

۶- القدرة:

۶- القدرة: إن العالم و ما فیه من سکون و حرکة، أثر لقدرة اللّه تعالی. و هی صفة أزلیة، یتأتی بها إیجاد کل ممکن، و إعدامه، و تکییفه وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُعْجِزَهُ مِنْ شَیْءٍ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ، إِنَّهُ کانَ عَلِیماً قَدِیراً (فاطر/ ۴۴).

۷- السّمع و البصر:

۷- السّمع و البصر: عند ما أرسل اللّه تعالی موسی علیه السلام و أخاه هارون إلی فرعون، توجّسا من طغیانه و قالا: رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ یَفْرُطَ عَلَیْنا أَوْ أَنْ یَطْغی قالَ لا تَخافا، إِنَّنِی مَعَکُما أَسْمَعُ وَ أَری (طه/ ۴۵ و ۴۶). و الإحساس بهذه الحقیقة جزء من الدین، بل هو قمته العلیا.

۸- الکلام:

۸- الکلام: و هو صفة أزلیة قائمة بذاته تعالی، هو بها آمر، و ناه، و مخبر. قال الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۵۶ تعالی: وَ کَلَّمَ اللَّهُ مُوسی تَکْلِیماً (النساء/ ۱۶۴). بید أن الکلام الإلهی لیس ألفاظا تصنعها الشفتان و اللسان.

۹- الحیاة:

۹- الحیاة: و هی صفة أزلیة، بها یتأتی ثبوت الصفات السابقة. من أدلّتها النقلیة: لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ (البقرة/ ۱۵۵). و من أدلتها العقلیة: ما ثبت من اتصافه سبحانه بالعلم و القدرة و الإرادة و غیرها ...

۱۰- القدم:

۱۰- القدم: و معنی القدم عدم وجود أول له سبحان بدلیل: هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ (الحدید/ ۳). و فی القرآن آیات کثیرة تضیف إلی اللّه تعالی صفات أخری منها: هُوَ اللَّهُ الَّذِی لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَةِ، هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِیمُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِی لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِکُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَیْمِنُ الْعَزِیزُ الْجَبَّارُ الْمُتَکَبِّرُ، سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا یُشْرِکُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ، لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنی یُسَبِّحُ لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ. (الحشر/ ۲۲- ۲۴). الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۵۷

۳- ما یترتّب علی صفات اللّه تعالی من الحقائق الاعتقادیة

۳- ما یترتّب علی صفات اللّه تعالی من الحقائق الاعتقادیة یقول ابن القیّم: صفات اللّه سبحانه منزهة عن النقائص و العیوب المنافیة

لكماله و كمال ربوبيته .. أسماؤه كلها حسنى، و صفاته كلها كمال، و أفعاله كلها خير و حكمة و مصلحة. فمن شبّه اللّه بخلقه فقد كفر، و من جحد حقائق ما وصف اللّه به نفسه فقد كفر. و من أثبت له حقائق الأسماء و الصفات و نفى عنه مشابهة المخلوقات فقد هدى إلى صراط مستقيم. «۱» لهذا وجب علينا الاعتقاد بما يلى: ۱- تنزيه اللّه تعالى عن أضداد هذه الصفات، و عن النقائص. ۲- نفى العلة الغائية عن أفعاله، فهو خالق الأسباب و المسببات. ۳- لا يجب على اللّه تعالى شىء، فهو الخالق للأشياء و صفاتها. ۴- مصير الإرادة الإنسانية أمام إرادة اللّه تعالى وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (الإنسان/ ۳۰). ۵- وجوب الإيمان بالقضاء و القدر: فالقضاء فرع عن ثبوت صفة العلم و الإرادة للّه عزّ و جلّ. و القدر هو إيجاد تلك الأشياء بالفعل طبقا لعلمه الأزلى المتعلق بها. و من هنا نعلم أن القضاء و القدر لا علاقة لهما بالجبر، لأن اللّه تعالى بموجب ألوهيته لا بد أن يكون عالما بما سيفعله عباده، و بما سيقع فى ملكه. لذلك حين جىء إلى عمر بن الخطاب بسارق و سأله: لم سرقت؟ أجاب السارق: قضى اللّه علىّ. فأمر عمر بقطع يده و جلده أسواطا. فسئل فى ذلك، فقال عمر: القطع

(۱) الروح، ابن القيم الجوزية، ص- ۲۵۵. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۵۸ للسرقة، و الجلد لما كذب على اللّه. «۱» إذ فهم من القضاء و القدر أن فعله مجبر عليه إجبارا، فهو لا يسأل عنه و لا يحاسب عليه، فجلده عمر لأن الاحتجاج بما ظنّه احتجاج مردود بحرية الإرادة و الاختيار التى يملكها الإنسان، فهو محاسب على ما يصدر عنه من الفعل، إن خيرا فخير، و إن شرّا فشر. و هذه الحادثة تدلنا أيضا على أن هذا الموضوع عرف فى وقت مبكر فى الإسلام، و قد تناوله كثير من علماء المسلمين شرحا و تفصيلا، و فى مؤلّفات قديمة و حديثة «۲». و من دوافع ذلك كثرة المجادلين فى هذا الموضوع، لا لشبهة فى فهم أمر من أمور الدين، و إنما لقصد فئة معادية للإسلام أن تحول بين عقول المسلمين و حقائق إسلامهم، بما يمكن إثارته من غبار الأفكار الوافدة. و خلاصة القول عن القضاء و القدر فى نظر الإسلام: لا جبر بحيث يبطل التكليف و ما يقوم عليه من جزاء، و لا اختيار مطلق بحيث يشارك المخلوق الخالق بأفعاله. و ما تمسك به أهل الكتاب و السنة هو الأسلم. فالإنسان مخير فى أفعاله التى يملك السيطرة عليها، و غير مخير فيما لا يملك التحكم فيه. فنمو جسمه غير خاضع لإرادته فهو غير محاسب فيه، و لكن توجيه الأعضاء إلى فعل ما هو منهى عنه خاضع للحساب. و للإنسان إرادة و لكنها ليست بمعزل عن إرادة اللّه فى تقييد إرادة الإنسان بنظام الكون الشامل الذى أوجده اللّه ليأخذ كل شىء فيه مكانه الخاص به. أعتقد أن ما ذكرناه أعلاه كاف للاعتقاد بوجود إله خالق متصف بسائر

(۱) الإسلام- بحث فى العقيدة و الإيمان، ص- ۱۳۵. (۲) من المؤلفات القديمة: (شفاء العليل فى مسائل القضاء و القدر و الحكمة و التعليل) لابن القيّم الجوزية. و من المؤلفات الحديثة: (كبرى اليقينيات الكونية) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۵۹ الكمالات. و هذا الاعتقاد فى أصله فطرة عند الإنسان العاقل. و اعتقادنا هذا يغاير ما فى عقائد المسيحية و اليهودية و الديانات الأخرى فى الجوهر و الأصول. «فالمسيحية لديها الشرك و التعدد. و اليهودية تعتقد بالتعدد و إن كانت تؤمن بوحدانية «يهوه» أو «ألوهيم» و لكنها إلى جانب ذلك تعترف بوجود آلهة آخرين، فاللّه عندها إله قومى محلى مقصور على الشعب المختار، فهو إله أشبه برئيس قبيلة أو شيخ عشيرة، و وصفوه بنقائص البشر ..» «۱». هذا الخالق الذى آمنا به و الذى أنزل الكتاب بالحق يدعونا إلى الإيمان الكامل بقوله: آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ، لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ (البقرة/ ۲۸۵). فإلى تتمة أركان الإيمان فى الأبحاث التالية لفهم حقيقة الإيمان الكامل.

(۱) الإسلام- بحث فى العقيدة و الإيمان، ص- ۲۰۷. و ممّا جاء فى الصفحة ۲۵۹: «و اللّه تعالى فى المسيحية المحرفة هو الأب، و المسيح هو اللّه الابن، و معهما روح القدس، و هذا هو الثالوث المقدس عند المسيحيين. و اللّه فى اليهودية (يهوه) و هو إله اليهود الخاص بهم.». الإعجاز فى القرآن طريق

إلی الإیمان، ص: ۱۶۰

البحث الثانی الإیمان بالملائکة

اشارة

البحث الثانی الإیمان بالملائکة القرآن الذی أخبرنا عن اللّه سبحانه و تعالی و عن صفاته، یخبرنا عن وجود مخلوقات مادیة فی هذا العالم و مخلوقات من ذوات الروح. بعض هذه المخلوقات صغیر جدا لا یری بالعین المجردة، و مخلوقات لا تدرک بالحس. من هذه المخلوقات ما یسمی بالملائکة التی ورد ذکرها فی الآیة السابقة الذکر و فی الآیة التالیة: یُنَزِّلُ الْمَلائِکَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (النحل/ ۲). و من هذه المخلوقات ما یسمی بالجان کما ورد فی قوله تعالی: خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ کَالْفَخَّارِ وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ (الرحمن/ ۱۴).

أوّلا) عالم الملائکة:

أوّلا) عالم الملائکة: قال تعالی: وَ مَنْ یَکْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ کُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِیداً (النساء/ ۱۲۶). و لذلک أجمع المسلمون علی أن إنکار وجود الملائکة یعتبر کفرا. و أشرنا فی بدایة الحدیث عن الإیمان إلی أن حواسنا لا تسعفنا بکل شیء، فالتیار الکهربائی لا نراه و إنما نری آثاره من حرارة و برودة وضوء .. و کذلک الأشعة السینیة. کما أننا لا نری العقل و الروح و إنما نشاهد آثارهما. و القرآن هو القول الفصل. و قد وردت فی صفات الملائکة آیات کثیرة، منها ما یدل علی تفاوت بعضهم عن بعض بالشکل و القدرة: الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِکَةِ رُسُلًا أُولِی أَجْنِحَةٍ مَثْنی وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ یَزِیدُ فِی الْخَلْقِ ما یَشاءُ (فاطر/ ۱). و قد منحهم اللّه تعالی قدرة علی التشکّل و الظهور بأشکال مختلفة فقال: الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۶۱ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِیًّا (مریم/ ۱۷). و للملائکة وظائف عدیدة من أهمها: ۱- تبلیغ الوحی الإلهی إلی الرسل؛ و الملک الموکّل بذلک هو جبریل علیه السلام، بدلیل قوله تعالی: قُلْ مَنْ کانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلی قَلْبِکَ بِإِذْنِ اللَّهِ (البقرة/ ۹۷). و قال أیضا: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ (الشعراء/ ۱۹۳). ۲- التسبیح للّه، و السجود له، و العبادة، و الخضوع، قال تعالی: إِنَّ الَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ لا یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ یُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ یَسْجُدُونَ (الأعراف/ ۲۰۶). ۳- ملازمة الإنسان، و کتابة أعماله الحسنة و السیئة، قال تعالی: إِذْ یَتَلَقَّی الْمُتَلَقِّیانِ عَنِ الْیَمِینِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِیدٌ. ما یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ (ق ۱۷ و ۱۸). و هذا ما یجده مسجلا یوم القیامة و یحاسب علیه: هذا کِتابُنا یَنْطِقُ عَلَیْکُمْ بِالْحَقِّ، إِنَّا کُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (الجاثیة/ ۲۹). ۴- حفظ الإنسان من المکروه، فقد قال تعالی: لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ یَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَ إِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ .. (الرعد/ ۱۱). ۵- نصر المؤمنین و تثبیتهم فی القتال، و ذلک بما یلقونه فی قلوبهم من الثقة بالنصر و التأیید، کما حدث فی معرکة بدر. قال تعالی: إِذْ یُوحِی رَبُّکَ إِلَی الْمَلائِکَةِ أَنِّی مَعَکُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِینَ آمَنُوا سَأُلْقِی فِی قُلُوبِ الَّذِینَ کَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ کُلَّ بَنانٍ .. (الأنفال/ ۶۲). ۶- الدعاء و الاستغفار للمؤمنین، و طلب الرحمة و العون لهم. فقد قال تعالی: الَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ یَسْتَغْفِرُونَ الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۱۶۲ لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ کُلَّ شَیْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِینَ تابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِیلَکَ وَ قِهِمْ عَذابَ الْجَحِیمِ (غافر/ ۷). ۷- قبض أرواح الناس عند وفاتهم، فقد قال تعالی: قُلْ یَتَوَفَّاکُمْ مَلَکُ الْمَوْتِ الَّذِی وُکِّلَ بِکُمْ ثُمَّ إِلی رَبِّکُمْ تُرْجَعُونَ (السجدة/ ۱۱). ۸- رعایة الجنّة و أهلها، و هم الخزنة. قال تعالی: وَ سِیقَ الَّذِینَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَی الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّی إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَیْکُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِینَ (الزّمر/ ۷۳). ۹- و منها القیام بشئون النار و أهلها، و هم الزّبانیة، قال تعالی: وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا

مَلائِكَةً .. (المدّثّر/ ۲۷) ۱۰- و منها حمل العرش، قال تعالى: وَ الْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ (الحاقّة/ ۱۷).

ثانيا) عالم الجن:

ثانيا) عالم الجن: عالم الجنّ عالم حقيقىّ كعالم الملائكة، و إنما سمّى الجن جنّا لاجتنانهم و اختفائهم عن الأنظار. و قد أرسل اللّه تعالى إلى الجن رسلا يبلّغونهم شريعته فقال: يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا .. (الأنعام/ ۱۳۰). و قد سمعوا القرآن و دعوا بعضهم للإيمان به: وَ إِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَ إِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ. يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللَّهِ وَ آمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ (الأحقاف/ ۲۹- ۳۱). و الجن أصناف منهم المؤمن، و منهم الكافر و يسمّى شيطانا. قال تعالى على لسانهم: إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً .. وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۶۳ فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً، وَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً (الجن/ ۱- ۱۵). و قد نصب الشيطان نفسه عدوّا للإنسان يأمره بالشر و ينهاه عن الخير. قال تعالى: إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا .. (فاطر/ ۶). فإذا شعر الإنسان بوسوسة الشيطان استعاذ باللّه من الشيطان الرجيم، قال تعالى: وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ (الأعراف/ ۲۰۰).

ثالثا) الوحى:

ثالثا) الوحى: قبل الانتقال إلى بحث الأنبياء و الرسل أرى من المفيد توضيح ظاهرة الوحى التى مرّ ذكرها أثناء الحديث عن نزول القرآن، و لأن كثيرا من الموتورين يحاولون تأويل ظاهرة الوحى، مع أنهم لا يشككون فى خطاب أىّ نبىّ من الأنبياء إلّا فى خطاب محمد صلّى اللّه عليه و سلم، و هذا ما يؤكد سوء نواياهم. قال تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ (النساء/ ۱۶۳). و قال أيضا: ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ، إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ. (الشورى/ ۵۱). و مما يستفاد من هذه الآية أن الوحى للرسل و الأنبياء على ثلاثة أنواع: أ- الوحى الذى يكون بلا كلام مسموع. ب- ما كان بسماع الكلام الإلهى، و لكن من غير رؤية للمتكلم، و ذلك كما حصل لسيدنا موسى فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ يا مُوسى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ .. (طه/ ۱۱). ج- ما يكون بواسطة إرسال ملك ترى صورته و يسمع كلامه، و الملك الموكّل بذلك هو جبريل عليه السلام. أما كيف كان تلقى الرسول للوحى، فقد روى البخارى عن عائشة رضى اللّه عنها أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول اللّه من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۶۴ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم جاءه جبريل بغتة فى غار حراء، و أخذ يضمه إليه بقوة ثلاث مرات، و كان يقول له: اقرأ، فيجيب الرسول: ما أنا بقارئ. ثم جاءه بعد ثلاث سنوات تقريبا و هو يسير فى شعاب مكة.» و روى البخارى عن جابر بن عبد اللّه قال- و هو يحدث عن فترة الوحى- فقال فى حديثه: بينما أمشى إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى جالس على كرسى بين السماء و الأرض، فرعبت منه فرجعت، فقلت: زمّلونى، أو دثّرونى، فأنزل اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ ... (المدّثر/ ۱- ۳) ثم تتابع الوحى بعد ذلك» «۱» و كان الوحى ينزل على الرسول على حالات مختلفة منها الإلقاء فى القلب، و منها أنه يتمثل له رجلا فيكلمه، و قد كان جبريل يأتى الرسول أحيانا بصورة رجل أعرابى فيكلمه، و يسأله، و يلقى إليه ما يريد إلقاءه بكلام واضح مفهوم، و يرى الصحابة ذلك الأعرابى، و يسمعون كلامه، و لكنهم لا يعرفونه أنه جبريل. و إذا كان الرسول يرى الملك و لا يراه أحد سواه، فإن من

اليسير على الخالق الذى خلق العيون المبصرة أن يزيد فى قوة من شاء منها فيرى ما لا تراه العيون الأخرى.

(_____ ۱) أخرج الحديث البخارى فى كتاب بدء الوحى، الباب ۱۲. و انظر توضيح ظاهرة الوحى فى كتاب: كبرى اليقينيات الكونية، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى، ص- ۱۷۸- ۱۸۴. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۶۵

البحث الثالث الإيمان بالرسل و الأنبياء

البحث الثالث الإيمان بالرسل و الأنبياء النبوّة تعنى وصول خبر من اللّه تعالى إلى أحد خلقه، عن طريق الوحى، و إعلامنا أنه نبى. فهى علاقة بين الخالق و النبى، و هى علاقة الخبر و الإنباء. و الرسالة تعنى تكليف اللّه تعالى لأحد عباده بإبلاغ الناس بشرع. فالرسالة بيان للعلاقة التى بين اللّه و النبى و الناس. و الذى عليه جمهور العلماء أن النبى هو إنسان أوحى إليه بشرع، سواء أمر بتبليغه للناس أم لم يؤمر. و الرسول هو إنسان أوحى إليه بشرع و أمر بتبليغه للناس. فكل رسول نبى، و ليس كل نبى رسولا. «۱» و الإنسان المؤمن باللّه خالقا لا يرى فى الإيمان بالنبوّة وصلة الأنبياء باللّه حاجة إلى تأويل و توفيق، إذ اقترنت النبوّة بالنصوص القرآنية التى آمن بها و بأنها من عند اللّه سبحانه و تعالى. و لطالما عرفنا عند الحديث عن الفطرة التى فطر اللّه الناس عليها أن الإنسان قد يضلّ بالاهتداء إلى الخالق، فكان من رحمته تعالى بعباده أن يرسل إليهم رسلا يرشدونهم إلى خالقهم. فالخالق علم أن الإنسان لن يستعمل عقله كثيرا فى مجال الإيمان، و لو استعمله و وصل إلى الإيمان، فإنه لن يدرك وظيفته فى الدنيا التى وظفه اللّه تعالى إياها. لهذا كان يرسل إلى كل أمة و لكل زمان رسولا يرشدهم إلى خالقهم و إلى ما لا يقع تحت مشاهداتهم و لا يمكن أن يتوصلوا إليه بالنظر و التأمل كما فى أمور الملائكة و الآخرة. قال تعالى_____:

(۱) مبادئ العقيدة الإسلامية، د. مصطفى الخن، ص- ۱۹۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۶۶ وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ، وَ لكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ .. (آل عمران/ ۱۷۹). و قال أيضا: رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ .. (النساء/ ۶۵). و إذا تتبعنا آيات القرآن المتعلقة بالأنبياء و الرسل عرفنا أن أول نبى أرسله تعالى مؤيّدا بالوحى و الأحكام هو: آدم عليه السلام. و آخر نبى هو محمد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، بدليل قوله تعالى: ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ ... (الأحزاب/ ۴۰). و الأنبياء الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم خمسة و عشرون نبيا. و هناك أنبياء لم يرد ذكرهم بدليل قوله تعالى: وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ (النساء/ ۱۶۴). و قوله أيضا وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ (فاطر/ ۱۲۴). كما تشير الآيات القرآنية إلى النتائج التالية: ۱- النبوّة واحدة: لا تختلف بين نبى و آخر، لقوله تعالى: آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ... لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ .. (البقرة/ ۲۸۵). أما دعوى الخلاف بين الأنبياء إن هى إلا و هم صنعه المتاجرون فى الأديان. و قد أظهر محمد صلّى اللّه عليه و سلم أنه مرسل لتكملة البناء الذى تعهّده من سبقوه، فقال: «مثلى و مثل الأنبياء من قبلى، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه و أجمله، إلّا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به و يعجبون له و يقولون: هلّا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا تلك اللبنة و أنا خاتم النبيين.» «۱». و الدين الذى جاء به الأنبياء هو الإسلام بدلالات آيات كثيرة، منها: ما جاء

(_____ ۱) حديث صحيح أخرجه البخارى (۶/ ۴۳۶)، و مسلم (۷/ ۶۴) من حديث أبى هريرة. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۶۷ على لسان نوح عليه السّلام: وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (يونس/ ۷۲). و إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام قالا: رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ .. (البقرة/ ۱۲۸). و فى شأن إبراهيم و بنيه، و يعقوب و بنيه جاءت الآيات (۱۳۰- ۱۳۲/ البقرة)، و فى شأن يوسف عليه السلام جاءت الآية: (۱۰۱/ يوسف)، و فى شأن موسى عليه السلام: (۸۴/ يونس)، و فى شأن عيسى عليه السلام و حواريه (۵۲/ آل عمران) و

هكذا .. ۲- جميع هؤلاء الرسل دعوا إلى التوحيد: سبق أن قلنا أن الإيمان أصل فى عقيدة الإنسان، و من رحمة الخالق أنه كلّما ضلّ الناس أو ادخلوا الشرك فى الدين بعث فيهم رسولا يهديهم إلى جادة الصواب و يدعوهم إلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد. و الآيات الدالّة على الدعوة إلى التوحيد كثيرة، منها: لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ (الأعراف/ ۵۹). و منها: وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ (الأعراف/ ۶۵)، و مثلها الآيات: (۷۳ و ۸۵/ الأعراف، و ۱۱۶ و ۱۱۷/ المائدة) و غيرها كثير. ۳- هناك فوارق بين نبوّة محمد صلّى اللّه عليه و سلم و من سبقه من الأنبياء من أبرزها أنه بعث إلى الناس كافّة، لا لقوم أو أمة، كما رأينا فى الآيات التى مرت معنا قبل قليل، قال تعالى: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ (الأنبياء/ ۱۰۷). و خاطبه الخالق بقوله: قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ .. (الأعراف/ ۱۵۸). فرسالته صلّى اللّه عليه و سلم عمومية. ۴- الرسل قدوة حسنة؛ لقوله تعالى: أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ (الأنعام/ ۹۰). و المراد بالآية الاقتداء بمن سبق ذكرهم من الأنبياء فى الآيات الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۶۸ التى سبقت هذه الآية و هى الآيات (۸۴- ۸۹/ الأنعام) من حيث الدعوة إلى الإيمان باللّه و توحيده و السلوك الحسن. و أعجب من الذين يدّعون الإسلام و يروّجون بعض القصص الإسرائيلية التى تسيء إلى سمعة الأنبياء و سلوكيتهم. و هم فى حقيقة الأمر أشد عداوة للإسلام من اليهود أنفسهم، لأنهم أخذوا عن اليهود و هاجموا الإسلام و المسلمين داخل صفوفهم. آمنوا برسالة موسى و عيسى، و صدّقوا ما جاء فى العهد القديم و الجديد، و طعنوا برسالة محمد صلّى اللّه عليه و سلم، هذه الرسالة التى جعلت فى صلب العقيدة الإيمان بعصمة الرسل و الأنبياء. فالإسلام ينذر من يتّهم بريئا أو يقذف مؤمنا وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (النساء/ ۱۱۲) «۱» فكيف بمن يتهم الرسل و يقذفهم بما هم برآء منه؟ «۲» ۵- يجب الاعتقاد بأن اللّه تعالى جهز أنبياءه و رسله بمعجزات تبين صدق دعوتهم، منها تأييد موسى ضد فرعون و السحرة، و تأييد عيسى بمعجزات طبية. و أوضحنا فى الباب الأول أن معجزة الرسالة الأخيرة لا تنفصل عن جوهرها و باقية إلى قيام الساعة. بينما المعجزات الأخرى أصبحت أخبارا تذكر.

(_____ ۱) للدكتور «البوطى» بحث مطول حول مؤامرات الغربيين على سيرة محمد (ص) و نبوته، فى الصفحات ۲۰۴- ۲۳۰ من كتابه كبرى اليقينيات الكونية. كما شرح الدكتور «الخن» فى الصفحات ۱۹۵- ۲۸۲ معنى الرسالة و النبوة و الحاجة إلى الرسل، فى كتابه: مبادئ العقيدة الإسلامية. (۲) يمكن الرجوع إلى سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر، و الإصحاح ۱۱ و ۱۲ من سفر صموئيل الثانى، و إلى الإصحاح ۱۶ من سفر صموئيل فقرة ۲۲ لملاحظة كيف جعل اليهود من الأنبياء: إبراهيم و لوط و داود و غيرهم مقترفى آثام. أو الاطلاع على الصفحة (۱۰۹) و ما بعدها من كتاب «الإسلام» للعطار. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۶۹

البحث الرابع الإيمان بالكتب السماوية

البحث الرابع الإيمان بالكتب السماوية لقد استخلف اللّه تعالى الإنسان فى الأرض، و سخر له من القوى و الطاقات ما يمكنه من إدراك الجوانب اللازمة له فى الخلافة من النواميس الكونية. و لكن القرآن الكريم صوّر لنا فى نفس الوقت ضعف الإنسان و خضوعه للإغراء و الشهوات: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ، ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا .. (آل عمران/ ۱۴). «و تتواتر الإشارات إلى جهل الإنسان بأمر نفسه و مستقبله و مصيره و مآلات أفعاله، مع تأثره بالشهوات و بالهوى و بالضعف، بحيث لا يصلح لأن يتولّى وضع منهج لحياته هو، و إن كان مزوّدا بالقدرة على استخدام المادة و معرفة قوانينها اللازمة له فى الخلافة، فى إطار المنهج الذى رسمه اللّه لحياته وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا .. (الروم/ ۶ و ۷). و هناك آيات أخرى تجيء غالبا تعقيبا على التشريعات و التوجيهات التى يسنها اللّه للناس و يخبرهم معها أنهم لا يستطيعون أن يشرّعوا لأنفسهم ..» «۱» فالإنسان مهما ارتقى عقله يبقى محدود التفكير، لذا نرى جميع

القوانين الوضعية ناقصة، فتأتى الحوادث لتكشف ذلك للناس، فيحاول رجال القانون تعديلها أو إكمالها بين حين و آخر.

(_____ ۱) الإسلام و مشكلات الحضارة، سيد قطب، ص- ۲۳. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۷۰ ثم إن الإنسان يذعن للقانون الإلهى بنفس راضية إذا كان مؤمنا باللّه خالق البشر و العالم بأحوالهم و مصالحهم: يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ (غافر/ ۱۹)، فالإيمان باللّه يطمئنه إلى عدالة خالقه و حكمته. و مما ورد فى القرآن حول ما أنزله اللّه تعالى على رسله: ۱- أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِما فِي صُحُفِ مُوسى وَ إِبْراهِيمَ الَّذِي وَفَّى .. (النجم/ ۳۶ و ۳۷). و جاء أيضا إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى .. (الأعلى/ ۱۸ و ۱۹)، و هاتين الآيتين تفيدان ما أنزل اللّه تعالى على سيّدنا إبراهيم. ۲- إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ .. (المائدة/ ۴۴) و التوراة الكتاب المنزل على سيدنا كما أفادت آيات أخرى. ۳- وَ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ، وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَ نُورٌ .. (المائدة/ ۴۷). ۴- وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً (النساء/ ۱۶۳). ۵- إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (الإنسان/ ۲۳). فكما أنزلت الصحف على سيدنا إبراهيم، و الزبور على سيدنا داود، و التوراة على سيدنا موسى، و الإنجيل على سيدنا عيسى، أنزل القرآن على محمد صلّى اللّه عليه و سلم. و دلّت الآيات على ضرورة الإيمان بهذه الكتب السماوية، و بأنها جميعها دعت إلى عبادة اللّه وحده قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ، وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا، وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ، وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (البقرة/ ۱۳۶). و نظرا لتقادم العهد فقد اندثر بعضها، و جرى التحريف على البعض الآخر، الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۷۱ فجاء القرآن منبّها إلى ذلك بقوله: مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ .. (النساء/ ۴۶). و من تنبيهات القرآن للتحريف: وَ مِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ .. (المائدة/ ۱۴). و الآيات ۴۸ و ۴۹ و ۵۰ من سورة المائدة تؤكد التالى: - تصديق القرآن للكتب السماوية السابقة. - تبيين ما تتفق به الشرائع و تختلف. - عدم إتباع الأهواء فى الحكم. - الإعراض عن حكم الجاهلية، و بنفس الوقت إنكار ما دخل الكتب السابقة من تحريف. و قد أشار عدد من الباحثين إلى هذا التحريف، و عدم محافظة اليهود على ديانة التوحيد الإلهية، و عدم خضوعهم لشريعة التلمود. و قد أثبت الأستاذ «أحمد عبد الغفور العطار» فى كتابه «الإسلام» بعض نصوص التوراة و أخرى مما جاءت فى التلمود، للدلالة على بشاعة الوثنية التى دخلت اليهودية حتى أفسدتها و أزالت عقيدة التوحيد منها إلى درجة أصبح من المتعذر التمييز بين الصحيح و الزائف. كما أن القرون التى مرّت بالمسيحية حتى بعثة محمد صلّى اللّه عليه و سلم بعدت بها عن حقيقتها و جوهرها، بحيث أصبحت قائمة على التثليث و التجسيد اللذين يقضيان على التوحيد. و مما قاله فى هذا الشأن: «و اختفى بعد المسيح إنجيله الحق، و قد نقض بولس رسالة المسيح نقضا، و من جاءوا بعده هدموها هدما. حتى قال الكاتب الإيرلندى المشهور «برنارد شو»: إن القس الشهير «دين إنج» قال: لقد شوّه بولس تعاليم راعينا حتى لكأنه أعاد صلبه مقلوبا برأسه إلى أسفل. و يقول «بيرى» فى كتابه العقائد فى العالم: بعد صلب المسيح ذاب أتباعه، و اختفت دعوته .. فبولس فى الحقيقة مؤسس المسيحية، الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۷۲ و قد أدخل بعض تعاليم اليهود ليجذب إليها عامّتهم، كما أدخل صورا من فلسفة الإغريق ليجذب أتباعا له من اليونان .. و هذه الشواهد تبرهن على أن ما يسمى: «المسيحية» ليست مسيحية المسيح عليه السلام.» «۱» قال تعالى: وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ فما أنزل على سيدنا عيسى إنجيل واحد، لا عدة أناجيل. و قد أشار العالم «أحمد ديدات» بعد إسلامه إلى التحريف الذى لحق بالإنجيل، بدءا من وجود أربعة أناجيل رئيسية، إلى تعدد النسخ، و تعديلها بين فترة و أخرى، و أقام الحجج و الدلالات. مقتبسا تصريحات من علماء النصارى تقيم برهانا على أن الكتاب المقدس ليس كلام اللّه. فالدعوة إلى عقيدة التوحيد هى أصل فى الكتب السماوية، نبّهت إليها آيات كثيرة، منها: وَ اذْكُرْ أَخا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقافِ وَ قَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ... (الأحقاف/ ۲۱). و مثلها الآيات (۱- ۳/ نوح) .. كما تتفق فى الدعوة إلى مكارم الأخلاق. أما أحكام الفروع الفقهية و التنظيمية فتختلف فيها من زمان إلى آخر، فقد قال تعالى: لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً (المائدة/ ۴۸). و لكن حين دخلت البشرية طور الاكتمال العقلى، و أرسل اللّه تعالى

محمدا خاتم الأنبياء و المرسلين، أرسل معه الشريعة العامة الصالحة لكل زمان و مكان قائلا فيها: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً (المائدة/ ۳). و قال أيضا أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ، وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (النمل/ ۹۲). و فى القرآن ما يدل على عظمة هذه الرسالة، إلّا أن ضعف إيمان المسلمين سببه عدم فهمهم لكلام اللّه تعالى و الاهتداء بهديه (_____. ۱) الإسلام، ص- ۶۹. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۷۳

البحث الخامس الإيمان باليوم الآخر

اشارة

البحث الخامس الإيمان باليوم الآخر قلنا إن الإيمان باللّه يحتّم علينا الإيمان بكل ما جاء عنه فى كتابه الحكيم و على لسان نبيّه، و لو لم تفهمه العقول أو تدركه الأبصار و الحواس. و الإيمان باللّه مقرون بالإيمان باليوم الآخر فى آيات كثيرة. و هو اليوم الذى يبعث فيه اللّه تعالى الخلائق للحساب و الجزاء. و هو تحقيق لصفة من صفات اللّه تعالى و هى العدل. و هذه الصفة تستدعى أن لا يسوّى بين المحسنين و المسيئين فى هذه الحياة الدنيا، و لا بين المصلحين و المفسدين. و من أدلة هذا الركن الإيمانى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ، وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً (النساء/ ۱۲۶). و إذا كان البعض قد أنكر هذا الركن لأنه مخالف للمعتاد و المألوف، فقد أشار اللّه تعالى إلى استبعاد المنكرين فى مواضع عديدة، منها قوله: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ .. (الحج/ ۵۵). و قال أيضا: قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ؟ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (يس/ ۷۸ و ۷۹).

و لليوم الآخر أحوال:

۱- حقائق تتعلق بالموت:

۱- حقائق تتعلق بالموت: فالموت حقيقة مشاهدة، محسوسة، لا يستطيع أحد إنكارها. و حكمته تعالى اقتضت أن يكل قبض الأرواح إلى ملك الموت، بدليل الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۷۴ قوله: الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ .. (النساء/ ۹۷). و قوله: حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ (الأنعام/ ۶۱).

۲- حقائق تتعلق فيما بعد الموت:

۲- حقائق تتعلق فيما بعد الموت: و أوّلها عذاب القبر، و سؤال الملكين. و الحياة بين الموت و البعث للحساب تسمى عالم البرزخ. و ثانى هذه الحقائق: قيام الساعة وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (يس/ ۵۱). يقول «ابن القيّم»: «فلهذه الأنفس أربع دور، كل دار أعظم من التى قبلها؛ الدار الأولى فى بطن الأم، و ذلك الحصر و الضيق و الغم و الظلمات الثلاث. و الدار الثانية هى الدار التى نشأت فيها و ألفتها، و اكتسبت فيها الخير و الشر، و أسباب السعادة و الشقاء. و الدار الثالثة هى دار البرزخ، و هى أوسع من هذه الدار، بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلى الأولى. و الدار الرابعة دار القرار، و هى الجنة أو النار.» «۱» و الساعة من أسماء يوم

القيامة لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ (الأعراف/ ۱۸۷). فإذا جاء أمر اللّه انتشر الناس للتقاضى وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً. اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً فهذه أعمال كل إنسان مسجلة فى كتاب يقرأه حتى من لم يكن قارئا. قال تعالى: هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (الجاثية/ ۲۹). و قد أوضح لنا طريقة الاستنساخ بقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (النور/ ۲۴) و لم يعد هذا الأمر مستغربا كما كان فى الزمن القديم بعد أن رأينا التقدم العلمى الهائل فى أجهزة التسجيل و العرض الحديثة. كما أخبرنا تعالى بأن خزنة الجحيم لا يلقون أحدا فى النار حتى يأخذوا منه اعترافا باستحقاقه للعذاب حيث قال:

(_____ ۱) الروح، ص- ۱۱۸. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۷۵

كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ؟ قالُوا: بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَ قُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ، إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ. وَ قالُوا: لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ (الملك/ ۷). بمثل هذه الآيات ثبت عدل اللّه فى أحكامه، و رسخ الإيمان بالحساب و العقاب فى اليوم الآخر فى قلوب عباده المؤمنين. و لقد أتى المرحوم: سيد قطب «فى كتابه (مشاهد القيامة فى القرآن) على تحليل المشاهد التى جاءت فى القرآن الكريم، و علّق عليها تعليقا مدهشا .. و حلل مشاهد كثيرة عن نهاية الحياة الدنيا و بدء الآخرة، و سورة الدهر (الإنسان)، و أواخر سورة الزّمر، ثم انتقل إلى أهوال القيامة بتحليل سورة التكوير. و أنهى الكلام عن الإيمان باليوم الآخر ببيان فوائد هذا الإيمان و آثاره التى فيها صلاح الفرد و المجتمع: ۱- تقويم سلوك الفرد؛ لأن من يعلم أن هذه الحياة ليست إلا فصلا قصيرا من قصة الحياة الكاملة، و فى نهاية الفصل سيقف بين يدى خالقه يحاسبه على ما قدم فى دنياه سيسعى نحو طاعة خالقه: يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها، وَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (النحل/ ۱۱۱). هذا الفهم يدفعه إلى عمل الخير الذى يعود على نفسه و على أمته لا- يخاف فى اللّه لومة لائم: يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (الشعراء/ ۸۸). ۲- الحث على الصبر و تحمل الشدائد أمام الأزمات، لأن المؤمن يعلم أن ما فاته من نفع دنيوى سيعوّضه اللّه عليه بمثوبة كريمة فى الآخرة، فيهدأ باله. ۳- تعميق الإيمان بعدل اللّه تعالى فالمجرم الذى يفلت من العدالة فى الدنيا، لا بد و أن تناله يد العدالة الإلهية فى الآخرة، قال تعالى: وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (الروم/ ۱۲). ۴- تعميق الإيمان بأن هذه الحياة الدنيا ليست هى كل شىء، و ليست فى الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۷۶ ذاتها غاية، و إنما هى الدار الثانية كما قال ابن القيّم، بل هى أشبه ما تكون بفصل فى رواية كان لها بدء قبل الميلاد و سيكون استمرار بعد الموت. أجل فهذه الحياة مزرعة للدار الآخرة: قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ، وَ إِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ، فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ، وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ (آل عمران/ ۱۸۶). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۷۷

خلاصة و نتيجة

خلاصة و نتيجة عرفنا فى هذا الفصل معانى الأيمان، و أثر العقل و التفكر و العلم فى زرع العقيدة الصحيحة فى قلوب الناس، منوّهين إلى أن الإيمان الأقوى هو المرتكز على العلم و البرهان. و أتينا على أركان الإيمان و ضرورة تمثلها بدءا من الإيمان باللّه تعالى، و صفاته الكاملة، لما فى الإيمان به جلّ شأنه من جوانب إيجابية كثيرة على الإنسان تظهر فى أمور كثيرة منها: - هداية القلب، بدليل قوله تعالى: وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ (التغابن/ ۱۱). - تربية الضمير، و هو الوازع النفسى الذى يكون للإنسان بمثابة مرشد لسلوكه فى الحياة يبصّره بعواقب أفعاله. إذ من الثابت أنه من أكبر مقوّمات الضمير؛ الاعتقاد بإله قادر «يعلم خائنة العين و ما تخفى الصدور» و يحاسب على الكبائر و الصغائر. - تحرير النفس البشرية من قيودها المادية، و الحئول بين المرء و اقتراف المعاصى. و أتينا على فوائد الإيمان فى كل ركن من أركان الإيمان و فصلنا ذلك فى ختام الحديث عن اليوم الآخر و آثار ذلك فى صلاح الفرد و المجتمع. بعد هذا يجب أن نعلم أن الإيمان الكامل أوسع مما استعرضنا بكثير. فقد روى عن أبى هريرة عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم قال: «الإيمان

بضع و سبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلّا الله، و أدناها إماطة الأذى من الطريق، و الحياء شعبة من الإيمان» «۱». فمن شعب الإيمان: الصلاة، و الزكاة، و الصوم، و الحج، و الجهاد، و الوضوء، و الصبر، و الشكر للّه على نعمه التى لا تعد و لا تحصى. و قد روى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «إذا رأيتم الرجل يتعاهد

(_____ ۱) أخرجه مسلم، و ذكره مختصر مشكاة المصابيح تحت رقم ۲۴ ص- ۴۹. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۷۸ المساجد فاشهدوا له بالإيمان، فإن اللّه تعالى يقول: إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسى أُولئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (التوبة/ ۱۸)» «۱» و أنهى الكلام بما ورد عن عبد اللّه بن مسعود عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم قال: «ما من نبىّ بعثه اللّه فى أمّة قبلى إلا كان له من امّته حواريّون و أصحاب يأخذون بسنّته و يقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، و يفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، و من جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، و من جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، و ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». «۲»

(_____ ۱) أخرجه الترمذى، و جاء فى: مختصر مشكاة المصابيح تحت رقم ۱۹، ص- ۴۸. (۲) رواه مسلم، و جاء فى المصدر السابق برقم ۱۸/ ۴۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۷۹

الفصل الثانى العبادات صلة الإنسان مع الخالق

مقدمة

مقدمة ما من عاقل فى هذه الحياة إلّا و يفكر فى السعى لتحقيق مستقبل أفضل لحياته و معيشته، ثم يجد و يكدح من أجل تحقيق ما خطط له. و إذا أراد سفرا سعى لتأمين الزاد اللازم و الملائم. و الإنسان الذى آمن باللّه خالقا و مدبّرا، و باليوم الآخر مآلا، أيقن أن حياته على هذه الأرض مرحلة انتقالية، تليها مرحلة خالدة فيها نعيم مقيم أو عذاب أليم. و الخطة المستقبلية لنحظى بالنعيم رسم لنا خالقنا خطوطها الرئيسية فى النهج القرآنى الذى عرفناه و عرفنا أسراره فآمنا به. و من خطوطها الأولى: ۱- قوله تعالى: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (الذاريات/ ۵۶). «أصل العبادة فى اللغة: التذليل، من قولهم؛ طريق معبّد أى مذلّل بكثرة الوطء عليه. و العبادة و الخضوع و التذلل و الاستكانة قرائب فى المعانى .. و كل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة، طاعة كان للمعبود أو غير طاعة. و كلّ طاعة للّه على جهة الخضوع و التذلل هى عبادة .. و العبادة نوع من الخضوع لا يستحقه إلّا المنعم بأعلى أجناس النعم، كالحياة و الفهم و السمع و البصر.» «۱». و النتيجة: العبادة خضوع و التزام بمنهج اللّه تعالى. ۲- فى بداية الباب الثانى تعرّضنا إلى الآيات الأولى من سورة البقرة: ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ... و قد شرحنا فى الفصل السابق الجانب المتعلق بالإيمان، أما موضوع الصلاة و الزكاة فهما من العبادة التى قصدتها الآية السابقة. ۳- العبادات التى أنشأها الإسلام تكاد تكون محدودة فى عدد من الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى:

(_____ ۱) المخصص، (۱۳ / ۹۶). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۸۲ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحابَ الْيَمِينِ فِى جَنَّاتٍ يَتَساءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ، ما سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ؟ قالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ، وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (المدّثّر/ ۳۸). من خلال الآيات المذكورة و مثيلاتها نلاحظ أمرين: أوّلهما؛ أن العبادات التى أمرنا الخالق بها ليست كثيرة الإرهاق، و إنما هى أشبه بكثرة الأغذية التى يحتاجها الجسم و تحفظ صحته. و ثانيهما تعدد ألوان التثقيف و التهذيب المنسجمة مع واقع الطبيعة الإنسانية.

بمعنى أن المنهج القرآنى لا يتضمن فصلا خاصا بالعقيدة، و فصلا خاصا بالخلق، و آخر للمجتمع .. بل ينظر للإنسان و هو يتقلب فى هذه الحياة و يواجه شئونها، ثم يسوق له الأوامر جامعة، كما فى قوله تعالى: قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ؛ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً، وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ، وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ، وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ، لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها، وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. (الأنعام/ ۱۵۱ و ۱۵۲). هذا نموذج للجمع بين العقائد و العبادات و المعاملات، و هذا هو مفهوم العبادات بالمعنى العام، و من ذلك قوله: وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ، وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ (سورة العصر). فاللّه تعالى أقسم بالدهر الذى هو زمن الأعمال الرابحة على أن كل إنسان خاسر إلّا إذا أكمل قوته العلمية بالإيمان باللّه، و قوّته العملية بطاعة اللّه: مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً .. (النحل/ ۹۷). ففى هذه الآية و ما ماثلها يقرن اللّه تعالى العمل الصالح الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۸۳ بالإيمان، كما ذكره فى أكثر من خمسين موضعا فى القرآن، و يخبرنا أنه يجازى الرجل الصالح و المرأة الصالحة اللذين يعملان فى هذه الحياة بطاعة اللّه و ابتغاء مرضاته بجزاء عاجل فى هذه الحياة الدنيا، و هو الحياة الطيبة السعيدة، و جزاء آجل بعد الموت، و هو نعيم الجنة الخالد. و الإيمان المقصود هو الإيمان الدينى الحقيقى الذى أتينا على أركانه فى الفصل السابق. «أما الصالحات فهى الأعمال التى يهتدى بتنفيذها بالمنهج الإلهى نظاما متكاملا من التكاليف الشرعية التى تتضمن الأمر بفعل واجبات معينة، و الحض على فعل مندوبات معينة، و النهى عن فعل محرمات معينة، و استحسان ترك مكروهات معينة، و إجازة فعل أو ترك المباحات التى هى الأصل، فى مجالات العبادة الثلاثة (المعنوى، و الشعائرى، و العملى) ..» «۱». و قال بعض المفسرين بأن الصالحات: (كل ما استقام بدليل العقل و الكتاب و السنة). و فسرها آخرون بأنها: (طاعة اللّه، و إقامة حدوده، و أداء فرائضه، و اجتناب محارمه). و لا خلاف بين التفسيرين. و لطالما تحدثنا عن العقيدة بشكل مستفيض فى الفصل السابق، فسنخصص الفصل الأخير للحديث عن المعاملات، و نتناول العبادات بمعناها الخاص فى الفصل الحالى. فالعبادات بالمعنى الخاص تعبير إيجابى عن العقيدة، و أسلوب عملى لتوثيق صلة الإنسان بخالقه. و قد اصطلح الفقهاء على أن المقصود بكلمة عبادات: (أركان الإسلام) لأنها رأس تلك العبادات. لذا جعلت هذا الفصل فى ستة أبحاث؛ الأول للتعريف بمعانى الإسلام و مصادره الأصلية، يلى ذلك أركان الإسلام، و لكل ركن منها بحث مستقل.

(_____ ۱) مدخل إلى نظرية الأمن و الإيمان، م. عبد الوهاب المصرى. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۸۴

البحث الأول الإسلام و مصادره الأساسية

اشارة

البحث الأول الإسلام و مصادره الأساسية قال تعالى: فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (النساء/ ۶۵).

الإسلام لغة

الإسلام لغة ؛ معناه الاستسلام و الانقياد، و الطاعة مطلقا.

الإسلام اصطلاحا

الإسلام اصطلاحا ؛ هو الطاعة و الانقياد و الاستسلام للّه تعالى وفقا لما ورد فى القرآن الكريم الذى احتوى هذا الدين. و مجمل الدين يعود إلى أمرين: عقيدة، و شريعة. أما العقيدة فقد أتينا على توضيح معانيها. و أما الشريعة فمحلها الجوارح، و اختصت باسم الإسلام. فكلمة الإسلام تخص الأعمال الظاهرة، كما أن كلمة الإيمان تخص الأعمال الباطنة. و هذه الأعمال الظاهرة عبادة تعبر عن علاقة مباشرة بين الإنسان و خالقه. تفتح أمام الإنسان باب التحرر من آثار العبودية للآخرين، أو استعباد غيره من المستضعفين: قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ، أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ، وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آل عمران/ ۶۴). العبادة المفروضة على الإنسان تجاه خالقه- كى يكون إيمانه باللّه تعالى و برسوله محمد صلّى اللّه عليه و سلم صحيحا- عليه أن يتلمّسها فى كتاب اللّه الذى ارتضاه له منهجا. و قد أجمع المسلمون على اختلاف نزعاتهم و آرائهم و مذاهبهم على أن القرآن الكريم هو المصدر التشريعى الأول للشريعة، و ما عداه من المصادر إنما هو تابع له، أو فرع عنه ثبتت حجيته بالقرآن نفسه، فيكون اتباعه الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۸۵ و الاحتكام إليه و استنباط الأحكام منه إنما هو على سبيل المجاز لا- الحقيقة. و إلى هذا المعنى أشار الإمام الغزالى فى كتابه (المستصفى). و لئن جاءت الأحكام و العبادات مجملة فى القرآن، فقد فصّلتها سنة الرسول صلّى اللّه عليه و سلم، و لا بد من الالتزام بها لقوله تعالى: وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (الحشر/ ۹). و هذا الالتزام لا- يحتاج إلى مناقشة طالما قلنا إن العبادة انقياد و خضوع. «و لا مصلحة للمخلوق فى مناقشة أمارات العبادة و رسومها إلّا بمقدار ما يمسّه من نصب و إعياء، فإن له الحق فى طلب تكليفه بما يطيق .. فمتى قال الشارع: لا تصلّوا و أنتم محدثون حدثا أصغر أو أكبر، فإنه يجب علينا أن نمتثل بدون أن نقول له لما ذا؟. و إلّا فيصح أن نقول له: لما ذا نصلى؟. إذ لا فرق، فإنّ كلّا منهما عبادة له، جعلها أمارة من أمارات الخضوع. إنما الذى يصح أن نقوله: و إذا لم نقدر على الوضوء أو الغسل أو الصلاة فما ذا نفعل؟. و لذا شرع لنا التيمم، و الصلاة من قعود و اضطجاع و نحو ذلك مما نقدر عليه .. فالذى من حقنا هو الذى نسأل عنه، و الذى من حق اللّه وحده نؤديه دون مناقشة. و هذا بخلاف ما يتعلق بالمعاملات أو الأحوال الشخصية .. على أن بعض المفكرين من علماء المسلمين قال: إن كل قضية من قضايا الشريعة لها حكمة معقولة و سرّ واضح، عرفه من عرفه، و خفى على من خفى عليه. لا فرق فى ذلك بين المعاملات و العبادات.» «۱» أكّدنا على أن القرآن هو مصدر العبادات المفروضة على الإنسان، و لكن هل يستطيع كل مسلم أن يتلمّسها فى القرآن و أن يفهمها على وجهها الصحيح؟ الجواب على هذا السؤال يتطلب رجوعا إلى ما ذكرناه تفصيلا تحت عنوان: (ما لا- بدّ منه لفهم القرآن)، خاصة و أننا قلنا إن القرآن جاء مجملا- لكثير من الأمور، و لم

(_____ ۱) الفقه على المذاهب الأربعة، ص-

۲. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۸۶ يسلك سبل التفصيل إلّا فى بعضها، و قد تولّت السنة الشريفة بيانه و تفصيله. فالقرآن وضع الأحكام العملية عن طريق وضع أصولها غالبا، و الرسول كان يبلغ ما أوحى إليه، و يبين بقوله و فعله و أقضيته ما يلزم بيانه لفهم القرآن. فالالتزام بالعبادات يتطلب منا فهما للقرآن و السنة. و إذا كنا قد عرفنا فى الباب الأول أن القرآن هو اللفظ العربى المعجز الذى نزل وحيا على محمد صلّى اللّه عليه و سلم، فلنتعرّف على السنّة التى هى المصدر الثانى من مصادر الشريعة الإسلامية.

السنّة:

اشارة

السنّة: السنة لغة؛ هى الطريقة، و قد استعملها القرآن فى عدد من المواطن، و أراد بها الطريقة المتبعة و العادة المألوفة، من ذلك قوله

تعالى: سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا، وَ لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلًا (الإسراء/ ۱۷۷). و قوله تعالى: قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (آل عمران/ ۱۳۷). فهى بمثابة القوانين الكونية. أما فى صدر الإسلام فكان يعبّر فيها عن الطريقة العملية التى طبق بها الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و أصحابه مبادئ الدين و أحكامه. و السنة عند علماء الأصول هى: «ما أثر عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم من قول أو فعل أو تقرير. فالقول ما كان يخاطب به الناس معبرا عن قصده و مراده. و الفعل تلك التصرفات التى كان يقوم بها، كما فى الحج و شعائره. أما التقرير فهو أن يقرّ أمرا رآه من أحد الصحابة، فى حضرته، أو بلغه قولا أو فعلا، و ذلك بسكوت منه مع دلالة الرضا أو بإظهار استحسان أو قبول.» «۱» «الرجل الذى اصطفاه اللّه لإبلاغ الرسالة، كان مثالا لما صوّره القرآن من إيمان و إخبات، و سعى و جهاد، و حق و قوّة، و فقه و بيان. فلا جرم أن قوله و فعله

(_____ ۱) مصادر التشريع الإسلامى، د. محمد أديب صالح، ص- ۸۳. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۸۷ و تقريره و أخلاقه و أحكامه، و نواحى حياته كلها تعدّ ركنا فى الدين و شريعة للمؤمنين. إن اللّه اختاره ليتحدث باسمه و يبلغ عنه، فمن أولى منه بفهم مراد اللّه فيما قال؟. و من أولى منه بتحديد المسلك الذى يتواءم مع دلالات القرآن القريبة و البعيدة؟. إن تطبيق القانون لا يقل خطرا عن صياغته، و للقانون نص و روح. و عند علاج الأحداث المختلفة لتسير وفق القانون العتيد، تجدّ فتاوى، و تدوّن نصائح، و تثبت أحكام بعضها أقرب إلى حرفية النص، و بعضها أدنى إلى روحه، و هكذا .. و القرآن هو قانون الإسلام، و السنّة هى تطبيقه. و المسلم مكلف باحترام هذا التطبيق تكليفه احترام القانون نفسه. و قد أعطى اللّه تعالى نبيّه حقّ الإتباع فيما يأمر به و ينهى عنه، لأنه فى ذلك لا يصدر عن نفسه، بل عن توجيه ربه، فطاعته هى طاعة اللّه و ليست خضوعا أعمى لواحد من الناس ..» «۱». و الأدلة كثيرة على أن السنة حجة أساسية فى الدين و مصدر من مصادر الشريعة، أختار منها ما يلى: ۱- فى القرآن الكريم: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ (النساء/ ۸۰). و قال تعالى: وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (الحشر/ ۷). و قال أيضا: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْهِ ما حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ، وَ إِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا، وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (النور/ ۵۴). و مثل ذلك الآية (۶۵/ النساء). و طبيعى بعد هذا أن تكون طاعة الرسول واجبا دينيا لا حاجة فيه إلى دليل أو إقناع. و مع ذلك فالآيات (۱۳۲/ آل عمران) و (۱۳- ۱۴/ النساء) تضمنت تعليلا لهذه الطاعة، إنها لخير المسلمين و حياتهم و مصلحتهم. و حين يقول: وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ (البقرة/ ۱۷۹) يعلم الإنسان أن فى إحجامه عن قتل_____

(۱) فقه السيرة، محمد الغزالى، ص- ۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۸۸ غيره حياة له و لمن أراد قتله بل و حياة من قد تصيبهم الفتنة ممن يحاول الانتصار لذوى قرباه، فتمتد بذلك نيرانها بين العائلات، فجاء القصاص دواء شافيا و حجابا مانعا من وقوع الجنايات. و هكذا نرى تعليلا فى كثير من الأوامر الإلهية. ۲- فى السنّة: ثبت أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يأمر أصحابه أن يبلّغ الشاهد منهم الغائب ما يسمعون منه، و يحض على وعى ما يبلغهم إيّاه تمام الوعى. ۳- فى عمل الصحابة: فى حياة النبى و بعد وفاته ما يدل على أن الصحابة تمسكوا بسنة النبى، و اعتبروا أقواله و أفعاله و تقريراته أحكاما تشريعية امتثالا لأمر اللّه تعالى فى طاعة الرسول.

و للسنة مع القرآن الكريم ثلاث حالات

و للسنة مع القرآن الكريم ثلاث حالات : الأولى؛ أن يكون ما ورد فى السنة مطابقا لما ورد فى القرآن، فتكون فائدة السنّة التأييد و التأكيد. الثانية؛ أن يكون ما ورد فى السنة بيانا لما ورد فى القرآن، فتفصّل مجمله، و توضح مشكله. كما فى تفصيل مواقيت الصلاة و ركعاتها، فقال عليه الصلاة و السلام: (صلّوا كما رأيتمونى أصلّى) «۱». و قد يكون البيان بتخصيص عام القرآن، و مثال ذلك قوله

تعالى: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ (النساء/ ۱۱)، فجاءت السنّة مخصصة لهذا العموم لما روى مالك و أحمد و غيرهما عن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم قال: (ليس لقاتل ميراث)، و لما رواه أبو داود عن النبى قال: (لا يرث القاتل شيئا) «۲» فقصرت الأولاد على غير من يكون قاتلا لمورثه. و قد يكون البيان بتقييد مطلق القرآن، و مثاله: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما .. (المائدة/ ۳۸) فاليد هنا

(۱) انظر صحيح البخارى بحاشية السندى (۱/ ۱۲۵) (۲) لمزيد من التفصيل أنظر: تفسير الخازن (۱/ ۳۱۹- ۳۲۷). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۸۹ مطلقة، فجاءت السنة لتقييد هذا المطلق و تجعل القطع من الرّسغ، كما ثبت فى الحديث الصحيح. الحالة الثالثة: أن تشتمل السنة على حكم جديد، كما ورد فى تحريم السنّة للجمع بين المرأة و عمّتها، و المرأة و خالتها فى الزواج. «۱» و كى لا يختلط كلام اللّه تعالى بحديث الرسول أثناء نزول القرآن كان الرسول يمنع كتابة أحاديثه. و استجاب الصحابة لذلك، فقد ورد عن أبى سعيد الخدرى أن الرسول صلّى اللّه عليه و سلم قال: (لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن، فمن كتب علىّ شيئا فليمحه). «۲» «و ظلّ الأمر كذلك حتى كانت أيام عمر بن عبد العزيز الذى ولى الخلافة من سنة (۹۹- ۱۰۱ ه-)، و يذكرون أنه ظلّ يستخير اللّه تعالى أربعين يوما فى تدوين الحديث، فخار اللّه له. و أذن لأبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم «۳» فى تدوين الحديث، فدوّن ما كان يحفظه فى كتاب بعث به إلى الأمصار. كما أمر عمر بن عبد العزيز أيضا محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى شيخ مالك أن يدوّن الحديث فصنع فى ذلك كتابا ..» «۴». و ضمانا لصحة ما ورد عن الرسول صلّى اللّه عليه و سلم من فعل أو تقرير أو قول، وضع أئمة الحديث و علماؤه مناهج دقيقة للتفريق بين الأحاديث الصحيحة (۱)

لمزيد من التوضيح أنظر: الموافقات للإمام الشاطبى (۴/ ۱۶) ن و إعلام الموقعين (۲/ ۲۸۹). (۲) أصول الحديث- علومه و مصطلحه- ص- ۴۷. و صحيح مسلم بشرح النووى (۱۸/ ۱۲۹). (۳) كان أبو بكر قاضيا و واليا على المدينة، توفى سنة ۱۲۰ ه-. (۴) تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، ص- ۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۹۰ و غير الصحيحة، و رسموا القواعد التى تختبر بها كل رواية من روايات الحديث. «۱» و صدق القائل: «لم يشهد التاريخ الإنسانى بطوله و عرضه من التوثيق و الصدق و تحرى الحقيقة ما شهدته تلك الحقبة من تاريخ الإسلام و رجاله السابقين، حيث توفر على دراستها و تتّبع أبنائها جهد بشرىّ خارق، نهضت به أجيال متساوقة من علماء أفذاذ لم يدعوا من ذلك العصر الأول للإسلام همسة و لا خلجة إلّا وضعوها تحت مجاهر الفحص و أضواء الدراسة و النقد ..» «۲» و من الكتب التى بحثت فى هذا المجال كتاب: (أصول الحديث- علومه و مصطلحه) للدكتور محمد عجاج الخطيب، استعرض فيه القواعد و الأسس التى اتبعت فى قبول الحديث و ردّه، و فى تحمّله و أدائه. و بحث فى أحوال الرواة و الروايات و ما يترتب على ذلك من أحكام بين القبول و الرد. و قد جاءت أبحاثه مكملة لما جاء فى كتابه (السنّة قبل التدوين) الذى بحث فى اهتمام الأمة الإسلامية بالحديث قبل أن يودع فى أمهات مصنفاته المشهورة، و انتهى إلى أن السنّة قد حفظت على أحسن وجه منذ عصر الرسول حتى عصر التصنيف. كما فنّد بعض شبهات المستشرقين، و ردّ على بعض الآراء المشككة، و بيّن أنواع الأحاديث النبوية التى تقسم من حيث السند إلى: متواتر، و صحيح، و حسن، و ضعيف. أما أهم مصادر الأحاديث الصحيحة فهى: (۱) و هذا يذكّرنا بعبد اللّه بن المبارك (۱۱۸- ۱۸۱ ه-) الذى أدرك العهد الأموى و عاش حتى أيام هارون الرشيد. كان فقيها، عالما، ورعا، تقيّا، زاهدا، مجاهدا، ذكره ابن النديم فى الفهرست بين فقهاء المحدثين. اتفق الأئمة على توثيقه و إمامته، و قوله فى الحديث مقدم على سواه، فكان نقادا يفرق بين صحيح الحديث و سقيمه.- تذكرة الحفاظ (۱/ ۲۵۲)-. (۲) رجال حول الرسول، ص- ۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۹۱ - صحيح البخارى، و اسمه الجامع الصحيح «۱». - صحيح مسلم للإمام أبى الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى «۲»- سنن أبى داود لسليمان بن الأشعث الأزدى السجستانى (۲۰۲- ۲۷۵ ه-) «۳». - سنن الترمذى، و يسمى جامع الترمذى

«۴». - سنن النسائى، و يسمّى أيضا المجتبى «۵». - سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد بن ماجة القزوينى (_____ ۱) للإمام أبى عبد اللّه محمد بن إسماعيل بن المغيرة، البخارى (۱۹۴- ۲۵۶ ه-)، شهد له الأئمة بعلوّ منزلته، ترك نحو عشرين مؤلفا فى الحديث و رجاله، أشهرها الجامع الصحيح، و يعد أشهر كتب الحديث و أوثقها.- أصول الحديث، ص- ۳۱۰-. (۲) ترك نيّفا و عشرين مصنّفا فى الحديث و علومه، أهمها الجامع الصحيح، و ألفه فى خمسة عشر عاما، و اشتمل على ثلاثمائة ألف حديث مسموعة.- المصدر السابق، ص- ۳۱۴-. (۳) ترك مصنفات كثير فى الحديث خاصة و فى بعض علوم الشريعة بوجه عام، أشهرها كتابه: (السنن) الذى صنفه على أبواب الفقه.- المصدر السابق، ص- ۳۲۰. (۴) للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (۲۰۹- ۲۷۹ ه-)، ترك مؤلفات عديدة فى الحديث و غيره، أخرج فى كتابه (الجامع) الصحيح و الحسن و الضعيف و الغريب و المعلل، و كشف عن علّته، و بيّن درجة ما يخرجه، فكان كتابه مثالا مستقلا فى التصنيف. - المصدر السابق، ص- ۳۲۲. (۵) مؤلفه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على الخراسانى (۲۱۵- ۳۰۳ ه-) صنّف نحو خمسة عشر مؤلفا أشهرها كتابه السنن، ضمّ فيه الصحيح و الحسن و الضعيف، ثم استخلص الصحيح و سماه (المجتبى).- المصدر السابق-. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۹۲ (۲۰۹- ۲۷۵ ه-) «۱». نخلص مما عرضناه إلى القول بأن القرآن هو المصدر الأول فى فهم الشريعة الإسلامية. و لكن إذا كان تبيانا لكل شىء فهذا لا يعنى أنه أحاط بجزئيات الوقائع و نص على تفاصيل أحكامها. فالقوانين متناهية، و الحوادث غير متناهية. لذا جاءت السنّة تشرح، أو تكمل، أو تعلل. أما إن طرأ ما لم يتناوله القرآن و لا السنة، عند ذلك يتم اللجوء إلى المصدر الفقهى الثالث و هو الإجماع.

الإجماع:

الإجماع: و يستعمل الإجماع لغة فى معنيين: أولهما: إحكام النية و العزم، فقد قال تعالى: فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ (يونس/ ۷۱) أى اعزموا عليه. و قال عليه السلام: (من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له) «۲»، أى من لم يعزم عليه. ثانيهما؛ الاتفاق، و منه قولهم: أجمع القوم على كذا، أى اتفقوا عليه. «۳» أما فى الاصطلاح؛ فهو اتفاق مجتهدى الأمة بعد وفاة الرسول فى عصر من العصور على حكم شرعى فى واقعة من الوقائع. و فى الإجماع الصحيح لا بد من معرفة رأى كل واحد من المجمعين على الحكم الشرعى لقوله صلّى اللّه عليه و سلم: (لا- تجتمع أمتى على ضلالة) «۴». و من دلائل حجية الإجماع فى القرآن قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ .. (النساء/ ۵۹). و من ذلك (_____ ۱) صنّف فى التفسير و الحديث و التاريخ، أشهر كتبه (السنن)، حقّقه و خرّج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى.- المصدر السابق ص- ۳۲۶-. (۲) رواه الخمسة و غيرهم. (۳) لمزيد من التفصيل انظر: الوسيط فى أصول الفقه الإسلامى، د. الزحيلى، ص- ۲۷۸. (۴) أخرجه أحمد، و الطبرانى فى الكبير. (انظر: مصادر التشريع الإسلامى، ص- ۱۴۷.) الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۹۳ الآية (۱۱۵/ النساء). و من دلائل حجية الإجماع فى السنّة: ما تواتر عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم قال: (يد اللّه مع الجماعة)، و فى رواية: (يد اللّه على الجماعة، اتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذّ شذّ فى النّار) «۱» و لا بد للإجماع من سند يستند إليه من كتاب أو سنّة. و من الإجماع الذى كان سنده الكتاب ما حدث من الإجماع على عدم تقسيم سواد العراق بين الغانمين بعد الفتح، إذ استند عمر بن الخطاب على الآيات (۷- ۱۰/ الحشر)، فالآيات استوعبت الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له حقّ فيها، فإذا قسمت الأرض على المقاتلين لم يبق منها شىء لمن يأتى بعدهم، و لأضعف ذلك من قدرة المسلمين على الإعداد و الاستعداد فى المستقبل. و مما يعتبره العلماء إجماعا سنده السنّة؛ مسألة تحريم الجمع بين المرأة و عمّتها، بحديث أبى هريرة: (لا تنكح المرأة على عمّتها، و لا على خالتها، و لا على ابنة أخيها، و لا على ابنة أختها) «۲». يقول الشيخ محمد الغزالى: «الإجماع ليس اتفاق الناس على عرف ما، أو فكرة ما. إنما الإجماع أن ترد حقيقة شرعية

معينة، و أن يجيز العقل المجرد عدة صور لها أو أفهام فيها، و لكن هذه الصور و الأفهام انتفت تمام الانتقاء باتفاق المسلمين على قول واحد و عمل واحد. فالصلاة خمس، العبث بها خروج على الإجماع» «۳».

(_____ ۱) رواه الترمذىّ و حسّنه، (أنظر: مصادر التشريع الإسلامى، ص- ۱۵۰) (۲) روى الحديث أحمد فى مسنده، و ذكره ابن جرير فى التفسير (۱۱/ ۴۹۴)، أنظر: مصادر التشريع الإسلامى، ص- ۱۱۰. (۳) هذا ديننا، ص- ۲۲۴. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۹۴

القياس:

القياس: إذا لم يجد الفقيه دليلا فى الكتاب و السنة، ثم فى الإجماع، يجتهد رأيه، كما اجتهد عمر بن الخطاب فى تقسيم سواد العراق. و من أبرز ألوان الاجتهاد فى حالة عدم وجود النص القياس الذى أخذ به جمهور المسلمين. و القياس إعطاء واقعة مسكوت عنها حكم واقعة منصوص عليها، بسبب تساويهما فى علة جامعة لذلك الحكم. و هكذا كان كل قياس اجتهاد. و يؤيد هذا ما روى «معاذ بن جبل» الذى بعثه الرسول قاضيا إلى اليمن، فقال الرسول صلّى اللّه عليه و سلم: «كيف تقضى يا معاذ إذا عرض لك قضاء؟. قال: أقضى بكتاب اللّه. قال: فإن لم تجد؟. قال: فبسنّة رسول اللّه. قال: فإن لم تجد فى سنة رسول اللّه؟. قال: أجتهد رأيى لا آلو «۱». فضرب رسول اللّه على صدره و قال: الحمد للّه الذى وفق رسول رسول اللّه إلى ما يرضى اللّه و رسوله.» «۲». و كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم، نظر فى كتاب اللّه، فإن لم يكن فى الكتاب، و علم عن رسول اللّه فى ذلك الأمر سنّة قضى بها، فإن أعياه أن يجد فى السنة، جمع رءوس الناس و خيارهم فاستشارهم، فإن اجتمع رأيهم على أمر قضى به. و كذلك فعل عمر و بقية الصحابة. «۳» «و لتسلسل المصادر الشرعية أهمية بالغة، ذلك لأن كثيرا من المسلمين هجروا

(_____ ۱) أى لا- أقصر فى الاجتهاد. (۲) أنظر تفسير ابن كثير (۱/ ۳). (۳) جاء فى كتاب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى رضى اللّه عنه يرشده إلى أصول القضاء و طريقته المثلى: «الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب اللّه، و لا سنة النبى صلّى اللّه عليه و سلم. ثم اعرف الأشباه و الأمثال، فقس الأمور عند ذلك بنظائرها، و اعمد إلى أقربها إلى اللّه تعالى، و أشبهها بالحق ...»- المدخل الفقهى العام، مصطفى الزرقاء، (۱/ ۳۹- ۴۱)، دمشق ۱۹۶۱- الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۹۵ القرآن إلى الأحاديث النبوية، ثم هجروا الأحاديث الشريفة إلى أقوال الأئمة، ثم هجروا أقوال الأئمة إلى أسلوب المقلدين، ثم هجروا المقلدين و تزمّتهم إلى الجهّال و تخبطهم. و كان تطور الفكر الإسلامى على هذا النحو وبالا على الإسلام و أهله. و سبيل الرشد فى هذه العماية أن نعود إلى القرآن، فنجعله دعامة حياتنا العقلية و الروحية، فإذا وصلنا إلى درجة التشبع منه نظرنا فى السنة فانتفعنا بحكم الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و سيرته ...» «۱» هذه المصادر التى ذكرناها هى المصادر الأصلية فى الشريعة الإسلامية. إلّا أن هناك مستندات أخرى شرعية لإثبات الأحكام الفقهية غير المصادر الأربعة الأساسية المتقدمة، و قد دلّت نصوص الكتاب و السنة على اعتبارها مستندا صحيحا لإثبات الأحكام. غير أن تلك المصادر إنما هى فى الحقيقة تبعية متفرعة عن تلك المصادر الأربعة الأساسية، فلذا لم يعدها معظم العلماء زائدة عليها بل راجعة إليها. و أهم تلك المصادر الفرعية التبعية ثلاثة: الاستحسان، و الاستصلاح (قاعدة المصالح المرسلة)، و العرف. «۲» (_____ ۱) فقه السيرة للغزالى، ص- ۴۶.

(۲) لمزيد من التفصيل و الشرح يمكن الرجوع إلى: المدخل الفقهى العام، مصطفى الزرقاء (۱/ ۴۷- ۱۱۵). أو: الوسيط فى أصول الفقه الإسلامى، د. وهبة الزحيلى، ص- ۴۸۰- ۵۸۵. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۹۶

البحث الثانى الشّهادة

البحث الثانى الشّهادة قال تعالى: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ، لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (آل عمران/ ۱۸). و قال أيضا: ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ (الأحزاب/ ۴۰). الشهادة فى اللغة مشتقة من شهد المجلس، أى حضره، و شهد الشيء إذا عاينه و اطلع عليه بنفسه، و شهد على الأمر، أى أخبر به خبرا قاطعا عن علم و اعتقاد جازم. و من أجل هذا عند ما دعا الرسول صلّى اللّه عليه و سلم الناس إلى التصديق برسالته قدم لهم على ثبوتها شهادة اللّه التى هى أعظم شهادة، حيث قال تعالى: قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً، قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ، وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ، أَ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرى قُلْ لا أَشْهَدُ، قُلْ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَ إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (الأنعام/ ۱۹). «۱» و على أساس هذه الشهادات من اللّه و الملائكة و أولى العلم قام الرسول. بمطالبة

(_____ ۱) أسمى الرسالات، سيد عبد الحميد الخطيب، ص- ۳۴۴. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۹۷ المؤمنين النطق بلفظ الشهادة، بحيث تكون معبّرة عن ثقة تامة و يقين تام فى القلب، فلا يكتفى بالنطق بالشهادتين إلّا أن يعبّر المسلم بكلمة «أشهد». قال تعالى قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ، أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ، وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا: اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آل عمران/ ۶۴). من أجل هذا كان التوحيد هو أول ركن دعا الرسول أهل الكتاب للاجتماع حوله بأمر من اللّه. و هذا الإقرار بالإسلام فى آخر الآية له مغزاه بأن الإسلام لن يكون بالنطق بالشهادتين دون أن يتبع المسلم شهادة أن لا إله إلّا اللّه معناها الحقيقى. و هو أن لا معبود بحق فى الأرض و لا فى السماء إلّا اللّه وحده، و من يعبد غير اللّه كافر باللّه و مشرك به و لو كان معبوده نبيّا أو وليّا. و مما يؤسف له أن كثيرا من الجهلاء يدعون غير اللّه من الأحياء المعظمين فى طلب النعم و الشكر عليها، ناسين قول اللّه تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ (النساء/ ۴۸). و هذا الشرك الخفى يحبط عمل المؤمن لقوله تعالى: وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ (الزّمر/ ۶۵). و الشهادة المذكورة أيضا هى التى ذكرها النبى كركن أول من أركان البناء الإسلامى حين قال: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلّا اللّه و أن محمدا رسول اللّه ...» و معنى شهادة أن محمدا رسول أن يعلم المسلم و يعتقد أن محمدا رسول اللّه الذى أرسله إلى الناس جميعا بالهدى و دين الحق، و أن هذا الرسول عبد لا يعبد، من أطاعه فقد أطاع اللّه و دخل الجنة، و من عصاه فقد عصى اللّه و مصيره إلى النار، قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَغْفِرُوهُ وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (فصّلت/ ۶). جاء فى صحيحى البخارى و مسلم و غيرهما أن النبى صلّى اللّه عليه و سلم قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلّا اللّه، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۹۸ و أموالهم إلّا بحقها، و حسابهم على اللّه عزّ و جلّ). و معنى هذا أن من قالها جرت عليه أحكام الإسلام ظاهرا، فإن كان يعتقدها وجد ثواب ذلك فى الآخرة، و إن لم يعتقدها كان من المنافقين الذين حق عليهم عذاب الآخرة، و لم ينفعه جريان الحكم عليه فى الدنيا و كونه يخالط أهل الإيمان. قال تعالى: يُنادُونَهُمْ: أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ قالُوا: بَلى وَ لكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمانِيُّ، حَتَّى جاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (الحديد/ ۱۴). و قال أيضا: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ ما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (البقرة/ ۸ و ۹). فالشهادتان هما لبّ العقيدة الإسلامية، و التعبير عنهما عقيدة و عملا هو إيذان بالانتماء إلى الإسلام و إقرار بالألوهية و التوحيد و بالرسول أنه صاحب الرسالة و خاتم النبيين. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۱۹۹

البحث الثالث الصلاة

تعريف الصلاة:

تعريف الصلاة: بعد أن عرفت أيها القارئ الكريم أن اللّه تعالى هو ربك الذى خلقك، و أنه الإله الواحد الحق الذى لا شريك له و أنه يجب عليك أن تعبده وحده، و عرفت أن محمدا رسول اللّه إلى الناس جميعا، فاعلم أنه لا يصح إيمان باللّه و رسوله إلا إذا عرفنا شعائر الإسلام و عملنا بها، لأنه الدين الذى ارتضاه لنا خالقنا بقوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً (المائدة/ ۳). و العبادة أنواع منها الدعاء، و هو طلب الحاجات التى لا يقدر عليها إلا اللّه تعالى. و الصلاة فى اللغة هى الدعاء بخير، قال تعالى: وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ (التوبة/ ۱۰۳) أى: أدع لهم. و قد فتح اللّه تعالى لعباده باب الدعاء، و وعدهم بإجابة الدعاء ليكون وسيلة لدوام ذكره و الرجوع إليه فى السر و العلن، فقال: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ (غافر/ ۶۰). و لدوام الصلة بين اللّه و عباده عن طريق الدعاء فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم. و سميت الصلاة الشرعية لاشتمالها على الدعاء. أما الصلاة فى اصطلاح الفقهاء فهى أقوال و أفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، بشرائط مخصوصة.

صفة الصلاة:

صفة الصلاة: المراد بالصفة هنا كل من مكانتها من الشريعة و الأثر المترتب على فعلها أو تركها. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۰۰ (أما مكانتها؛ فهى فريضة قائمة، و شريعة ثابتة، عرفت هذه الفريضة بالكتاب فى قوله تعالى: وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ ..- البقرة/ ۴۳-، و فى قوله أيضا: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى ..- البقرة/ ۲۳۸-. و فى قوله: وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، حُنَفاءَ، وَ يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكاةَ، وَ ذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ- البيّنة/ ۵-. و كما ذكر الأمر بالصلاة فى سور عديدة، جاء ذكرها فى أحاديث رسول اللّه، و منها حديث الإيمان و الإسلام و الإحسان، و الحديث التالى: بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا لإله إلّا اللّه و أن محمدا رسول اللّه، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، و حج البيت، و صوم رمضان) «۱» و خلاصة القول ثبوت فرضية الصلاة بالكتاب و السنة فى عدة مواضع. فمن الكتاب؛ قوله تعالى: إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً (النساء/ ۱۰۳). يعنى الصلوات الخمس بمواقيتها و حدودها و جميع أركانها، كما وجّهنا إليها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فهى جسد و روح، أما جسدها فهو حركات الأعضاء و كلام اللسان، و أما روحها فهو الخشوع امتثالا لقوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ (المؤمنون/ ۱ و ۲). فليس الغرض من الصلاة أو الدعاء ألفاظ و حركات، و إنما القصد هو التوجه الكامل بالقلب و الفكر و الجسد فى وقت واحد إلى اللّه تعالى تمشّيا مع تصوّر الإسلام الكلى عن وحدة الإنسان فى تكوينه و وحدة الخالق فى ألوهيته، الخالق الذى خاطبنا بقوله: اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَ أَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ .. (العنكبوت/ ۴۵). فطلب إلينا

التطهّر للصلاة فى موضعين بارزين، أحدهما: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ، وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ، وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا، وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً، فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ، ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (المائدة/ ۶).

(۱) أخرجه البخارى ۴۶، و مسلم ۱۱.

(۲) الفقه على المذاهب الأربعة ص- ۷۵. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۰۲ و الموضع الثانى هو الآية ۴۳ من سورة النساء. و تطهير الثياب من أركان الدخول فى الصلاة كما هو معلوم، قال تعالى: وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ (المدّثّر/ ۴). و من الفوائد الاجتماعية أيضا الاجتماع لأداء الصلاة، حيث يؤدى إلى التعارف بين الناس، و هذا يقرّب بين القلوب المتنافرة، و تذكير بالأخوّة التى قال عنها: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (الحجرات/ ۱۰). و كما قرنت الأعمال الصالحة مع الإيمان فى عدد من الآيات الكريمة، فقد قرنت الزكاة مع الصلاة أيضا فى عدد من الآيات. و هذا ما يتطلب منا الانتقال إلى بحث الزكاة. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۰۳

البحث الرابع الزكاة

الزكاة لغة

الزكاة لغة ؛ الطهارة و النماء، و كثرة الخير و الصلاح. و سمّى اللّه تعالى الصدقة المفروضة زكاة لأنها تطهر النفس و تنمى المال. «۱» قال تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها .. (التوبة/ ۱۰۳). و الطهارة و التزكية إنما تحصلان بتصفية النفس من رجس البخل و الطمع و الخصال الذميمة.

و الزكاة شرعا

و الزكاة شرعا أو بتعريف الفقهاء، هى تمليك جزء مخصوص (نسبة و مقدار معينين)، من مال مخصوص (نصاب مقدّر شرعا)، لشخص مخصوص (هم الأشخاص الذين عنتهم الآية التالية: إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ، وَ الْمَساكِينِ، وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها، وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَ فِي الرِّقابِ، وَ الْغارِمِينَ، وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ ابْنِ السَّبِيلِ، فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (التوبة/ ۶۰). و الزكاة ركن من أركان الإسلام، و فرض من فروضه، فقد طالب اللّه تعالى المسلمين بدفعها فى اثنين و ثلاثين موضعا، ذكرنا منها اثنين أعلاه، و من ذلك قوله (

(۱) الزكاة فى حقيقتها الزيادة، يقال زكا زكاء و زكى و تزكّى و زكّاه. صاحب العين: الزكاة؛ زكاة المال و تطهيره، و العقل منه زكّى، و الزكاة زكاة الصلاح. و الزكاة الجزء من المال الذى يجب إخراجه على سبيل الصدقة مما جاءت به الشريعة من مقداره و وقته، و الماعون؛ الزكاة، المعن: الشيء القليل، و إنما سميت الزكاة بالشيء القليل لأنه يؤخذ من المال ربع عشره، فهو قليل من كثير.- المخصص (۱۳/ ۷۹). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۰۴ تعالى: وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ (البقرة/ ۴۳). لذا أجمع الصحابة على حرب مانعيها، و اعتبرهم أبو بكر الصديق مرتدين. فالناس يتفاوتون فى القدرة على العمل و فى الكسب أيضا، و قد نجد أناسا عاجزين عن العمل بسبب مرض أو عاهة أو شيخوخة و ما أشبه، و ليس لهم من معيل أو مال يملكونه. و المنهج الذى جاءت أحكامه كما رأينا شاملة و هادفة مصلحة الفرد و المجتمع، تضمّن فى أحكامه التشريعية نصوصا تجعل لأمثال هؤلاء الفقراء العاجزين عن العمل، و كذلك المسافرين الذين انقطعت بهم الرحلة، حقا مفروضا فى أموال الأغنياء و الموسرين، فقال تعالى: وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (المعارج/ ۲۴ و ۲۵). و هذا يعنى أن المال المفروض على الأغنياء أن يدفعوه للفقراء المعوزين ليس منحة و لا تفضّلا، بل

واجبا على كل من ملك النصاب «۱». و قد حدّدت آية التوبة (۶۰) التى ذكرناها عند تعريف الزكاة مصارف الزكاة. و بذلك نرى أن الزكاة شريعة إنسانية، و ثمرة من ثمرات التراحم و الإخاء اللذين عنى بهما الإسلام تحقيقا للترابط الإنسانى و التكافل الاجتماعى. فى أدائها الطوعى دليل على إيمان المخرج لها و اعتقاده بأن كل نعمة إنما هى من خالقه، و يتحتم شكره بإخراج بعض ما وهب فى سبيله تنفيذا لأمره و ابتغاء مرضاته. و دليل آخر على ما يعتمل فى القلب من مشاعر الأخوّة الإنسانية، فنسلم من الرأسمالية الجشعة و من الشيوعية التى تحرم الفرد من تلبية غريزته فى حب المال و جمعه، و كل هذا ينافى حكمة اللّه تعالى فى خلقه و ما أراده فى خلافته فى أرضه، و هو القائل: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَ اللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ، وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (البقرة/ ۲۶۱).

(_____ ۱) النصاب: هو الحد المقدر بين الوجوب و عدمه، و هو من الذهب عشرون مثقالا (يعادل ۹۶ غراما)، و من الفضة مائتا درهم (۷۰۰ غرام) عرفا. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۰۵ يقول «سيد قطب»: «الزكاة حق الجماعة فى عنق الفرد، لتكفل لطوائف منها كفايتهم أحيانا، و شيئا من المتاع بعد الكفاف أحيانا. و بذلك يحقق الإسلام جانبا من مبدئه العام: كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ (الحشر/ ۷) ذلك أن الإسلام يكره للناس الفقر و الحاجة. و يحتم أن ينال كل فرد كفايته من جهده الخاص و موارده الخاصة حين يستطيع، و من مال الجماعة حين يعجز لسبب من السباب .. و يكره الإسلام أن تكون الفوارق بين أفراد الأمة بحيث تعيش منها جماعة فى مستوى الترف، و تعيش جماعة أخرى فى مستوى الشظف، ثم أن تتجاوز الشظف إلى الحرمان و الجوع و العرى ..» «۱». و لا يظن القارئ أن مجرد امتلاك شىء من الأموال يوجب الزكاة، ففى الزكاة كما فى غيرها من جوانب الشريعة الإسلامية التيسير و رفع الحرج. «۲» «فلم يوجب الإسلام الزكاة إلّا مرّة واحدة فى العام الكامل، و لا تجب فى النصاب حين يكون على صاحبه شىء من الالتزامات المالية كالدين و الكفارة. و أباح أن تصرف الزكاة من الزوجة لزوجها، و من القريب لقريبه، بل نجده حيث على فعل ذلك و يشجع على انتهاجه، و يرغب فى سلوكه بأن جعل الصدقة حينما تصرف فيه تحمل طابع الصلة كما تحمل طابع الصدقة و تنتج أجر القرابة كما تنتج أجر الصدقة.» «۳» (_____ ۱) العدالة الاجتماعية فى الإسلام، ص- ۱۴۶. (۲) وضع الشارع لوجوب الزكاة شروطا يمكن الرجوع إليها فى كتب العبادات (منها: الفقه على المذاهب الأربعة للجزيرى، و أحكام العبادات للدكتور كامل موسى) لمعرفة التفصيلات الشرعية حول شرائط فرضية الزكاة و متى تجب فى عروض التجارة و السوائم و الذهب و الفضة و فى زكاة الزروع و الثمار، و فى شروط صحة أداء الزكاة و ما إلى ذلك. (۳) انظر: صور من سماحة الإسلام ص- (۵۸- ۶۱). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۰۶

البحث الخامس الصوم

اشارة

البحث الخامس الصوم الصوم ركن إسلامى تهذيبى، فرضه الخالق على عباده ليتقربوا إليه بالتخلى عن شهواتهم، فتزكو نفوسهم و تتربى على التقى.

و الصوم لغة

و الصوم لغة هو الإمساك مطلقا. فإذا أمسك شخص عن الكلام أو الطعام فلم يتكلم و لم يأكل فإنه يقال له فى اللغة: صائم، و من ذلك ما ورد فى القرآن: إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (مريم/ ۲۶)، أى صمتا و إمساكا عن الكلام.

و الصوم شرعا

و الصوم شرعا هو الإمساك عن المفطرات يوما كاملا بنيّة مخصوصة، من الفجر الصادق إلى الغروب، من مسلم بالغ عاقل و طاهر عن حيض و نفاس. و يشترط لصحة الصوم تثبيت النية و عقد القلب عليها. «۱»

أقسام الصوم:

أقسام الصوم: فرض، و واجب، و سنّة، و مندوب، و نفل، و مكروه. أما صوم الفرض و هو المقصود فى بحثنا فهو صوم شهر رمضان، أداء أو قضاء، بدليل قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ... شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ، وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ .. (البقرة/ ۱۸۳- ۱۸۵). و هكذا نرى تكليفا بقوله: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ، و نرى تخفيفا بقوله: وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ. إنه الأسلوب التشريعى الحكيم.

(۱) الفقه على المذاهب الأربعة، ص- ۵۴۱. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۰۷ أما الصوم الواجب فهو صوم قضاء ما أفسده من صوم نفل، و صوم الكفارات، و صوم النذور.

حكمة الصيام:

حكمة الصيام: الصيام عبادة قوامها أن يمتلك المرء نفسه، و أن يحكم هواه، و أن تكون لديه العزيمة التى يترك بها ما يشتهى. و قوام الصيام تحرير الإرادة الإنسانية، و جعلها تبعا لأوامر اللّه لا لرغائب النفس. ورد عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (قال اللّه عزّ و جلّ: كلّ عمل ابن آدم له إلّا الصوم، فإنه لى و أنا أجزى به، و الصيام جنّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث و لا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إنّى صائم، إنّى صائم.) «۱» و لقد أخبرنا اللّه تعالى بالغاية المرجوّة من الصوم بقوله: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، و هل من تقوى أعظم من أن يراقب العبد ربّه، و يردع نفسه عن الشهوات، يترك طعامه و شرابه حبّا فى رضى المولى جلّ شأنه، مع ما فى هذا الامتثال من تذكير للموسرين بأحوال إخوانهم الفقراء، و يحفزهم على مواساتهم و الإحسان إليهم، و فيه أيضا تهذيب للأخلاق، و تعويد على النظام، و قوة الإرادة، و الصبر عن الاسترسال وراء الملذات، و كف بقية الجوارح عن المكاره. عن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (من لم يدع قول الزور و العمل به فليس للّه حاجة فى أن يدع طعامه و شرابه) «۲» و قد أثبت العلم الحديث ما فى الصوم من فوائد عظيمة فى إخراج الفضلات من الجسم، و طرد السموم و المفرزات الضارّة من مجارى الدم بطريقة الامتناع عن

(۱) رواه البخارى و مسلم. (۲) رواه البخارى. أى أن الصوم فرض أساسا للتهذيب و تضييق مجارى الشرّ فى النفس الإنسانية، فمن لم يتأثر بالحكمة الأساسية فاللّه غنىّ عن عبادته.- مختصر مشكاة المصابيح، ص- ۱۵۷-. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۰۸ الأكل و الشرب أى العلاج الطبيعى بدلا من العقاقير. فهو بمثابة استحمام للجهاز الهضمى مما عاناه العبد طوال أيام السنة من تتابع الطعام عليه فى كل وقت. «يحضرنا قول طبيب مسيحى فى حكمة الصوم، و هو الدكتور «شخاشيرى»: اعلم أن انتفاعك من الطعام القليل الذى تأكله فى انتظام يزيد على انتفاعك من الطعام القليل الذى تأكله فى غير انتظام و من غير بطء فى المواعيد. و حدد الدكتور المذكور فوائد الصيام فى عدة نواح:

۱- علاج اضطرابات الهضم و اضطرابات المعى، و بالذات المزمنة منها. ۲- علاج لزيادة وزن الجسم. ۳- إقلال السكر فى الدم و العمل على إخفائه من البول. ۵- أمراض القلب المصحوبة بتورم فى القدمين و الساقين و تضخم حجرات القلب ...» «۱» و فى فرضية الصوم كما فى غيرها من الفروض كثير من التيسير و رفع الحرج عن الصائم، منها: «لم يؤاخذ الصائم حين ينسى فيأكل أو يشرب، بل تسامح- الشارع- عنه فى ذلك و أمره بإتمام صومه فى ذلك اليوم الذى حصل منه الأكل و الشرب فيه ناسيا، و لم يكلفه بقضائه، بل أخبر بأن ذلك رزق ساقه اللّه إليه، إزاحة لما قد يعلق فى قلبه من غمة. و قدم للمسافر تسهيلات تبعد عنه أسباب العناء، فقد أرخص له بأن يفطر فى رمضان على أن يصوم الأيام التى أفطرها فى أيام أخر حينما يرجع إلى البلد و يشعر بالراحة التى لا يجدها فى السفر وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (البقرة/ ۱۸۵) و ليس حظ المريض من عناية اللّه و يسره بأقل من حظ المسافر، بل رخّص له فى الفطر أيام مرضه، تفاديا لما يحتمل من زيادة المرض، فإذا تم

(_____ ۱) الإعجاز الطبى فى القرآن، ص- ۲۱۴. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۰۹ له الشفاء قضى الأيام التى أفطر فيها كما أشارت إلى ذلك الآية السابقة. و من رفع الحرج أيضا السماح للأزواج الاتصال بأزواجهم ليالى الصيام .. «۱»

(_____ ۱) صور من سماحة الإسلام، ص- ۶۲- ۶۷. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۱۰

البحث السادس الحج و العمرة

معنى الحج:

معنى الحج: معناه لغة القصد إلى مكان معظم. و معناه شرعا: زيارة مكان مخصوص (الكعبة و عرفة)، فى زمن مخصوص (أشهر الحج)، بفعل مخصوص (الإحرام، و الوقوف بعرفة، و الطواف بالكعبة، و السعى بين الصفا و المروة، و الحلق أو التقصير). «۱»

حكم الحج و دليله:

حكم الحج و دليله: الحج فرض عين على كل مستطيع فى العمر مرة، بدليل قوله تعالى: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ (آل عمران/ ۹۷). و هو خامس ركن فى الحديث الذى رواه احمد و البخارى و مسلم عن أبى هريرة: (بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلّا اللّه، و أن محمدا رسول اللّه، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، و صوم رمضان، و حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا). «۲» و لا يجب الحج فى أصل الشرع إلا مرة واحدة لحديث أبى هريرة قال: خطبنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فقال: (أيها الناس قد فرض اللّه عليكم الحج فحجّوا. فقال رجل: أ كلّ عام يا رسول اللّه؟. فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: لو قلت نعم لوجبت و لما استطعتم) «۳»، و لأن الرسول لم يحج بعد أن فرض الحج إلّا مرة فقط.

(_____ ۱) لمزيد من التفصيل، أنظر: أحكام العبادات، د. كامل موسى. أو فقه العبادات، ص- ۳۶۴- ۴۰۵. (۲) رواه البخارى، و مسلم (۱/ ۲۹ و ۳۰). (۳) صحيح مسلم، كتاب الحج (ج ۲، باب ۷۳، ص ۴۱۲). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۱۱ و قد أجمع علماء المسلمين منذ عهد الصحابة على أن الحج فريضة محكمة على المستطيع مرة واحدة فى العمر. و لذلك حكموا بكفر جاحده لأنه إنكار لما ثبت بالقرآن و السنّة و الإجماع.

وجوب الحج:

وجوب الحج: يجب الحج و العمرة على من توفرت فيه الشروط الآتية: الإسلام، و العقل، و البلوغ، و الحرية، و الاستطاعة، و أمن الطريق. و الاستطاعة تتحقق بأن يملك الإنسان المال الذى يلزمه لأداء الحج و العمرة، من أجل ركوب و نفقة ذهابا و إيابا. و يجب أن يكون هذا المال زائدا عن دينه و عن نفقة عياله مدة غيابه. فالاستطاعة المباشرة هى أن يتمكن الإنسان من الحج و الاعتمار بنفسه، بأن يكون قادرا، صحيح الجسم، يمكنه السفر و أداء مناسك الحج من غير أن يناله ضرر كبير أو مشقة لا- تحتمل. و الاستطاعة غير المباشرة هى أن يملك المكلف من المال ما يمكن إنابة غيره بالحج عنه فى حياته أو بعد موته، فيما إذا كان لا يستطيع الحج بنفسه لكبر أو مرض أو نحو ذلك. روى البخارى عن ابن عباس أن امرأة من جهينة جاءت إلى رسول اللّه فقالت: إنّ أمّى نذرت أن تحج، فماتت قبل أن تحج، أ فأحج عنها؟. قال: نعم حجّى عنها، أ رأيت إن كان على أمّك دين أ كنت قاضيته؟ قالت: نعم، قال: اقضوا دين اللّه، و اللّه أحق بالوفاء. «۱» و يشترط فى وجوب حج المرأة و عمرتها إضافة للشروط المذكورة ما يلى: ۱- أن يخرج معها زوجها، أو محرم لها، أو نسوة ثقات، اثنتان فأكثر تأمن معهما على نفسها لأن الأطماع تنقطع بجماعتهن. و ليس للمرأة الحج إلا بإذن الزوج. ۲- أن لا- تكون معتدّة عن طلاق أو وفاة مدة إمكان السير إلى الحج، لقوله تعالى: لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ، وَ لا يَخْرُجْنَ (الطلاق/ ۱).

(_____ ۱) انظر: فقه العبادات، ص- ۳۸۸-

۳۹۲. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۱۲ حكمة الحج: أشار القرآن الكريم عند ذكر الحج إلى وجود منافع للناس فقال: لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ، وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ، فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ (الحج/ ۲۸). قال ابن عباس فى تفسير هذه الآية: إنها منافع الدنيا و الآخرة، أما منافع الآخرة فرضوان اللّه تعالى، و أما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن و الذبائح و التجارات. و فى تفصيل هذا الكلام و تعداد المنافع يرد اجتماع المسلمين. فقد جعل اللّه تعالى معظم عباداته المشروعة سبيلا لألوان من التلاقى فيما بينهم. جعل لهم لقاء يتكرر كلّ يوم خمس مرات على مستوى الحيّ الواحد من البلدة، و شرع لتنظيم ذلك صلاة الجماعة. و جعل لهم لقاء يتكرر فى كل أسبوع مرة على مستوى البلدة الواحدة، و شرع لتنظيم ذلك صلاة الجمعة. و جعل لهم لقاء يتكرر كل عام مرة على مستوى البقاع الإسلامية كلها، و شرع لتنظيم ذلك الحج إلى بيته الحرام. لقد صاغ اللّه تعالى الحج فى قالب يقضى به الإنسان على شهوات النفوس، «و يوجهها إلى طاعة اللّه و ابتغاء مرضاته، إذ فيه إتعاب للجسم، و تقشف فى المظهر، و كف عن الزينة، و صبر عن الشهوة الجنسية، و فيه بذل للمال بغير مقابل إلّا رضاء اللّه .. يقف المسلم إلى جانب من هو أرفع منه مقاما و أكثر مالا- بزىّ واحد من غير تفريق، فى صعيد واحد هو جبل عرفات، فى موقف تتجلى فيه العبودية للّه بأقصى معانيها يلهجون إليه بالتلبية و الدعوات بمختلف اللغات .. و فيه من المناسك ما يهيئ للمسلمين سبل التعارف فى كثير من المواضع، و هو ما دعا إليه تعالى بقوله: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا (الحجرات/ ۱۳)، و التعارف ييسر لهم طرق التفاهم فى الرأى، و التعاون فى الأعمال الصالحة، و تبادل المصالح و المنافع ..» «۱»

(_____ ۱) أسمى الرسالات، ص- ۳۶۸.

الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۱۳ إذن للحج مرامى اجتماعية و أهداف سامية لا تخفى على المؤمنين، و التزامات نصت عليها الشريعة الإسلامية منها: فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِي الْحَجِّ، وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ، وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى .. (البقرة/ ۱۹۷). و قال تعالى: وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ (البقرة/ ۱۹۶)، و اعتمر: بمعنى زار. و الاعتمار فى الاصطلاح الفقهى هو الزيارة فى غير موسم الحج، أو بغير نيّة الحج. فالحاج حين يحرم إمّا أن ينوى العمرة فقط، أو ينوى قرن العمرة و الحج معا. و يمكن الرجوع إلى كتب فقه أو أحكام العبادات للوقوف على مناسك الحج و العمرة، و غير ذلك من أركان الإسلام التى تعرّضنا لها فى هذا الفصل لبيان أهميتها و سهولة أعمالها و إدراك معانيها. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۱۴

خاتمة الفصل

خاتمة الفصل بعد معرفة أركان الإسلام يجب أن ندرك مدى الترابط بين أركان الإسلام و أركان الإيمان ثم ما سيأتى ذكره عن المعاملات فى الفصل القادم. و هذا ما تؤكده الآية التالية: لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ، وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلائِكَةِ، وَ الْكِتابِ وَ النَّبِيِّينَ، وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقابِ، وَ أَقامَ الصَّلاةَ، وَ آتَى الزَّكاةَ، وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا، وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ، أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (البقرة/ ۱۷۷). فلا يكفى الاتجاه إلى القبلة لحصول البر إذا لم يكن القلب مطمئنّا بوجود اللّه تعالى و وحدانيته، و بطاعة رسوله و الاهتداء بهديه .. فالإسلام لا يعدّ العبادة مجرد إقامة الشعائر، و إنما هى الحياة كلها، فهو دين الوحدة بين العبادة و المعاملة و العقيدة، دين الوحدة بين الروحيات و الماديات، فإذا التزم المسلم بالأركان التى أتينا على ذكرها فى الفصلين السابقين، عمل على مراعاة أقواله كما يراعى أعماله، طالما حرّرته فلسفة التوحيد من الخوف و الجبن و أصحاب النفوذ فى نطاق الالتزام بروح الإسلام. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۱۵

الفصل الثالث المعاملات صلة الإنسان مع الآخرين

اشارة

الفصل الثالث المعاملات صلة الإنسان مع الآخرين الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۱۶ هناك من يعتبر المعاملات جزءا من العبادات، لأن العمل الصالح مقترن بالإيمان فى آيات كثيرة، منها قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ، وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً، يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً (النور/ ۵۵). و العمل الصالح يشمل كل أنواع الخير تعبّديّا كان أم غير تعبّدىّ، من عبادة اللّه وحده و إسلام النفس إليه، إلى قيام المرء بواجباته نحو أسرته و مجتمعه. و قال البعض: إنّ العمل الصالح ما كان فيه أربعة أشياء: العلم، و النيّة، و الصّبر، و الإخلاص. و قال «الشاطبى»: «أما الصالحات أو الأعمال الصالحة فهى التى يهتدى بتنفيذها بالمنهج الإلهى نظاما متكاملا من التكاليف الشرعية فى مجالات العبادة الثلاثة (المعنوى، و الشعائرى، و العملىّ) من أجل حفظ الكليات الخمس التى اعتبرتها الشريعة لتأمين مصلحة الإنسان فى الدنيا و الآخرة، و هى حسب الترتيب التنازلى فى الأهمية الذى اتفق عليه جمهور علماء الأصول على الوجه التالى: الدين، فالنفس، فالعقل، فالنسل، فالمال.» «۱» و أيسر طريق لمعرفة أسلوب التعامل مع أنفسنا و مع الآخرين هو ما يؤخذ من كتاب اللّه تعالى، و من سنّة النبىّ الكريم. فقد قال تعالى: فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا (النساء/ ۵۹). فالقرآن يملك أن يواجه الحياة حاضرا و مستقبلا، و هنا تكمن

(_____ ۱) الموافقات فى أصول الشريعة للإمام أبى إسحاق بن إبراهيم الشاطبى المتوفى سنة ۷۹۰ ه-، (۲/ ۱۰)، دار المعرفة. و الشاطبى محدّث و فقيه لغوى، عاش فى غرناطة، و يعدّ من المجدّدين فى الإسلام، سار فى عرض القواعد فى ظل العناية بمقاصد الشريعة و المصالح التى يقدرها و يرسم ضوابطها.- الموسوعة الموجزة، حسان الكاتب، ج ۴- الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۱۷ معجزة القرآن البارزة، فهو دستور شامل للحياة و التربية. «هذا القرآن هو خطاب اللّه لهذا الإنسان فيمن خاطبهم اللّه به، خطاب لا يتغيّر، لأن الإنسان ذاته لم يتغيّر خلقا آخر، مهما تكن الظروف و الملابسات قد تبدّلت من حوله، و مهما يكن قد تأثر و أثّر فى هذه الظروف و الملابسات. و القرآن يخاطبه فى أصل فطرته، و فى أصل حقيقته التى لا تبديل فيها و لا تغيير. و يملك أن يوجه حياته اليوم و غدا، لأنه معدّ لهذا، بما أنه خطاب اللّه الأخير، و بما أن طبيعته كطبيعة هذا الكون ثابتة متحرّكة بدون تبديل .. فالنصوص القرآنية جاءت لتعمل فى كل جيل، و فى كل بيئة.

و تتضمّن عرض التجارب البشرية عامة، و تجارب الدعوات الإيمانية خاصة، كى تكون الأمّة على بيّنة من أمرها ..» «۱» و لئن أخذت قصص بنى إسرائيل حيّزا كبيرا فى القصص القرآنى، فما ذلك إلّا لأنّ اللّه العليم الحكيم علم أنّ أجيالا من الأمة ستمرّ بأدوار كالتى مرّ بها بنو إسرائيل، و تقف مواقف مشابهة، فعرض عليها مزالق الطريق مصوّرة فى تاريخ بنى إسرائيل لتكون لها عظة و عبرة لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ (يوسف/ ۱۱۱). و الآية التالية تدلنا على بعض القواعد الاجتماعية وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَ قِثَّائِها وَ فُومِها وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها، قالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ، وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ (البقرة/ ۶۱). من هذه القواعد: - كفران النعم يؤدى إلى الفقر و المسكنة. - محاربة الحق تؤدى إلى المذلّة و الهوان.

(۱) فى ظلال القرآن، (۱ / ۳۴۳).

الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۱۸ - الإمعان فى المعاصى يؤدى إلى حلول النقم و كثرة المحن. و هكذا حين نفكر فى معانى القرآن نجد توجيهات حية ترشدنا إلى معالم الطريق، و دعوة للحياة متجددة، موزعة فى العديد من السور أو الآيات، أو نجد سورة تناولت أحكاما متعددة. جانب آخر لا بدّ من التنويه عنه، و هو أننا تعرّضنا للحديث عن العبادات و المعاملات لبيان شمولية القرآن و تنوّع أغراضه كوجه من وجوه الإعجاز القرآنى الذى اعتبرناه طريقا من طرق الإيمان. و الإيمان لا يتجلى إلّا فى أداء العبادات المفروضة، و فى أسلوب التعامل مع الذات و مع الآخرين. و هذا ما تحتاجه كتب كثيرة. لذا سأعرض لمحات، كما عرضت لمحات فى مجال العبادات. و هذا ما دعانى إلى الاكتفاء بتثبيت أرقام العديد من الآيات دون نصوصها. هذا بالنسبة للمنهج القرآنى. أما بالنسبة للمؤلفات التى يمكن الرجوع إليها لمعرفة تفصيل المجمل فالسيرة النبوية تعتبر مقدمة على غيرها، طالما نص المنهج القرآنى على أن طاعة الرسول من طاعة اللّه، و أن لنا فى رسول اللّه أسوة حسنة. ففيها أيضا توجيهات حية ترشدنا إلى معالم الطريق. و قد نجد دلالات عديدة أحيانا من خلال حادثة واحدة. و هذا يتطلب دراسة السيرة النبوية و فقهها. و أوجه اهتمام القارئ الراغب بالحصول على الأحكام العملية إلى كتابين: الكتاب الأول؛ السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام. فقد اتفق الباحثون على أن ما كتبه «محمد بن إسحاق» (- ۱۵۲ ه-) يعدّ من أوثق ما كتب فى السيرة النبوية. غير أن كتابه (المغازى) فقد فيما فقد، و قد جاء بعده بنصف قرن: (أبو محمد عبد الملك، المعروف بابن هشام)، فروى لنا هذه السيرة الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۱۹ منقّحة و مختصرة. «۱» الكتاب الثانى؛ إحياء علوم الدين، لحجة الإسلام أبى حامد الغزالى رحمه اللّه تعالى. «۲» و قد جاء فى أربعة مجلدات، الأول فى العبادات، و الثانى فى العادات، و الثالث فى المهلكات، و الرابع فى المنجيات. و قد جاء الربع الثانى منه فى ثمان و سبعين و ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير، و تضمّن أبحاثا فى المعاملات و آدابها و أصولها الشرعية، و منها: - كتاب النكاح، و الترغيب فيه، و المعاشرة، و حقوق الزوجين. - كتاب أحكام الكسب، و طرقه، و آدابه، و العدل فى المعاملة. - كتاب فى حق الألفة و الأخوة، و الصحبة، و المعاشرة مع أصناف الخلق. - كتاب فى حق المسلم، و الرحم، و الجوار، و حقوق الوالدين و الولد. - كتاب فى وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر .. و هكذا .. فيمكن الرجوع إلى الكتابين المذكورين و أمثالهما لمن أراد المزيد. أما هنا فسأقتصر على بيان توجيهات القرآن فى جانبين اثنين: - الدعوة إلى إصلاح الفرد ذاته. و الدعوة إلى تعامل المسلم مع الآخرين.

(۱) و يمكن لمن يرغب دراسة (فقه السيرة) الرجوع إلى كتاب: (فقه السيرة) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى. أو (فقه السيرة) للشيخ محمد الغزالى. انظر المصادر آخر الكتاب. (۲) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى (۴۵۰- ۵۰۵ ه-)، أبو حامد حجة الإسلام، فيلسوف، متصوّف، مولده و وفاته فى الطابران (قصبة طوس بخراسان)، رحل إلى نيسابور، ثم بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر. ألف عشرات الكتب فى العقيدة الإسلامية و التفسير و الفلسفة و الأخلاق.- الأعلام للزركلى: (۷/ ۲۴۷). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۲۰

البحث الأول دعوة الإسلام إلى إصلاح الفرد ذاته

اشارة

البحث الأول دعوة الإسلام إلى إصلاح الفرد ذاته إن الأحكام المتعلقة بالمعاملات لا تنجح إلّا إذا غرست فی تربة من الأخلاق. و الأخلاق شعبة من رسالة الرسول الأعظم محمد صلّى اللّه عليه و سلم. و اللّه تعالى أطرى رسوله و أثنى عليه بذكر فضائله من عدة نواح:

۱- من الناحية الخلقية:

۱- من الناحية الخلقية: حيث قال: وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (القلم/ ۴). و قد عرضت سورة الحجرات نموذجا من الآداب و الأخلاق السامية، منها قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَ لا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ، وَ لا تَلْمِزُوا «۱» أَنْفُسَكُمْ، وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ .. (الحجرات/ ۱۱)، و كذا الآيات: (۶۳- ۷۶/ الفرقان). و قد اتفق الفلاسفة منذ أقدم العصور على أهمية الأخلاق فی حياة الفرد و المجتمع. كما أن الرسالات السماوية على اختلافها دعت إلى التمسك بالأخلاق الفاضلة، لأنها قوام المجتمع، و هی الوسيلة لإقامة الترابط و التعاون بين الأفراد. و لأهمية الأخلاق فی الحياة أحلّها الإسلام مكانة عالية، فعند ما أراد اللّه تعالى مدح رسوله، امتدحه بحسن الخلق، و جعل الأخلاق ثمرة من ثمرات العبادة بقوله: وَ أَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ .. (العنكبوت/ ۴۵). سئلت السيدة عائشة رضى اللّه عنها عن خلق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم

(_____ ۱) وَ لا تَلْمِزُوا: أی لا يعب بعضكم بعضا. الإعجاز فی القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۲۱ فقالت: (كان خلقه القرآن) «۱» فما هی الأخلاق التی دعا إليها القرآن الكريم؟. لقد أوردنا بعضا منها فيما سبق، و البعض الآخر يمكن الرجوع إليه عند دراسة القرآن، و من ذلك قوله تعالى فی الحضّ على الصّدق: وَ الَّذِی جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (الزّمر/ ۳۳). و الصدق فرض عين، و هو على ثلاثة أوجه: صدق الاعتقاد، و صدق اللسان، و صدق الأعمال. كما حضّ على الابتعاد عن الكذب بقوله تعالى: إِنَّما يَفْتَرِی الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْكاذِبُونَ (النحل/ ۱۰۵). و مثل ذلك الأمر بالمعروف فهو فرض عين على المسلم لقوله تعالى: وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (آل عمران/ ۱۰۴). و على المسلم أن يبدأ التنفيذ بنفسه أولا، ثم بأولاده، ثم بأصحابه، ثم بأقربائه و جيرانه، ثم بعامة الناس. و إنی لأعجب بمن ينظّر و يوجّه دون أن يستطيع التأثير على أحد من أبنائه، و ربّما انطبق عليه قوله تعالى: أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ

(_____ ۱) قال سعد بن هشام: دخلت على عائشة رضى الله عنها و عن أبيها، فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: كان خلق رسول الله صلى الله عليه و سلم القرآن. و إنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى: خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ- الأعراف/ ۱۹۹-. و قوله: ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِيمٌ- فصلت/ ۴۴-. و قوله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِی الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْیِ ..- النحل/ ۹۰- و قوله: اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ- لقمان/ ۱۷-. و قوله: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ- المائدة/ ۱۳-. انظر: إحياء علوم الدين للإمام الغزالی (۲/ ۳۶۴). الإعجاز فی القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۲۲ (البقرة/ ۴۴). «۱» و يتخذ من ضرورات العصر حججا واهية. فالإسلام كما نلاحظ ربط بين العقيدة و الأخلاق من جهة، و ربط بين الأخلاق و العبادة من جهة أخرى. و تعتبر القيم الخلقية حجر الزاوية فی الفقه

الإسلامى، و أثرها واضح فى تقييد الحق كما نرى فى عدد من الأمور و المعاملات، نذكر منها على سبيل المثال: النهى عن الإضرار بالجار، يقول الإمام الغزالى: «اعلم أن الجوار يقتضى حقّا وراء ما تقتضيه أخوّة الإسلام، فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كلّ مسلم و زيادة. و قد تضافرت على هذا المعنى آيات و أحاديث منها قوله تعالى: وَ الْجارِ ذِى الْقُرْبى وَ الْجارِ الْجُنُبِ وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ (النساء/ ۳۶). و قال الرسول صلّى اللّه عليه و سلم: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليكرم جاره.» «۲» و من ذلك أيضا: تحريم الربا، و حسن معاملة النساء، و غير ذلك .. بحيث نرى أنه لم يقيد حق شخص إلّا لصيانة المقاصد الأساسية الخمسة فى الشرع «۳». و هى

(_____۱) يمكن الاستزادة بالرجوع إلى كتاب: (أخلاق القرآن) للدكتور أحمد الشرباصى، و مما تناوله: العفة (البقرة/ ۲۳۳)، و العزّة (المنافقون/ ۸)، و العفو (التغابن/ ۱۴)، و الإيثار (الحشر/ ۹)، و التواضع (الإسراء/ ۶۳)، و الاستقامة (الأحقاف/ ۱۳). (۲) إحياء علوم الدين (۲ / ۲۱۰). (۳) المقاصد أو الضروريات الخمس هى: الدين، النفس، العقل، النسل، المال. «و قد أوضح الإمام الغزالى فى كتابه (المستصفى) فى أصول الفقه، أسس المصالح المرسلة، و أقسامها الثلاثة: - الضروريات الخمس. - الحاجيات؛ و هى الأعمال و التصرفات التى لا تتوقف عليها صيانة تلك الأركان الخمسة، مثل إباحة العقود، و المداولات المالية فى حدود تامين المصلحة، فإنّ فى المنع منها حرجا للناس.- الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۲۳ الأمور و المصالح التى إذا فاتت فوّتت على الإنسان مصالح الدنيا و الدين. فمن المقاصد أو الضروريات وجوب القصاص لما فيه من حفظ النفس، و وجوب الجهاد لما فيه من حفظ الدين و الأرض، و تحريم الخمر لما فيه من حفظ العقل، و إباحة الزواج و تحريم الزنا حفظا للنسل. على أن هذه القيم الإنسانية و المثل العليا التى امتزجت فى الفقه الإسلامى بقواعد التشريع تستمد معاييرها من مبدأ الخير الأسمى و هو الإيمان باللّه تعالى. كما تهدف إلى غاية مشتركة هى إقامة الدنيا بحيث تكون سبيلا للآخرة. و من القواعد الخلقية التى انعكست آثارها على الحقوق و المعاملات تحديدا أو تقييدا و جاءت بها النصوص من الكتاب و السنة: - قاعدة وجوب التعاون، من قوله تعالى: وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ لا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ (المائدة/ ۲). - و قاعدة العفو المستمدة من قوله تعالى: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّباعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَداءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسانٍ (البقرة/ ۱۸۷). و مما يؤكد أن المبادئ الخلقية تمثل حجر الزاوية فى الفقه الإسلامى أن (العمل مطلقا عبادة). و لذا اشترط الفقهاء عدم اقتصار نية المباشر للعمل على توخى المصلحة الذاتية، بل لا بدّ من أن ينوى امتثال أمر اللّه تعالى و نهيه. فالطاعة عبادة، و العبادة تفتقر إلى نية، عملا بقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (إنّما الأعمال -

_____التكميليات أو التحسينات؛ و هى التى لا تتحرج الحياة بتركها، و لكن مراعاتها من مكارم الأخلاق و محاسن العادات. ثم جاء الإمام أبو إسحاق الشاطبى فأفاض فيها تبيانا و تعليلا فى كتابه (الموافقات)». انظر: المدخل الفقهى العام، للأستاذ مصطفى الزرقاء (۱/ ۶۵). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۲۴ بالنيّات، و إنّما لكلّ امرئ ما نوى) «۱». و هذا الحديث أصل للقاعدة الفقهية: (الأمور بمقاصدها). ربما أطلت الحديث فى هذه الفقرة، ذلك لارتكاز المعاملات على الناحية الخلقية التى هى منطلق صلاح الفرد و علاقته مع المجتمع.

۲- من الناحية العلمية:

۲- من الناحية العلمية: قال تعالى: وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ (النساء/ ۱۱۲). بل إن اللّه جلّ شأنه صرّح بأنّ رسوله قد بلغ بهذا العلم مكانة تؤهله إلى أن يربى النفوس، فقال: كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (البقرة/ ۱۵۱).

۳- من الناحية التهذيبية:

۳- من الناحية التهذيبية: قال تعالى: وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (الشورى/ ۵۲)، أى تدعو إلى دين اللّه الذى شرعه لعباده و فيه ما فيه من التهذيب.

۴- من الناحية الدينية:

۴- من الناحية الدينية: قال تعالى: كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْکَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (إبراهيم/ ۱).

۵- من الناحية العملية:

۵- من الناحية العملية: إيصال الرحمة إلى العباد، قال تعالى: وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ (الأنبياء/ ۱۰۷).

۶- من الناحية الشخصية:

۶- من الناحية الشخصية: حيث شرح اللّه تعالى صدر النبى إلى الإيمان، و أعانه على تحمل أعباء الرسالة و رفع ذكره مدى الأزمان. فجعل أول أركان الإسلام: شهادة أن لا إله إلّا اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه، فلا يعدّ مؤمنا باللّه من لم يؤمن برسالته عن ربّه. قال تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا .. (الحجرات/ ۱۶).

(۱) رواه البخارى فى سبعة مواضع، و مسلم، و الترمذى فى كتاب الجهاد، و غيرهم عن عمر بن الخطاب. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۲۵ ثم أوجب على الناس اقتفاء سيرته. و عنه يأخذ الناس مثلهم الأعلى. و نصحنا بقراءة السيرة النبوية لأن حياته عليه الصلاة و السلام تقدم النموذج الرائع للإنسان الداعى إلى اللّه بالحكمة و الموعظة الحسنة، و إلى رئيس الدولة الذى يسوس الأمور بحذق و حكمة بالغة، و للزوج المثالى فى حسن المعاملة، و إلى الأب فى حنوّ عاطفته. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۲۶

البحث الثانى علاقة الفرد المسلم مع المجتمع

اشارة

البحث الثانى علاقة الفرد المسلم مع المجتمع و يمكن حصرها فى أربع مجالات: العائلى، و الاجتماعى، و الاقتصادى، و السياسى.

أوّلا) فى مجال التشريع العائلى:

أوّلا) فى مجال التشريع العائلى: و هذا ما يسمى بالقانون: الأحوال الشخصية أى الأوضاع التى تكون بين الإنسان و بين أسرته. و ما يترتب على ذلك من آثار حقوقية و التزامات أدبية، أو مادية. و كان الفقهاء قديما يطلقون اسما خاصا على كل بحث من أبحاث الأوضاع الأسرية، فيقولون: كتاب النكاح، و كتاب المهر، و كتاب الطلاق .. و هكذا .. و كلها ترجع إلى ثلاثة أقسام رئيسية: ۱- أحكام الزواج و ما يترتب عليها من مهر و نفقة و طلاق و غيرها .. ۲- أحكام الأهلية، و الحجر، و الوصاية على الصغير، و ما شابه ذلك. ۳- أحكام الإرث، و ما يتعلق به، و تسمى فى الفقه: بأحكام الفرائض. و قد تضمّن قانون الأحوال الشخصية السورى الأبحاث

المذكورة. أول ما يجب أن ننطلق منه حول علاقة الفرد بالمجتمع هو الحديث عن الأسرة، لأن الأسرة فى نظر الإسلام هى الخلية الأولى فى بناء المجتمع. و لهذا توجه إلى وضع الأسس التى تصونها. و إننا لنجد فى سورة النور كثيرا من هذه الأسس الثابتة: «فقد نزلت سورة النور على النبى صلّى اللّه عليه و سلم بما فيها من الأحكام و التعليمات المتعلقة بالأخلاق و الاجتماع و القانون لحفظ المجتمع الإسلامى من نشوء الرذائل و انتشارها و الوقاية منها. و قد وضعت السورة منهجا فريدا من نوعه فى إصلاح الفرد و تهذيب نفسه، و بالتالى إصلاح المجتمع كله بتطهيره من الفساد الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۲۷ بوصف الداء و الدواء، من ذلك: ۱- تقوية الإيمان باللّه و اليوم الآخر، و تربية الضمير الحى طالما كان و لا يزال أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق و علم النفس. ۲- التشدد فى عقوبة الزنا، و تغليظها، بأن جعلها الشرع الحكيم جريمة جنائية توجب على مرتكبها مائة جلدة أمام مشهد علنى ليذوق و بال أمره، و إذا كان متزوّجا فعقوبته الرجم حتى الموت (وفق شروط نصت عليها السورة المذكورة). ۳- عزل الزناة عن الجماعة الإسلامية، بألّا يرتبط المؤمن مع الفاسقة بزواج الزَّانِى لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ الزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَ حُرِّمَ ذلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (النور/ ۳) . ۴- التشديد فى عقوبة القذف و اتهام الغير بالزنا، حتى لا- تشيع الفاحشة فى المجتمع وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً، وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً .. (النور/ ۴). ۵- ضرورة التقيد بآداب الزيارة التى شرعها اللّه تعالى، لأن فيها طهرة للنفوس، و صيانة للبيوت، و سلامة للمجتمع كله. ۶- سدّ منافذ الشهوة، بأن يغض الرجال و النساء من أبصارهم عن غير المحارم. قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ. وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ ... (النور ۳۰ و ۳۱). ۷- التنديد ببقاء الرجال و النساء بدون زواج. ۸- استئذان أهل البيت بعضهم على بعض فى أوقات حدّدتها الآية ۵۸، سترا الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۲۸ للعورات و درءا للوقوع فى المحذور ..» «۱» و استجابة لداعى الفطرة اتخذ الإسلام سبل الترغيب فى الزواج. فنصوص القرآن و السنّة صريحة فى طلب الزواج و الترغيب فيه. و قد تزوّج الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و أنكر على من أراد الترهب من صحابته باعتزال النساء و إيثار الفرار من المسئولية الزوجية. و من الآيات التى تحث على الزواج و ترغب فيه قوله تعالى: وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَ إِمائِكُمْ (النور/ ۳۲). و قال أيضا: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً (الروم/ ۲۱). و هناك عدة أحاديث شريفة تحض على الزواج، و على اختيار المرأة الصالحة. ثم بيّن لنا الإسلام ما يتعلّق بحقوق الزوجين، و من ذلك قوله تعالى: وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ (البقرة/ ۲۳۳)، و هذه النفقة مقدرة بحال الزوج يسارا أو إعسارا دون النظر إلى حال الزوجة. و قال تعالى أيضا: وَ عاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً (النساء/ ۱۹). و أمر الزوج أن يحافظ على دين زوجته و سمعتها فقال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً .. (التحريم/ ۶). «و قد احتوت الآيات (۲۲- ۲۵/ النساء) تشريعا وافيا فى محرمات النكاح. و فى الحياة الزوجية أوجبت الآيات (۲۲۲- ۲۲۷/ البقرة) اعتزال النساء فى المحيض، و أمرت بتقوى اللّه فيهن. و الآيات (۱۹- ۲۱/ النساء) جاءت قوية التلقين فى صدد حسن معاشرة الزوجات، و رعاية رابطة الزوجية، و توطيد الحق و العدل و السعادة الأسروية. كما بيّنت الآيتان (۳۴ و ۳۵) من السورة نفسها مركز كل من

(_____ ۱) منهج سورة النور فى إصلاح الفرد و المجتمع، د. كامل سلامة الدقس، ص- ۱۲- ۱۴. و هناك فقرات أخرى و شروح يمكن الرجوع إليها فى الكتاب المذكور. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۲۹ الرجل و المرأة. و قدمت الآيات (۱۲۸- ۱۳۰) علاجا قويّا و حكيما للحالات و التصرفات الشاذة، و بحيث لا يكون الفراق إلّا فى الحالة التى لا مندوحة عنها .. و فى الترمل جاءت الآيات (۲۳۴ و ۲۳۵ و ۲۴۰/ البقرة) توضح مدة العدّة حسب الحالات ..» «۱» كما توجد آيات خاصة بالإرث و نصيب الأهل و الأقارب. و آيات تحض على إصلاح ذات البين .. و كم كانت حكمة اللّه تعالى عظيمة حينما جعل الطلاق على ثلاث مراحل، حتى تكون ثمة فرصة للمراجعة. و كذا رتّب الإسلام على الأبناء حقوقا كثيرة تجاه الوالدين، منها: ۱- الطاعة و الاحترام؛ و لو كانا مخالفين له فى العقيدة، فإنه يلزمه أن يعاملهما بالحسنى من

غیر أن یطیعهما فیما یعتقد أنه کفر و ضلال، فقال تعالی: وَ إِنْ جاهَداکَ عَلی أَنْ تُشْرِکَ بِی ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما، وَ صاحِبْهُما فِی الدُّنْیا مَعْرُوفاً .. (لقمان/ ۱۵). ۲- البرّ بهما؛ و الإسلام یعتبر عقوق الوالدین من کبریات الجرائم، و هو ینهی عن إیذائهما حتی بالقول و التأفف، من ذلک: وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حُسْناً .. (العنکبوت/ ۱۸). و قال أیضا: وَ قَضی رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِیَّاهُ، وَ بِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً، إِمَّا یَبْلُغَنَّ عِنْدَکَ الْکِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ کِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ، وَ لا تَنْهَرْهُما، وَ قُلْ لَهُما قَوْلًا کَرِیماً، وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما کَما رَبَّیانِی صَغِیراً (الإسراء/ ۲۳ و ۲۴). و حدّد الإسلام بالمقابل حق الأبناء علی آبائهم من نفقة و حسن تربیة، و مسئولیة کل فرد فی الأسرة.

(۱) سیرة الرسول/ صور مقتبسة من القرآن، محمد عزة دروزة، (۱/ ۳۷۳). الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۲۳۰

ثانیا) فی مجال التشریع الاجتماعی:

ثانیا) فی مجال التشریع الاجتماعی: و یضم هذا المجال المصالح العامة المشترکة من تضامن و تعاون و بناء مجتمع إسلامی قوی موحد. و من أبرز هذه التشریعات: ۱- إزاحة العلاقات الاجتماعیة القائمة علی العصبیة و الأنانیة، و إحلال علاقات نابعة من الإیمان باللّه تعالی القائل: وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِیعاً وَ لا تَفَرَّقُوا، وَ اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ کُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِکُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً (آل عمران/ ۱۰۳). و حثّ المسلمین علی الاتحاد و عدم التنازع فی الآیات (۱۰۲ و ۱۰۵/ آل عمران) و الآیات (۹- ۱۰/ الحجرات) و التی بدأها بقوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَیْنَ أَخَوَیْکُمْ. و دعا إلی التعاون أیضا فقال: وَ تَعاوَنُوا عَلَی الْبِرِّ وَ التَّقْوی وَ لا تَعاوَنُوا عَلَی الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ (المائدة/ ۳). کما دعا إلی الأمانة بقوله: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها (النساء/ ۵۷). و دعا إلی الإحسان بقوله: وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ (البقرة/ ۹۵). ۲- تطهیر المجتمع من جمیع أسباب الفساد و الانحلال، و من ذلک قوله تعالی بشأن الکذب: إِنَّما یَفْتَرِی الْکَذِبَ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِآیاتِ اللَّهِ (النحل/ ۱۰۵). و نهی عن الغیبة بقوله: وَ لا یَغْتَبْ بَعْضُکُمْ بَعْضاً، أَ یُحِبُّ أَحَدُکُمْ أَنْ یَأْکُلَ لَحْمَ أَخِیهِ مَیْتاً فَکَرِهْتُمُوهُ (الحجرات/ ۱۲). و حارب الخمر و المیسر بقوله: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَیْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّیْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ .. (المائدة/ ۹۰). و حارب النمیمة بقوله: وَ لا تُطِعْ کُلَّ حَلَّافٍ مَهِینٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِیمٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَیْرِ مُعْتَدٍ أَثِیمٍ (القلم/ ۱۰- ۱۲). و هکذا حارب الإسلام الرشوة، و شهادة الزور، و جمیع أسباب الفساد. و هو فی کل ذلک «لا یعتمد علی سلاح العقوبة المحض فی إنشاء المجتمع الطاهر، إنّما یعتمد قبل کل شیء علی الوقایة من الأمراض الاجتماعیة، و هو لا یحارب الدوافع الفطریة، و لکن ینظمها و یضمن لها الجو النظیف الخالی من المثیرات المصطنعة .. الإعجاز فی القرآن طریق إلی الإیمان، ص: ۲۳۱ و یعمل علی تضییق فرص الغوایة، و إبعاد عوامل الفتنة.» «۱» فإذا حرّم الزنا مثلا- حرّم کلّ مقدّماته. و الإثم لا یقتصر علی مرتکب الحرام بل یشمل من شارک فیه. ففی الربا مثلا: لعن النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم آکل الربا و موکله و کاتبه و شاهدیه. و مما یرشد إلی تنقیة المجتمع الإسلامی من عوامل الأحقاد و أسباب الفتنة آیات کثیرة، منها ما جاء لحمایة الیتامی و حقوقهم و أموالهم کما فی الآیات (۲۲۰/ البقرة، و ۲ و ۳ و ۶- ۱۰/ النساء، و ۲۵/ الأنفال، و ۱۹/ النور، و ۸ و ۶۰ و ۶۱/ الأحزاب) و غیرها. و کلّها تنبهنا إلی أن الدین لیس کما یظن البعض بأنه علاقة بین العبد و خالقه، و أنه مجرد أداء الفرائض. و مرة أخری أحذر من الطعن فی الدین الإسلامی بحجة أن أعمال کثیر من المسلمین مخالفة لأقوالهم، فمثلنا الأعلی القرآن و السنة و لیست تصرفات المسیئین ممن یدّعون الإسلام طالما أن المعاملات کما أشرنا فی البدایة فرع من العبادات و أن الإسلام عقیدة و عبادة و عمل صالح. و قد روی عن أبی هریرة و عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضی اللّه عنهم، أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه و یده، و المؤمن من أمنه الناس علی دمائهم و أموالهم، و المهاجر من هجر ما نهی اللّه عنه) «۲» ۳- إرساء قواعد التکافل الاجتماعی، المادی و المعنوی، و یأتی تحت هذا البند: إنظار المعسر لقوله تعالی: وَ إِنْ کانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ

إِلى مَيْسَرَةٍ، وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ (البقرة/ ۲۷۹). كما دعا الرسول صلّى اللّه عليه و سلم إلى إغاثة الملهوف بقوله: (الدالّ على الخير كفاعله، و اللّه يحبّ إغاثة اللهفان). «۳» و دعا إلى التفريج عن المكروب فقال: (من فرّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج اللّه عنه (_____ ۱) منهج سورة النور، ص- ۲۱۵. (۲) أخرجه النسائى. (۳) أخرجه أحمد. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۳۲ كربة من كربات يوم القيامة) «۱». و أمر بنصرة المظلوم و ردع الظالم فى ما رواه البخارى و مسلم عن أنس رضى اللّه عنه، فالمجال لا يتسع لعرض كل ما قيل فى هذا المجال. ۴- وجّه الإسلام الفرد إلى تحمل المسئولية أمام مجتمعه، و ذلك بالإسهام ماديا و معنويا كلّ حسب طاقته، و من ذلك قوله تعالى: لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ (النساء/ ۱۱۴). و قوله أيضا: الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ .. (التوبة/ ۷۱). و لنا من سيرة الرسول الأعظم ما يبرهن على تحمله المسئولية أمام مجتمعه، و من ذلك عمله مع الصحابة فى حفر الخندق «فالرسول لم يندب المسلمين إلى حفر الخندق ثم ذهب يراقبهم فى قصر منيف له مستريحا، و لا أقبل إليهم فى احتفال صاخب رنّان ليمسك معول أحدهم بأطراف أصابعه فيضرب ضربة واحدة فى الأرض إيذانا ببدء العمل و يدير ظهره. و لكن الرسول انخرط فى العمل كأىّ واحد من أصحابه» «۲». و أختم الحديث عن التشريعات الاجتماعية بما جاء فى صحيح مسلم فى كتاب الحدود، حول بيعة العقبة الأولى، عن عبادة بن الصامت قوله: (كنّا اثنى عشر رجلا، فقال لنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «تعالوا بايعونى على أن لا تشركوا باللّه شيئا، و لا تسرقوا، و لا تزنوا، و لا تقتلوا أولادكم، و لا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم و أرجلكم، و لا تعصونى فى معروف، فمن و فى منكم فأجره على اللّه، و من أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له، و من أصاب من ذلك شيئا فستره اللّه فأمره إلى اللّه إن شاء عاقبه، و إن شاء عفا عنه (_____ ۱) أخرجه البخارى. (۲) فقه السيرة للدكتور البوطى، ص- ۳۳۹. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۳۳ قال عبادة بن الصامت: فبايعناه على ذلك، فلما أرادوا الانصراف بعث معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن و يعلمهم أمور دينهم.). يقول الأستاذ شوقى أبو خليل: «نص البيعة موجز رائع شمل ما يلى: - توحيد للّه مطلق، و هذا من حظ الروح و القلب (لا نشرك به شيئا). - (لا نسرق) أمانة و أمان، و حفظ حقوق، و لا اغتصاب. و هذا من حق المجتمع و الجماعة. - (و لا نزنى) عفة و صيانة أعراض، و بعد عن الفاحشة، و هذا من حق الجسد. - (و لا نقتل أولادنا) و هذا حق الجيل الناشئ، و حق اللبنة الأولى فى المجتمع. - (و لا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا و أرجلنا) و هذا صدق اللسان و بالتالى صدق المعاملات. و هذا الشرط قمع الكذب فى المجتمع. - (و لا نعصيه فى معروف) و هذا حظ القيادة. - أما الخيانة فشأنه إلى اللّه عزّ و جلّ. لم يذكر لهم الرسول جهنم و النار كى لا ينفّرهم، بل ذكر الجنة للوفاء، و ترك أمر الخيانة للّه.» «۱ (_____». ۱) الهجرة حدث غيّر مجرى التاريخ، ص- ۴۸. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۳۴

ثالثا) فى مجال التشريع الاقتصادى:

ثالثا) فى مجال التشريع الاقتصادى: ۱- بما أن الإسلام نظام شامل لمختلف نواحى الحياة لذا جعل فى العمل الصالح لكسب الرزق و بناء المجتمع وسيلة عزة و قوة للأمة، فحضّ على العمل بأساليب متعددة، منها قوله تعالى: فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ .. (الجمعة/ ۱۰). و رسولنا عليه السلام استقبل شبابه بالسعى للرزق، حيث ذهب مع عمه إلى الشام ابتغاء الاتجار و الربح، و كان عمره نحو ثلاث عشرة سنة، و بعد عودته اشتغل برعى الغنم، فقد قال عن نفسه فيما بعد: (كنت أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة) «۱». و فى هذا الحديث دلالة على نوع الحياة التى يرتضيها اللّه تعالى لعباده الصالحين فى دار الدنيا، و أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بكدّ يمينه و لقاء ما يقدمه خدمة لمجتمعه. ثم اشتغل بالتجارة للسيدة خديجة بنت خويلد. و العمل فى الإسلام فرض لقوله

تعالى: وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ (التوبة/ ۱۰۵). كما اعتبر الإسلام العمل جهادا فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ .. (الملك/ ۱۵)، ففى السعى للحصول على الرزق و المال محاربة للفقر الذى يعد من أخطر الأمراض الاجتماعية. كما أن العمل هو الواسطة الثانية للسعادة بعد الإيمان. ثم إننا إذا تأملنا فى قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها .. (فاطر/ ۲۷) نجد دعوة ضمنية للاشتغال بالعلوم الطبيعية، و معرفة نزول الماء من السحب لا يتم إلّا بمعرفة الفيزياء، و معرفة الإنبات تحتاج لمعرفة بالعلوم الزراعية .. و مثل هذه الآية كثير فى القرآن. فقد مرت معنا نماذج كثيرة مماثلة و أخرى تحض على إحسان العمل و ربط الثواب به

---

(۱) أخرجه البخارى (۴/ ۳۴۹) من حديث أبى هريرة مرفوعا بلفظ (ما بعث اللّه نبيّا إلّا رعى الغنم، فقال أصحابه: و أنت؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۳۵ كما فى قوله تعالى: إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (الكهف/ ۳۰). ۲- الإسلام حرر الفرد من الاستغلال الاقتصادى و دفعه إلى الكسب الشريف الذى يؤمن الاستقرار و السعادة، و اعتبر كل طريق للسعى فى جمع المال حلالا إلّا ما كان عن طريق الظلم، و الغش، و القمار. لذلك حرم التغرير و إخفاء العيب و الربح عن كل طريق يفسد الأخلاق العامة. و حرّم ما فيه هضم لحقوق الآخرين كالربا (۲۷۵/ البقرة)، و الرشوة (۱۸۸/ البقرة)، و السرقة (۳۸/ المائدة)، و حارب الغش و الغصب كما فى الآيات (۱- ۳/ المطففين و ۳۵/ الإسراء). و هناك آيات أخرى فى وقاية المال من تبديد السفهاء (۵/ النساء)، و فى الوفاء بالعقود (۱/ المائدة)، و فى تنظيم العقود و الديون و الرهن و الحقوق المتصلة بها (۲۸۲ و ۲۸۳/ البقرة). و حين حضّ الإسلام على العمل لكسب الرزق أباح الملكية الفردية مراعاة للفطرة الإنسانية، و جعل فى ما يتملّكه الفرد نصيبا مفروضا للسائل و المرحوم (كما رأينا فى بحث الزكاة). و اعترف بالملكية الفردية كدعامة فى التنظيم التشريعى كما هى دعامة فى الحياة الاقتصادية و الاجتماعية، و صانها و حماها حتى أصبح تقرير هذا الحق فى الشريعة معلوما من الدين بالضرورة و البداهة. كما اعترف بالملكية الجماعية فى حدود ما تقتضيه المصلحة العامة و ما يدرأ الضرر الأشد عن المجتمع، لذا شرع تدخل الدولة إذا استدعت الظروف ذلك حماية للمصلحة العامة و ضمن القواعد الفقهية العامة المعروفة، و فى مقدمتها: قاعدة (درء المفاسد) أو التعسف فى استعمال الحق. و هدف هذه القاعدة إقامة التوازن بين المصلحة الفردية و مصلحة الجماعة. يقول «العز بن عبد السلام»: «فإن خفى شىء من المصالح و المفاسد طلب من أدلّة الشرع و هى؛ الكتاب، و السنة، و الإجماع، و القياس المعتبر، و الاستدلال الصحيح.» «۱ (

». ۱) قواعد الأحكام فى مصالح الأنام (۱/ ۸). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۳۶

رابعا) فى التشريع السياسى:

رابعا) فى التشريع السياسى: و يتناول حقوق الدولة و واجباتها نحو مواطنيها، و حقوقها و واجباتها نحو الدول الأخرى. و هذا ما يعرف فى الاصطلاح الحديث بالحقوق الدستورية و الحقوق الدولية العامة و الخاصة. و قد عنى بها القرآن الكريم و لكن بشكل مجمل، و ترك أمر التفصيلات إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلم و إلى الصحابة الكرام من بعده بصفتهم أولياء أمور الدولة. لأن هذه الأحكام مما يتغير غالبا بتغير الأزمان. و التشريع القرآنى فى مجال السياسة يتناول إضافة للجهاد و صلات المسلمين بغيرهم، الجوانب التالية: ۱- ماله صلة بتوطيد مركز أولى الأمر من حيث الحقوق و الواجبات. فقد تضمن المنهج القرآنى النص التالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا (النساء/ ۵۹). و من الآيات التى تعرّضت لهذا الموضوع: (۱۵۹/ آل عمران، و ۸۳/ النساء، و ۲۴- ۲۷ و ۴۶/ الأنفال، و ۱۲/ التوبة، و ۱۲/ الممتحنة) ... و الآيات التى ذكرنا أرقامها «ترمى إلى ما يلى: أ- توطيد السلطان الإسلامى فى شخص النبى صلّى اللّه عليه و سلم أولا، و إلى توطيد إطاعة أولى الأمر ثانيا. ب- جعل القرآن و السنة النبوية هما الناموس العام الذى يجب أن يهتدى به و

يستلهم منه فى حل المشاكل و تصريف الأمور، و خاصة عند اختلاف الآراء. ج- تلقين جعل المصلحة العامة و حياة المجتمع العامة ضابطا عاما فى تأييد المسلمين للسلطان و الاستجابة إلى ما يدعو إليه. د- إيجاب ردّ الأمور من قبل العامة إلى أولياء الأمور و أهل الحل و العقد الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۳۷ القادرين على تمحيصها و الأخذ بما هو الأصلح منها. ه- تقرير صفات ولى الأمر فى الإسلام من لين الجانب، و خفض الجناح، و الرأفة بالمسلمين، و الاستغراق فى مصلحتهم و خيرهم. و- إيجاب إشارة أهل الحل و العقد على ولى أمر المسلمين» «۱» ۲- ما له صلة بتوطيد العدل: قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ، وَ لا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً (النساء/ ۱۰۵). و من الآيات التى تعرضت لهذا الموضوع أيضا: (۵۸- ۶۱/ النساء، و ۸ و ۴۲/ المائدة، و ۴۷- ۵۱/ النور، و غيرها. و لا بد من التذكير هنا بأن الفقه الإسلامى يتميز بإقامة أحكامه على أساس من العدل الذى لا يتأثر بأىّ اعتبار مهما كان، إن فى الحكم، أو التشريع الاجتهادىّ، أو القضاء، أو فى المعاملات. و قد قامت الأدلة الصريحة من الكتاب و السنة على وجوب النزول على مقتضيات العدل: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِى الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (النحل/ ۹۰). على أن مبدأ العدل يقتضى النظر فى مآلات الأفعال «۲».

(_____ ۱) سيرة الرسول، محمد عزة دروزة، (۲/ ۳۹۵ و ۳۹۶). (۲) يقول الإمام الشاطبى: (النظر فى مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا، كانت الأفعال موافقة أى مأذونا بها، أو مخالفة أى منهى عنها. و ذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو الإحجام إلّا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل. فقد يكون مشروعا لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، و لكن له مآل على خلاف ما قصد إليه ..) ثم بنى الإمام الشاطبى على هذا الأصل قواعد، منها: قاعدة/ سدّ الذرائع/، و/ قاعدة الاستحسان/.- الحق و تقييده للدكتور فتحى الدرينى، ص- ۲۰، و الموافقات للشاطبى (۲/ ۱۹۷). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۳۸ ۳- ماله صلة بالعقوبات و الحدود: قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِى الْقَتْلى ... وَ لَكُمْ فِى الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِى الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (البقرة/ ۱۷۸ و ۱۷۹). و من الآيات التى تناولت هذا الجانب أيضا: (۱۵ و ۱۶ و ۲۵ و ۹۲/ النساء، و ۳۳ و ۳۴ و ۳۸ و ۳۹/ المائدة، و ۲- ۵/ النور)، و غيرها. و قد حددت الآيات عقوبات الجرائم الرئيسية كالقتل، و الزنا، و السرقة، و قذف الأعراض، و الفساد فى الأرض، و إثارة الاضطراب فى المجتمع. ۴- ما له صلة بتأسيس بيت المال: و مما يدخل فى هذا الجانب بحث الزكاة، و يدخل فيه غنائم الحرب، قال تعالى: وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ، وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ، وَ ابْنِ السَّبِيلِ، إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ .. (الأنفال/ ۴۱). كما نصت الآية (۷/ الحشر) على نصيب الدولة. و يؤخذ من سيرة الرسول صلّى اللّه عليه و سلم فى مجال التشريع السياسى دلالات كثيرة منها: - جواز الاستعانة بغير المسلمين، كما لوحظ من خلال صلح الحديبية. - طبيعة الشورى فى الإسلام و ضرورة تمسك الحاكم بها. - جواز بث العيون بين الأعداء لمعرفة شأنهم و أخبارهم. - جواز استعارة أسلحة من المشركين لقتال أعداء المسلمين. - خروج المرأة للجهاد مع الرجال، فقد ثبت خروجها لمداواة الجرحى. - تحريم قتل النساء و الأطفال. حين عاد الرسول من حجة الوداع إلى المدينة، لم يمض غير وقت قليل حتى أمر بتجهيز جيش لغزو أطراف الشام الجنوبية. «أسند قيادة الجيش إلى مولاه أسامة ابن زيد، و كان شابا حدثا .. و أوصاه بقوله: (اغز باسم اللّه فى سبيل اللّه، فقاتلوا الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۳۹ من كفر باللّه، اغزوا و لا تغدروا، و لا تقتلوا وليدا و لا امرأة، و لا تمنّوا لقاء العدوّ .. لقيت الدعوة التى وجهها الرسول إلى المسلمين من أجل الاشتراك فى حملة أسامة قبولا من كثير من وجوه المهاجرين و الأنصار .. غير أن بعض المسلمين المهاجرين ساءه أن يتولّى قيادة الحملة أسامة لحداثة سنّه، فلما بلغ ذلك الرسول، و كان قد بدأ يشتكى من المرض الذى ألّم به، غضب غضبا شديدا، و ألقى بالمسلمين خطبة فى المسجد، أكّد فيها على أصحابه اللحاق ببعث أسامة ..» «۱». هذه الخطبة أو الحادثة لها دلالات عديدة، أبرزها: عدم وجود مفاضلة بين أفراد المسلمين، فلا الصغر، و لا الرق القديم، منع الرسول من أن يجعل أسامة قائدا للجيش على عامة الصحابة. و لقد رجع أسامة من هذه الغزوة منصورا ظافرا.

(_____ ۱) قيام الدولة العربية الإسلامية، د. محمد جمال سرور، ص- ۲۴۶. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۴۰

البحث الثالث تنظيم علاقة المسلمين مع غيرهم

البحث الثالث تنظيم علاقة المسلمين مع غيرهم «إذا أردنا أن نجمل تعليمات الإسلام فى معاملة المخالفين له فى ضوء ما يحل و ما يحرم، فحسبنا آيتان جديرتان أن تكونا دستورا جامعا فى هذا الشأن: لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَ ظاهَرُوا عَلى إِخْراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (الممتحنة/ ۸ و ۹). فالإسلام لا- ينهى عن البرّ و الإقساط إلى مخالفيه من أىّ دين، و لو كانوا و ثنيين أو مشركين، و الإسلام ينظر نظرة خاصة لأهل الكتاب: وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. (العنكبوت/ ۴۶). و وضع النصارى موضعا قريبا من قلوب المسلمين بقوله: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا، وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (المائدة/ ۸۲). و للمقيمين فى ظل دولة الإسلام من هؤلاء وضع خاص، و هم الذين يسمّون «أهل الذّمّة» و معناها: العهد. و هؤلاء لهم ما للمسلمين، و عليهم ما عليهم- إلّا ما هو من شئون الدين و العقيدة-. و جاء فى الحديث الشريف: (من ظلم معاهدا، أو انتقصه حقا، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة) رواه أبو داود.» «۱» أما قوله تعالى:

(_____ ۱) الحلال و الحرام، د. يوسف القرضاوى، ص- ۳۲۶. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۴۱ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لا- يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ. (المائدة/ ۵۱ و ۵۲) فقد جاء فى قوم معادين للإسلام محاربين للمسلمين، فلا يحل للمسلم حينذاك مناصرتهم و مظاهرتهم- و هو معنى الموالاة- و اتخاذهم بطانة يفضى إليهم بالأسرار. و قد أوضحت ذلك آيات أخر منها: (۱۱۸ و ۱۱۹/ آل عمران). و إذا قرأنا الآيات: (۶۰- ۶۳/ الأنفال) نجد أنها تحث المسلمين على الاستعداد بجميع الوسائل لإرهاب عدوهم حتى يكفوا شرّه. و الآية (۶۱/ الأنفال) بشكل خاص فيها دعوة إلى السلم إذا ما جنح إليه الخصم وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فرسالة الإسلام إذن هى رسالة سلم و أمان و استقرار. و السلم أصل العلاقات الخارجية أو الدولية. أما الجهاد فإنّما شرع لدفع الشر أو العدوان عن الأمة و الأرض. يقول الدكتور و هبة الزحيلى: «شرع الجهاد لدفع الشر، و حماية الدعاة إلى اللّه من أى اعتداء، و إنقاذ المستضعفين، و دفع الظلم و التسلط، و تخليص الشعوب المستعبدة من صنوف الذلّ و القهر، و تمكين الناس من ممارسة حرّياتهم فى العقيدة لينظروا فى عدالة و صواب دعوة القرآن إلى التوحيد و محاربة كل أشكال الوثنية و الشرك. و للجهاد فى الإسلام ضوابطه و شروطه و مسوغاته، و قد يكون بحكمة ولى الأمر و نظره البعيد طريقا متعيّنا لتفويت الفرصة المنتظرة لعدوّ يستعد للاعتداء على الأمة الإسلامية ..» «۱».

(_____ ۱) مجلة النهج الإسلامى، العدد (۵۱، ۱۴ / ۱۲ / ۱۹۹۳) القرآن و أثره فى بناء المجتمع الإسلامى. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۴۲ أما فى تنظيم علاقة المسلمين مع بعضهم فى حال اختلافهم فقد قال تعالى: وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما، فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ، فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (الحجرات/ ۹ و ۱۰). «قد يكون من ملهمات تطبيق هذه الآية احتمال قيام حكومات إسلامية عدة، و وجوب قيام الأخوّة و التضامن و الاتحاد بينها، و إقامة العلاقات بينها على أساس العدل و الحق و الأخوة،

فإذا نشب خلاف و قتال بين حكومتين منها وجب على سائرها التدخل لحل المشكل على ذلك الأساس ..» «۱». هذا هو النوع الثانى من العبادات فى المنهج القرآنى. الأخلاق مصونة لذاتها و لأنها جزء من العقيدة و الدين، و الأسرة التى هى نواة المجتمع الإسلامى قويّة و متضامنة تجمع المحبة بين أفرادها. و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض فى التناصر و التراحم و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر. و العقود تقوم على حفظ الحقوق. و نظام الحكم يقوم على أسس من العدل و الشورى و الحرية فى إطار المنهج الذى يمنع الشذوذ و مصادمة القيم الكبرى و سعادة الإنسان نفسه. إنه المنهج الذى لاحظنا من خلال استعراض العديد من نصوصه و فقراته كيف يستهدف حماية الفرد و المجتمع كله فى وقت واحد. كيف لا و هو تشريع خالق الإنسان العليم بأحواله و الخبير بشئونه و بما يصلح له على مرّ العصور يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ (البقرة/ ۲۲۱).

(۱) سيرة الرسول/ صور مقتبسة من القرآن، (۲/ ۳۱۱). و لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى كتيّب: (تنظيم صلات المسلمين) للمؤلف نفسه. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۴۳ و على المسلم أن يؤمن أنّ سعادته فى الدنيا و فلاحه فى الآخرة موقوفان على رعايته لنصوص هذا المنهج فيما أمر اللّه به و نهى عنه، و فى ما أحلّ و حرّم. و لا بد لإثبات إيمانه حقيقة من أن يأخذ نفسه بالوقوف عند هذه الحدود لتكون طريقا إلى الفوز بالسعادة و الفلاح فى الدنيا و فى الآخرة. أختم الفصل بقوله عزّ و جلّ: وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ قالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (فصّلت/ ۳۳). صدق اللّه مولانا العظيم. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۴۴

خلاصة و خاتمة

خلاصة و خاتمة الدعوة إلى قراءة البلاغ (القرآن) كانت بداية المدخل إلى أبحاث هذا الكتاب، مع التأكيد على إعمال العقل و الفكر أثناء قراءته متأسين بأسلوب القرآن الكريم الذى خاطب العقل المدرك، و العقل المفكر، و العقل الوازع، و منوّهين إلى أن أوّل آيات القرآن نزولا- ذكرت العلم و أدواته. و من خلال التأمل و التفكر لاحظنا أسلوبا يختلف عن فصاحة الأدباء و أخيلة الشعراء، و إعجازا متعدد الأشكال فى البيان و التنسيق، و فى الكشف عن بعض المغيبات، و فى استقامة نصوص القرآن مع كشوف أماط العلم عنها الستار بعد ما يزيد عن ألف سنة. وجدنا فيه من العلم ما يدهش العقل، و وجدنا فيه استنتاجات علمية لم يتم الكشف عن كنهها إلّا فى القرن العشرين. و وجدنا وصفا لبعض حقائق الوجود المادية، و ما ستئول إليه فى المستقبل بدقة علمية واضحة و شاملة. كما ظهر الإعجاز القرآنى فى تعدد الأحكام و الأغراض و المقاصد. و أتينا على بيان وجوه الإعجاز بشكل مفصل لبيان الغرض الأول من أغراض القرآن و هو أن يكون معجزة ناطقة و خالدة تدل على صدق من أنزل عليه القرآن. ثم ألمحنا كيف توجّه البلاغ إلى الناس جميعا على اختلاف مشاربهم و ألوانهم، فمن الناس من وعى البلاغ و مضامينه، و أدرك أن هذا الإعجاز لا يمكن أن يصدر عن بشر مهما أوتى من علم و معرفة. ثم آمن أن البلاغ هو الحق، و هو الفرقان، و هو الذكر، و هو كتاب اللّه تعالى. ثم انتقلنا من مرحلة الخطاب الموجه إلى الناس جميعا، إلى مرحلة الخطاب الموجه إلى الذين آمنوا بأن مصدر البلاغ خالق البشر، أنزله وحيا على نبيه محمد صلّى اللّه عليه و سلم. مع الإشارة إلى أن القارئ الذى لم يشعر بنور الإيمان يدخل إلى قلبه فما عليه إلّا أن يتلو القرآن ثانية مستعينا بالمصادر التى أشرت إليها للاطلاع على الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۴۵ مزيد من الآيات الكونية و دلائل الإعجاز، إلّا إذا كان مستكبرا أو متعصّبا إلى فئة. قال تعالى: سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها .. (الأعراف/ ۱۴۶). من أجل أمثال هذا الإنسان عرضت فى الباب الأول بعض الشبهات التى أثارها المشككون من أعداء الإسلام، و بعض ما قيل فى الرد على تلك الأقاويل. و ابتدأنا المرحلة الثانية بالتوجيه القرآنى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ .. (النساء/ ۱۰۱) بهدف بيان تنوّع الأحكام و المقاصد القرآنية، و التى هى بنفس الوقت وجه من وجوه الإعجاز القرآنى. و اهتممنا بالمقاصد الرئيسية الثلاثة: ۱- الهداية إلى العقيدة الصحيحة، فشرحنا أركان الإيمان للتأكيد بأنه لا يكفى أن نؤمن بأن القرآن

معجزة، فالإيمان يتطلب تصديقا و امتثالا لمضامين المعجزة. و بنيت الأبحاث على المنهج القرآنى فى دلائل وجود الخالق، مبيّنا كيف اعتمد القرآن على الفطرة الإنسانية التى فطره اللّه تعالى عليها، و كيف غذّى القرآن هذه الفطرة بطلب التأمل فى النفس، و فى السماء، و فى الأرض، و فى كل ما حول الإنسان من الأجرام العلوية و ما فيها من نظام محكم، إلى الذرّة المتناهية فى الصغر، ليرى دلائل وجود الخالق الحكيم و قدرته. و عرّجنا على الأدلة النظرية التى لا- تتنافى مع التوجه القرآنى طالما أنه خاطب العقل مرارا و جعله محور التكليف و القيام بالأعمال التشريعية. و أتينا على بحث كل ركن من أركان الإيمان و أهميته. ۲- العبادات، و أنها الأعمال المعبرة عن صدق الإيمان تجاه الخالق. و هنا تعرّضنا إلى أركان الإسلام، و إجمال القرآن لها، و توضيح السنّة الشريفة لها. ۳- المعاملات، و أنها الأعمال المعبرة عن صدق الإيمان تجاه الفرد و المجتمع و الإنسانية جمعاء. ثم أوضحنا الرباط الوثيق بين العقيدة و كل من العبادات و المعاملات وصولا إلى الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۴۶ بيان وضوح الشريعة الإسلامية فى دعوتها إلى التوحيد، و إلى التآخى و التآلف الذى يعالج تخلف الأمة الاجتماعى، و إلى العمل المنتج الذى يعالج التخلف الاقتصادى و الوفاء، و إلى تربية الفرد و تنشئة الأجيال المؤمنة القوية، و دعوة إلى الجهاد بالنفس و المال للذود عن كرامة الأمة و عزتها و وحدة أراضيها. فهى الدواء لحالات ضعفنا التى أطمعت الأعداء فينا مهما حاول المخادعون أن يضلّونا سواء السبيل. و قد حذّرنا القرآن منهم بقوله: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ ما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (البقرة/ ۸ و ۹). و هؤلاء المخادعون لهم أساليب متعددة؛ فبعضهم يخادع باسم دعوة إلى التحديث، أو التقدم، و خدمة لمخطط مركّز من أعداء الإسلام أحيانا. مخطط متنوع الأساليب و الأفواج، كلّ منها يسلك طريقا، فوج بدأ الهجوم بشكل سافر و مباشر على القرآن و نصوصه، و من حججه عدم صلاحية القرآن لكل زمان و مكان، أو يحاول تصوير الإسلام بأنه صورة متحجرة قديمة- و هذه نغمة مكرورة يرددها الأجانب للطعن فى الشريعة الإسلامية، عن جهل تارة، و عن سوء قصد تارة أخرى، و عنهم انتقلت إلى كثير من شبابنا الذين لا يفقهون حقيقة الأمر فى هذا الموضوع-. و فوج آخر سلك طريق التشكيك بنصوص السنّة للنفاذ إلى التشكيك بنصوص القرآن، و ما ذلك إلّا لخدمة أهداف أعداء الدين أو إحلال الانحلال الخلقى محل الالتزام الدينى، إذ لا ينتقد قطع يد السارق إلّا من يريد أن يحلّ لنفسه السرقة، و كذا من يريد الاعتداء على أعراض الناس. و فوج آخر يحاول زعزعة المفهوم الحقيقى للجهاد. و فئة نفذت إلى المسلمين بالمسلمين أنفسهم. و من أشرس هذه الفئات فئة تدّعى حب الإسلام و حرصها على الدفاع عن المسلمين، و تسمح بالعبادات ما دامت فى طور الشكل، أما إذا بلغت الجوهر الداعى إلى تآخى المسلمين و رصّ صفوفهم ضدّ خطر المتآمرين عليهم من يهود- داخليين أو الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۴۷ خارجيين- و أعوان لهم فسرعان ما تنعت هؤلاء الدعاة بأسماء تستوجب القضاء عليهم و على دعوتهم أنّى وجدت يُرْضُونَكُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَ تَأْبى قُلُوبُهُمْ وَ أَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ (التوبة/ ۸). يقول الدكتور أحمد محمد كنعان: «لقد حاول بعضهم أن يستغل هذا الغياب الحضارى لأمتنا الإسلامية فجاء يصطاد فى الماء العكر، زاعما أن الخلل راجع إلى المبادئ التى جاء بها الإسلام .. أ و ليس النصّ نفسه هو الذى حرّض عقولهم و حرّرهم من أسر القبليّة الضيّقة، و حلّق بهم نحو آفاق العالمية؟. أو ليس لنصّ نفسه هو الذى حرّك عزائمهم و دفعهم للتمرد على جاهليتهم الأولى و أطلقهم لارتياد عوالم جديدة؟. لقد كان النص وراء كل الإنجازات العظيمة التى تحققت على مدى عصورها الذهبية. فما الذى حدث إذن حتى انتكست الأمة؟. النص هو هو .. القرآن لم يتنزّل لقوم دون قوم، و إنّما تنزّل ليكون كتاب البشرية الخالد حتى آخر الزمان ..» «۱» إذن الانحرافات كثيرة، و ربما نجم بعضها عن خطأ فى أسلوب الدعوة أو التفسير بسبب أفق ضيّق، أو لعدم معرفة حقيقة الفقه الإسلامى و مبانيه. و لكن «ما دام كتاب اللّه و ما يحيل إليه من السنّة و الإجماع قائما بين أيدينا، محفوظا من التحريف و التأويل الخاطئ، فنحن فى خير على الرغم من كل شىء. و نعرف أين نحن من الخطأ و الصواب. بالقرآن نقيس و نزن عمل العاملين و إخلاص المخلصين، و نميّز به الدعوات المغرضة من الدعوات المخلصة، و نرى به الفهم الصحيح للقرآن من الفهم الخاطئ، إنّه الميزان للأمس و اليوم و الغد.» «۲». و هذا يتوافق مع ما رواه الترمذىّ عن الحارث الأعور عن على بن أبى طالب رضى اللّه عنه قال:

(_____ ۱) العقلية الإسلامية، ص- ۳۶. (۲)

من ضيّع القرآن، المدخل. الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۴۸ «سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقول: ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج يا رسول اللّه؟ قال: كتاب اللّه، فيه نبأ ما قبلكم، و خبر من بعدكم، و كم ما بينكم، و هو الفصل ليس بالهزل .. من قال به صدق، و من عمل به أجر، و من حكم به عدل، و من دعا إليه دعا إلى صراط مستقيم ..» «۱». إذن الدواء موجود، و لكن هل يكفى أن نعرف أننا مرضى، و أن نعرف الدواء، أم لا بد من استعمال الدواء مهما كان شعورنا بأن المرض قد استفحل و استشرى. فنحن عرفنا أن طريقنا طويلة و شاقة، و محفوفة بالمخاطر، و خاصة بحكم هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية و حلفائها على كثير من دول العالم، بل و على عقول كثير من شباب العالم. و لكن علينا أن نعرف أيضا أن المنهج القرآنى متجدد بالفهم العلمى و العقلانى، و خاصة إذا رافق الفهم العلمى عمل متناسب مع أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها (محمد/ ۲۴). فكم من ضعيف أخذ بعلاج نافع فأحال ضعفه قوّة. بالدعوة إلى قراءة القرآن و الأخذ بأسباب المعرفة بدأت أبحاث الكتاب. و بالعلم و العقل و التفكر عرفنا الإعجاز القرآنى و مصدره. و عرفنا الأكوان و خالقها. و أختتم أبحاث الكتاب بالحديث عن العلم من حيث ضرورة استخدام عقل الإنسان لخير البشرية و وضع ضوابط و أخلاقيات للتقدم العلمى. فالعلم سلاح ذو حدّين يمكن أن يكون للدمار كما يمكن أن يكون للإعمار. و حين تكون هناك ضوابط أخلاقية و معايير دينية فإنها ستصون التقدم العلمى من العدوان على كرامة البشرية. و المؤمن الحق لن يعدم وسيلة من وسائل التنمية الفكرية و الاجتماعية و الاقتصادية إلّا و يسخّرها للنهوض بمجتمعه و الوقوف أمام الهجمات الاستعمارية على مختلف_____

(۱) انظر النص الكامل للحديث فى: التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول (۴/ ۶ و ۷)، و تفسير الخازن (۱/ ۴). الإعجاز فى القرآن طريق إلى الإيمان، ص: ۲۴۹ أنواعها و مستوياتها. و من سار على الدرب وصل، و دربنا للحياة القرآن القائل: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ، و القائل: وَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ. فلنسارع إلى القرآن و السنة دراسة و فهما و تطبيقا امتثالا لقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما؛ كتاب اللّه و سنتى.) «۱» سائلا- المولى تعالى أن أكون قد وفّقت فى تقديم هذه الخلاصات. و اللّه من وراء القصد. منيب الطحان

(_____ ۱) رواه الإمام مالك عن أبى هريرة فى: التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول (۱/ ۴۰).

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما،

تعزيز دوافع الشـّباب و عموم الناس إلى التـّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّـة، تخليف المطالب النـّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فى المحاميل (=الهواتف المنقولـة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّـة)، تمهيـد أرضـيّةٍ واسـعةٍ جامعـةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّـلام – بباعث نشـر المعارف، خدمات للمحققين و الطـّلاّب، توسـعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسـلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسـهيل رفع الإبهام و الشـّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشـرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنـّه يُمكِن تسـريعُ إبراز المَرافِق و التسـهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشـرِ الثـّقافـةِ الاسـلاميّة و الإيرانيّـة – فى أنحـاء العالَم – مِن جـهـةٍ أُخرَى. – من الأنشـطة الواسـعة للمركز: الف) طبع و نشـر عشـراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشـرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّـةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكـة و... الأماكن الدينيّـة، السـياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّـة "www.Ghaemiyeh.com و عـدّة مَواقِعَ أُخـَرَ ه) إنتـاج المُنتـَجـات العرضـيّة، الخَطابـات و... للعرض فى القنوات القمريّـة و) الإطلاق و الـدَّعم العلمىّ لنظام إجابـة الأسـئلة الشـرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسـيم النظـام التلقائىّ و اليـدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصـيرة SMS ح) التعـاون الفخرىّ مع عشـراتِ مراكزَ طبيعيّـة و اعتباريّـة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّـة، الجوامع، الأماكن الديـنيّـة كمسـجد جَمكرانَ و... ط) إقامـة المؤتمَرات، و تنفيذ مشـروع" مـا قبـلَ المدرسـة "الخـاصّ بالأطفال و الأحـداث المُشارِكين فى الجلسـة ى) إقامـة دورات تعليميّـة عموميّـة و دورات تربية المربّى (حضـوراً و افتراضـاً) طيلـة السَّنـَة المكتـب الرّئيسـىّ: إيران/أصـبهان/ شـارع"مسـجد سـيّد/ "مـا بيـنَ شـارع"پنـج رَمَضـان" ومُفترَق"وفائى/"بنايـة"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّـة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريـة القمريّـة) رقـم التسـجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّـة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقـع: www.ghaemiyeh.com البريـد الالـكترونى: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانـترنتى: www.eslamshop.com الهـاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفـاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتـب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التـّجاريّـة و المَبيعـات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المسـتخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظـة هامّـة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّـة، تبرّعيّـة، غير حكوميّـة، و غير ربحيّـة، اقتـُنِيَت باهتمـام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايـد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّـة و العلميّـة الحاليّـة و مشاريع التوسـعة الثـّقافيّـة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسـمَّى بالقائميّة) و مع ذلـك، يرجو مِن جـانب سـماحة بقيّـة الله الأـعظم (عَجَّلَ اللهُ تعـالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـّقَ الكـلَّ توفيقـاً متزائـداً لِإعانتهم – فى حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹